حياتي

(الجزء الأول)

عبد الحليم حافظ

الغلاف الأساسى وبضعة صفحات مفقودين
من النسخة التى قمت بتصويرها

صفحات مفقودة

صفحات مفقودة

صفحات مفقودة

صفحات مفقودة

صفحات مفقودة

صفحات مفقودة

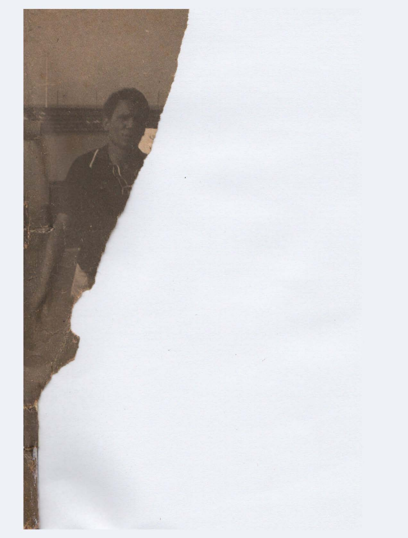
صفحات مفقودة

صفحات مفقودة

وأترك الصفحات
والكلمات التى تتمي
وعمليات « المونتا
كتابة القصص ال
حافظ هذا الشك
مجسـدا بالكل
وأحاسيسها .

أترككم م
العشرين و
المرض الا

ولع
فؤاد
واخ



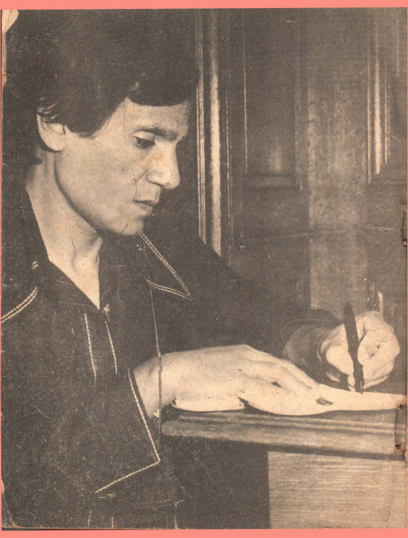
الى التى لم أرهـا فى يـوم
من الايام ·· لكنى سـأراها
يوما ما ··
··· الى أمى ·

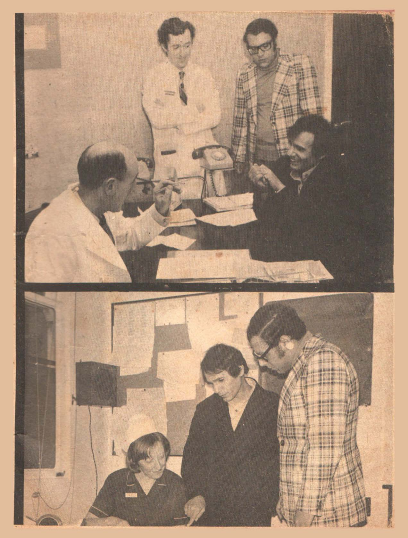


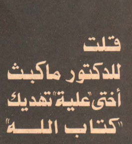


ابدا كتابة هذه المذكرات فى يناير ١٩٧٣ .. فى اكسفورد و ... حيث اعالج من نزيف المعدة ... اعيش الان بـ ١٠٪ من كبدى .

الاطباء يقولون ان هذه اخطر علامات المرض لكنى لا اصدق الموت ... احس انى اخدعه دائما واهرب منه .







قلت للدكتور ماكبث أختى "علية" تهديك "كتاب الله"

حاولت أختى علية أن تتبرع بكبدها لى .. حتى تنقذ حياتى .. ولكنى رفضت ..



الحقيقة اننى فكرت كثيرا قبل ان ابدأ فى كتـــابة قصـــة حياتى .. واغمض عيونى الآن لأرى ماحدث فيها ، حب ، وفاء ، خيانة ، صداقة . عمل . والانسان يغمض عيونه كلما مر به حادث سعيد او حادث مؤلم ويفسر حياته احيانا عـــلى ضوء هذا الحادث . اكتب الان بعد أنتهت آثار البنج تماما .

فمنذ ساعات ، كانت هناك آلات ضخمة بجانبى تخرج من هذه الالات خراطيم ومعدات من النيكل . وكل شىء معقم . وأدخلوا فى معدتى أدوات الحقن . الادوات عبارة عن انبوبة من النيكل ويمكن ادخال ابرة داخلها وأعلى هذه الانبوبة عدسات تكشف كل ما فى المعدة . لا أريد أن أقول كم هذا مؤلم .

صحيح اننى كنت تحت البنج . لكن هناك الانهـــاك الذى تتركه هذه العملية .

•

اوكسفورد مكان هادىء وراق ومثقف . مدينة لم ارها تماما فى أول مرة حضرت اليها وانا مريض . ابريل من العام الماضى . حدث لى النزيف

فى المغرب . حملتنى الطائرة من المغرب الى باريس .. علاج ستون يوما فى باريس .. استكمال العلاج فى لندن .

قرأت يومها خطابا من أختى علية ، احفظ حروفه :

ابنى العزيز حليم . حلمت انك فى حفلة .. الكل بملابسهم وانت ترتدى جلبابا .

هل انت مريض ؟

كان مكان الحفلة العجمى . وكان البحر هائجا .

هل صحتك بخير .

طمنى عنك بمنتهى السرعة .

« أختك : علية »

وكان كل الجو حولى غير مطمئن .

كان الخطر يحيط من كل الجهات .

زيارتى هذا العام لاوكسفورد هى لاستكمال العلاج .

انها مدينة صغيرة تفرح بجامعتها . التعليم فيها غال جدا .. المصروفات تقصم ظهر اسرة من يتعلم فى جامعة اوكسفورد . تبعد عن لندن ساعتين . برودة فى الخارج . الحرارة تحت الصفر او اعلى من الصفر بقليل . اشعر بالوحدة . استيقظت من تخدير البنج . دخل الاطباء . دخل شحاته ابن خالتى وزوج بنت خالتى ايضا . فردوس . علية اختى معى .

تحب ان اناديها يا ماما . احبها كثيرا . آثار الدموع على عينيها .

قالت لى قبل عملية حقن الشعيرات « يا حليم لازم يشيل المرض انسان غيرك » . ليس هناك انسان يحمل المرض عن احد . قالت علية اسأل الاطباء .. انا متنازلة عن أى جزء من جسمى يشفيك الى الابد .

لا احد يقبل ذلك . لا اتصور ان يعيش احد الما اخر مثل ما تحملت .

اخى اسماعيل شبانه تكلم فى التليفون من القاهرة امس .. « لازم تخرج من دائرة التعب يا حليم النزيف هاجمك ٨٦ مرة . حرام عليك » .

هل انا مسئول عن النزيف يا اسماعيل انه القدر . والمرض الآن فى أيامه الاخيرة وسينتهى .

علية تمسك مصحفا فى يديها وتطلب منى ان اقدمه لدكتور ماكبث .

دكتور ماكبث فى السبعين ، طبيب أنف وأذن وحنجرة . لكنه أحد الاطباء القلائل فى العالم الذين يجيدون حقن الشعيرات الدموية فى المعدة ، انه يعرف كيف يسد الشعيرات التى تسبب النزيف .

قلت له : ان علية تهديك كتاب اللـــه .
نظر ماكبث الى السقف وقال :
انه صاحب المجد فى الاعالى الذى يحمينا من الخطأ ويوفقنا فى عملنا .
قالت علية : لماذا يتعذب عبد الحليم ؟ . .
لم اترجم هذه الجملة لماكبث . . ترجمها صديقى د . هشـــام عيسى الطبيب المرافق لى .
قال ماكبث :
« العذاب الكبير دائما ابن اخطاء صغيرة لم يلتفت لها الانسان » .
من كان عنده القدرة على الالتفات للاخطاء الصغيرة التى حدثت فى حيـــاتى ؟ .
من كان عنده القدرة ليوقف موت أمى بعد ولادتى مباشرة .
ومن كان عنده القدرة على ان يرفع عنى عذاب الاحساس بالوحدة منذ طفولتى ؟ ومن عنـــده القـــدرة على ان يعلم الطفل الريفى كيف لايصـــاب بالبلهـــارســـيا ؟ من ؟
لاأحـــد يا دكتـــور ماكبث . لاأحـــد .
ولا أحد يتخيل أيضا اننى يمكن ان اســـمع الكلام . ان انفذ أوامر د . ماكبث بالراحة .

●

لكن هل يمكن ان يصدق كل الناس اننى هذه المرة سأنفذ أوامر الطبيب الكبير بالراحة . . انا ايضا زهقت من المرض . د . ماكبث يقول ان المرض كله ســـينتهى من حياتى قريبا . ابدو كالتلميذ الخائف من الامتحان . النزيف سيتوقف الى الابد . حلم رائع . انه يبدأ دائما بقلق فى المعدة . زهق شديد من كل شىء . قلة صبر على كل شىء واحساس بالدوار . انخفاض فى الضغط . القلب يدق . سرعة فى النبض . الراحة بعيدة للغاية . الهث . لااستطيع ان اتكلم . حتى التعبير عن الالم احس انى عاجز عنه .
اغمض عيونى . لااريد ان اعرف سوى اننى لابد ان ارتاح . لاشىء افكر فيه لحظة النزيف سوى ان يتوقف هذا الخطر .

يسافر خيّـــالى الى الطفولة .

فى الحلوات كلما سرت فى حارة . . تقول لى اى واحـــدة انا امك تعال هنا يا ولد .

اعرف ان امى ماتت .

من تمت امه فى الحلوات لا يرضعونه ثلاثة ايام لعله يموت .. لكنى لم امت .. حملنى اخى اسماعيل شبانة الى العمة زينب . عمتى زينب ، يسألها اسماعيل عن اى امرأة تكون قد ولدت هذا الاسبوع ، تقول له زينب عنوان اى امرأة وضعت حديثا ، يخشى اسماعيل وهو يحملنى على صحتى ، يدق باب من وضعت ، تحملنى المرأة لترضعنى ، يؤكد اسماعيل دائما اننى يجب ان ادقق جيدا فى اختيار شريكة حياتى .. حتى لاتكون اختا لى فى الرضاع ، فقد ارضعتنى خلال السنتين الاوليين من عمرى اكثر من ثلاثمائة سيدة . عشت فى هذه الفترة ايضا على لبن الماعز .

●

اشتاق الان الى الزقازيق ، وانا فى اوكسفورد جربت مرة لارى فيلما لعبد الوهاب ، كان يعمل فى الفيلم صبى ميكانيكى ، اضحك ، يعاودنى الالم ، اكره النزيف لانه سبب الالم ، ليس من حقى ان اضحك اثناء الالم ، العضلات تنقبض وتنبسط ، البلهارسيا هى السبب ، لعبت بجانب الترعة ، خلعت ملابسى ونزلت الى الترعة . عمت .. كانوا يقولون ان لى اختا تحت الارض . وكنت اقول ان لى اختا فوق الارض ، علية تقف دائما لتصفق لى وانا احاول العوم ، جلست على كوم التبن فى الحلوات ، طلع القمر ، سمعت صوت القرآن ، لم يكن الشيخ يضربنى لاننى كنت احفظ القرآن واجيد كتابة الواجب .. ضوء خافت يضىء حجرة المستشفى ، تدخل الممرضة وفي يدها ابرة ، بصراحة زهقت من الابر ، ونقل الدم ، والشعيرات الدموية والكبد .

زهقت من كل ذلك رغم اننى منذ يومين اضطررت أن احتفظ بهدوئى كاملا وانا استقبل صحفيا من احد البلاد العربية وهو يسألنى ، هل مرض الفنان احد أساليب الدعاية له ؟ .. ان فريد الاطرش يشكو دائما من القلب ، وعبد الوهاب يلزم الفراش لقليل من البرد . وانت مهدد بالنزيف ، والناس تعانى من القلق من اجل الفنانين .. لا ادرى لماذا شعرت وانا اسمع هذا السؤال بطعم المرارة ، قلت للصحفى : عندما عرفنى الجمهور ، عرفنى كفنان ، وعندما اقف امام الجمهور لاغنى ، لا اشكو للجمهور من المرض ، وهل قلت مرة للجمهور وانا اقف على المسرح انا مريض ؟ .. الجمهور يطلب حقه من السعادة كاملا .. والغناء لحظة

شجن خاصة بكل انسان ، ان لم أوفرها للجمهور اثناء الغناء لكان موقف الجمهور مختلفا .

واذا كان الجمهور يخاف على الفنان من المرض فذلك لان الجمهور يحب الفنان وذلك ايضا دفاع عما يقدمه الفنان للجمهور من فن جيد ، وانا اتمنى نهاية المرض بسرعة لاغني الاغنيات التي احلم بهـــا ، اما أن اجلس وانا محكوم على بان اعيش لفترة بـــدون جمهور .. فذلك تاس جدا عـــلى الفنـــــان .

●

انني اتذكر صديقا في عام ١٩٥٠ كان محكوما عليه بالسجن لخلاف سياسي ، قال لي هذا الصـــديق يوم أن خرج من السجن « الحياة رائعة » وقال ، « كان رجال البوليس يساوموننى على الحياة » ومضى الصـــديق يشرح كيف اخرجوه يوما من الســـجن الى القاهرة وفى مبنى البوليس السياسى طلب منه المحقق ان يكتب طلبا للعفو عنه وان يعتذر عن دفاعه عن حقوق بلده . رفض الصديق . اعادوه الى السجن ، واثناء العودة رأى من شباك عربة السجن أسرة مكونة من أب وابن وزوجة يجلســـون معا فى بلكونة ، ولحظتها كان من الممكن ان يبكى لانه لم ير ابنته .. يقول الصديق .. « ان الحياة وحش رائع ناعم وجميل ينشب اظافره فى رقبة الانســان ليطالبه بان يعيش وان ينطلق . خصوصا والانسان داخل السجن » . تنتهى كلمات الصديق ، لكنها تظل دائما معى .. انا داخل سجن اشد قســـوة اسمه المرض ، لقد استمعت الى د . ماكيث وهـــو يقول ان الخطأ الصغير تنتج عنه اخطار كبرى .. والخطأ الكبير هو نزيف المعدة . تخصص هـــذا العجـــوز الطبيب فى عملية حقن الشــــعيرات ، انبـــوبة من النكيـــل تمتد مـــن الفم الى المعـــدة فى نهايتهـــا ابرة وفى اعـــلاها منظـــار المعدة والابرة يمكن ان تنفذ الى شعيرة بمادة تتجمد فى الحال ، وتسد أى منفذ يتسرب منه أى نزيف ، و د . ماكيث يحسب حساب كل شيء ، ان فى يده تقارير مستشفى « سالبترير » فى باريس حيث اخذوا عينة من الكبد ، ليعرفوا قدرته وقوته . التقرير يوضح ان كبـــدى يعمـــل بنســـبة ١٠٪ . والكبـــد وظيفته ان ينقى الدم ، ويدفع به الى القلب والقلب يوزعه على الجسد ، والدم بدون ان يمر على الكبد يمكن ان يفقد الانسان الذاكرة ، هناك احدى العمليات مقترحة ولكنى لم اقبلها لانها تجعل الانسان بلاذاكرة ،



رفضت انـــا ذلك ، لا اســـتطيع ان اعيش بـــلا ذاكرة ، د . ماكبث يصدر تعليمات مشددة الى د . هشام عيسى ، لا يجب ان يرهق نفسه ، كنت أقول للطبيب حاضر .. وقلبى يتكلم بصمت ، أريد ان اعيش خارج سجن المرض .

●

هل كان أحد يعرف اننى ساقابل هذا المرض فى حياتى ؟ يوم ان وقفت على محطة القطار فى الزقازيق لاحضر الى القاهرة ، يومها لم أكن أعرف أن هناك مرضا فى حياتى ، كنت أعرف فقط اننى اصبت ببلهارسيا وعولجت منها . كان الوقت فجرا وخيوط من النور تتسلل من الســـحاب والمخاوف تلعب بقلبى ، وصورة علية وهى تودعنى ، علية اسم اول حبيبة لى وايضا اسم اختى ، الان اول حب تملك صاحبته خمسة اطفال ، اخترت لها اسم علية حتى لا اكشـف من هى ، من حق من وقع فى الحب ان يحترم سر الاخر ، ستكون اسماء النسـاء اللاتى امتلكن قلبى للحظات أو لايام او لســـنوات من الاسرار .. علية حبيبتى ودعتنى عند الغروب الســـابق على الترعة التى تشق الزقازيق نصفين ، كانت تضحك وهى تذكرنى بالاحداث الاولى ، بنت الجيران . واحـــدة من ست بنات لاب مبسوط ، عنده عدة فدادين وموظف فى الرى ، والبيت بجانب البيت ، ولعبة الكوتشينة يحضرها الصـــبيان والبنات . « والشايب » لعبة فيها واحد ملك والثانى وزير والثـالث قاض ويخـــرج اخيرا متهم لابد من الحكم عليه .. وكنت وانا العب معهـــا الكوتشـــينة احتار فى الامنيات ، هل اكون الملك ؟ .. لاحكم عليها ؟ هل اكون المتهم لتحكم هى على ، وبين الامنيتين كنت اجـــد قلبى يدق ، يدق بعنف .. علـيـــة الحبيبـة تلاحظ ما فى عيونى ، وأذكر ذلك اليوم الذى « كبرت » فيه علية ، واصبحت ناضجة . لم يقل والدها لى شيئا ، لكنـه لم يرحب بى كعادته . احسست ان هناك شيئا ما قد حدث شيئا سيفصـل بينى وبين علية ، قال لى خالى ان بنـات « فلان بك » اصـــبحن كبيرات ولا يجب ان العب معهن ، وكان معنى ذلك ألا ادخل المنزل ، لم يطلب منى أحد ذلك لكنى فهمته ، هناك بعض اسرار الحياة لا يقولها لك أحد ، ولكنها تظهر واضحة على كل الوجوه .. قالت لى اختى علية اننى لا يجب ان افكر فى علية بنت فلان بك كثيرا .. ولكن كيف يمكن ان تمنع نفســـك وانت صغير جدا فى العمر من التفكير فيمن تحب ؟ .. هذه المسالة تحتاج الى فيلسوف .. وهذا العمر ليس فيه فلاسفة .. كنت أشــعر أننى أريد أن

أمشى مع علية على الترعة ، وان اتحدث معهـــا .. وان احكى لها اننى اســـــتاجرت عجلة بقرش تعريفة لمدة نصف ساعة واننى جريت فى كل الشوارع مع أصدقائى بالعجلة . واننا دخلنا سباقا وكنت الفائز .. واننى كنت أحاور الاصدقاء بالعجلة وأوقعهم على الارض .. واننى اختفيت عنها يومين حتى يشـــفى الجرح الذى فى انفى عندما وقعت على الارض ، واننى أحبها جدا .. وان الهواء الذى أشمه بعد أن يمر على شـــعرها هو أنقى هواء فى هذه الدنيا واننى أجرى وراءها كل يوم من البيت حتى المدرســـة لانى أتمنى أن أقول لها اننى أحبها ، ولكن لا أســـتطيع أن أقول الكلمة الصـــعبة « أحبك » ، ولقد احترت كثيرا حتى أعرف هل هى تحبنى مثلما أحبها أم لا ، الى ان قابلتها صدفة ، كانت أمامى مباشرة ، لم أعرف هـل أمد يدى اليها أم انها « كبرت » ؟ ووجدت فى عيونها ضحكة لا أنســـاها أبدا .. كانت بالتحديد عبارة عن موسيقى حلوة .. لا أعرف كيف أصف هذه الضحكة .

قالت لى وهى أمامى

ــ ازيك .. وحشتنا .. مش حاتغلبنى تانى فى « الشايب » .

ــ نفسى العب معاك تانى .. لكن ..

ــ لكن هو حد شاغلك ولا ايه .

ــ أبدا .. بس يعنى ..

وكانت كل الكلمات مبتورة .. وكان الحب هو الذى يتحـــدث ولا يجد لغة تعبر عنه .. وكأننا اتفقنا على اللقاء ، وكثرت لقاءاتنا .. وكانت خدودها تحمر كثيرا عندما تقابلنى .

وكنت أحس اننى سعيد للغاية أكاد أطير من الفرحة ، وعندما كان ينتهى اللقاء كنت أشعر أن أقدامى مجهدةوان مفاصلى تكاد تصبح ثقيلة واتذكر كلمات اسماعيل اخى ، عليك ان تدقق جيدا فى أى شىء تحاول اختياره وخصوصـــا العروسة .. أنت رضعت من أغلب نساء الحلوات .. احـــذر أن تخطب واحدة تكون اختا لك من الرضاع .

وكنت احس ان اختى هى عروستى وهى أمى وهى أبى وهى كل شىء فى حياتى .

وكنت أقول لها اننى سأصبح كبيرا .. وسأكون أول من يتقدم للزواج

بك ، لكن عندما اجلس للمذاكرة كنت أرى علية حبيبتى بين صفحات الكتاب ، وكنت أعرف أننى يجب ان انجح ، وعندما غنيت فى فيلم الوسادة الخالية أغنية « أول مرة تحب يا قلبى » كنت أتذكر هذه الايام فعلا .

وعندما ودعتنى حبيبتى قبل سفرى الى القاهرة كتبت لا اله الا الله .. محمد رسول الله ومزقت الورقة نصفين .. اعطتنى نصفها واحتفظت بالنصف الثانى . وحاولت ان تبكى ، واختنقت بالدموع . ولم اكن قد طلبت منها صورة لانى كنت اعرف ان احدا قد يراها معى وقد يؤلمها ذلك .. ولم اكن قد اعطيتها صورة لان صورتى بالطربوش لم تعجبنى أبدا .. ولعل ذلك هو السر فى انى لم احتفظ باى صورة بالطربوش ، كنت احضر الحقيبة التى تعودت الرحيل بها من الحلوات الى الزقازيق . الرحيل من الزقازيق الى القاهرة .. وانى عندما أرحل اشعر اننى غريب .. دائما وانا بعيد عن الحلوات أو الزقازيق احس انى فى رحلة ، اشعر بالغربة . أحلم عندما ابلغ الستين ان أملك خمسين فدانا فى الحلوات وابنى دوارا والبس الجلباب البلدى واجلس على المصطبة . لعل هذا هو السبب فى اننى أحب أن البس الجلباب عندما انام ولا احب البيجاما ، الجلباب دائما اسهل وأرحب ، والجلباب كان فى الحقيبة التى معى فى الزقازيق الى القاهرة ، قضيت الليل ساهرا .

وقفت فى البلكونة وامسكت بالسور الحديد وقلت للسور أنا احبها .
كان هناك عصفوران صغيران فى قفص .
قلت لهما بصوت هامس انا احبها .
مر رجل فى الطريق قلت له بصوت هامس حتى لا يسمعنى ، انا احبها .
قطار الفجر سيحملنى الى القاهرة . هذا الازدحام الكبير .
ساحاول ان اكون وسط هذه المدينة شيئا ، ما هو هذا الشىء ، لم أكن أعرف بالضبط .
فى القلب دائما احساس يقود الانسان الى مستقبله ، قالت اختى عليه .
ـ انت دماغك فيها ذكاء وعرق السعادة باين على جبينك ، لازم تكون كويس .

انتهى بهذه الكلمات لعب الكورة فى الشارع عندما كانت عليه اختى تشاهدنى هى وعلية حبيبتى .. وانتهت لعبة شد الحبل حيث كنت دائما مغلوبا فيها ، وانتهت حكاية ان أمشى فى الشارع لأجد نقودا .. وعلية تقول « دايما مرزوق ومسعد » ، فقد كنت دائما أجد نقودا فضية عندما





أمشى فى الشارع ٠٠ واشترى لها ولى حلاوة ، انتهت لعبة « ملك ولا كتابة » بالقرش حيث كنت اكسب منها العسلية ، انتهت ايضا حكاية تذكريها لى يا علية بالا اتشعبط فى العربات الحنطور ٠ ولا فى سرادقات الافراح ٠٠ فعندما غنى عبد الوهاب مرة فى الزقازيق صعدت اعلى السرادق ، لا ادرى حتى الان كيف حدث ذلك . ولكنى رايت ان عم محمود حنفى اول من درس لى الموسيقى موجود فى الحفل وان المطافى عندها سلم وان عم محمود افندى يستطيع ان يناديها عندما يرانى بعد نهاية الحفل سياتى بالسلم لانزل عليه . وظللت اسمع عبد الوهاب وانا معلق بين السماء والارض ، وانتهى الحفل ولا اعرف كيف نزلت ، وعدت الى البيت لاجد خالى فى انتظارى ولم يضربنى ولكنه قال « خاف على نفسك ٠٠ انت وقعت قلبى » ٠٠ وكانت كلمته حازمة ٠٠ قالت لى علية ٠

ـ اوعى تأجر عجلة فى مصر وتمشى بيها فى الشوارع ٠٠ الشوارع هناك زحمة ٠

قالت اختى علية ٠

أوعى تأجر فلوكة وتركبها فى النيل ٠٠ النيل هناك فيه موج وغويط ، قالت علية كثيرا ٠

وفى الفجر حملنى القطار الى القاهرة ٠٠ وكنت كل ما اعرفه عن نفسى اننى ساكون طالبا فى معهد الموسيقى ٠٠ وبعد سنين كثيرة كان صوتى يعلن عن نفسه ٠٠ اغنى ٠ اغنى كثيرا ٠ وعلى اسماعيل ٠ كمال الطويل يؤلفان الموسيقى ٠ واحمد فؤاد حسن يقود الفرقة ٠

عندما ركبت القطار الى القاهرة ، كنت افكر فى حبيبتى عليه ، كثيرا ما سهرت من اجلها ، كثيرا ماكتمت رغبتى فى ان امشى فى الشوارع وان اقول باعلى صوتى اغنيات عبد الوهاب ٠ ولا اعرف لماذا لم يكن صوتى يعجبنى ابدا وانا اغنى اغانى غيرى . لعل ذلك هو احد الاسرار التى تصنع نجاح المطرب :

ان يتمرد بينه وبين نفسه على كل الاصوات التى تغنى ، قد يقول احد ان هذا هو الغرور ، مرحبا بالغرور الخاص الذى لا يعرفه احد ، ان الغرور ضرورى جدا كاحساس ، يحاول الانسان ان يرضيه بالعمل ، كانت علية حبيبتى هى أول غرور مكسور فى قلبى ، أول فرحة لا اعرف نهاية لها ، واعرف انها بنت الجيران ، واننى احببتها اول ما جئت من الحلوات ٠

وكما هى العادة تسرق بنات المدن انتباه ابناء القرى ، حـــدث ذلك معى ، حدث ايضـــا ان قالت لى ان الحب فى رواية « تحت ظـــلال الزيزفون أو الفضيلة للمنفلوطى » يرتوى بالدموع ويعانى من عدم الوفاء . وقلت لها لا يمكن .

ولكن كلينا لم يكن يدرى انه لن يقدر على الوفاء ، هى سترضخ للعريس الذى قدمه لها ابوها . وانا سافرت الى القاهرة لاغنى الحب .

اشعر اننى لا استطيع ان احكى عنها كل التفاصيل ، فتفاصيل الحب الاول دائما تزور الانسان قطعة ، قطعة .. حادثا حادثا .

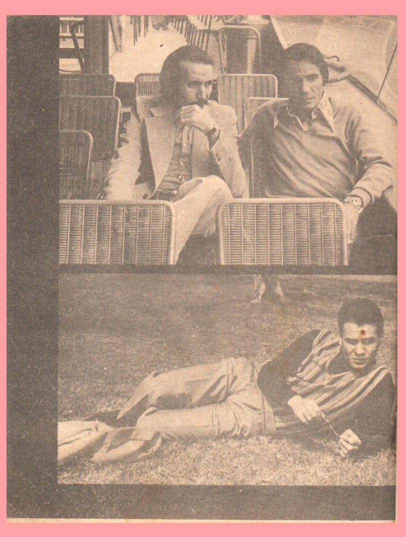
كما اننى الانَ وانا اكتب هذه المذكرات ابدو كانسان يسير فى اكثر من طريق فى وقت واحد وانا لا أملك سوى قدمين اثنتين .

منذ ايام ضحك صديقى د . هشام عيسى وهو يقرأ مذكرات سلفادور دالى الرسام السريالى المشهور والذى يعيش فى حالة رفض لكل التقاليد . سألته لماذا يضحك .. قال :

ان سلفادور دالى يقول : عندما بدأت اكتب مذكراتى احسست اننى كمن يرتدى حذاء ضيقا ويريد ان يصرخ بكل شىء مرة واحدة .

ســـلفادور دالى على حق ، كتابة المذكرات تبدأ دائما من رغبة فى الصراخ بكل ما حدث فى الحيـــاة ، اصرخ الان بالورق والقلم بحثا عن الصفاء القديم . دائما الماضى صاف جدا .

أريد الان ان اعتـــذر لعلية حبيبتى الاولى ، اعتقد اننى حكيت بعض التفاصيل عنك ، لقد حاولت ان اغلف شخصـــيتك تماما بحيث تظلين فى حالة هدوء دون ان يزعجك احد ابنائك ويسألك « لماذا احببت واحدا غير ابينا » . ومن المؤكد ان اباه افضل منى واجدر بك وبحبك ، اننى احب هذا الاحساس بالفخر من الابناء ، لانى لم اعشه ابدا ، فقدت أمى قلم افخـــر بها .. وفقدت ابى فلم افخر به ، وهل يفخر الانسان بما لم يره جيدا .. بما لم يعرفه ؟! احيانا اشعر اننى فى حاجة الى امى وان اعتذر لها .. لأنها ماتت لحظة ميلادى ، لا يعرف احد عذاب ان يقضى الانسان حياته باكملها وهو لا يعرف ملامح والدته ، وفى الزمن الذى كانت فيه والدتى ، لم تكن النساء فى الريف يذهبن الى المصور لياخذ لهن صـــورة ، لم يبق من امى سوى أوصاف اسمعها ، وبقيت صورة لابى ، حتى هذه الصورة فقدناها ونحن ننتقل من بيت الى اخر . لكن هذه الصــــورة محفورة فى خيالى ،



وجه طيب للغاية • لقد تحدثت مع هذه الصورة كثيرا • وأنا طفل • سألته لماذا سافر الى السماء ، ماذا يرى هناك ، ما شــكل الجنة ، هل النار قاسية جدا على اهلها وهل يراهم وهو فى الجنة ، كنت اجلس امام الصورة واسالها ان تحكى لى حدوته •

وكانت الصورة صامتة ، وكان خيالى يرسم لى حركة الشفتين وهما تقولان لى « كان ياما كان ياسعد • يا اكرام ، واحد فقير غلبان اسمه عــلى بابا • وعلى بابا وجد الكنز والكنز اغناه عن الناس ، ولم يكن طمــاعا ، وكان يحب كل الناس • وكان يشــترى ملابس جديدة لكل الناس وكان يشترى كرة كبيرة لكل طفل • وكان يعطى لكل طفل كلبا صغيرا يحميه من الناس وهو يسير فى حقل الذرة ، وكانت العفاريت تخاف من على بابا • وكان على بابا يحبس العصا التى يمسكها الشيخ فى الكتاب ليضرب بهـا الاطفال ، وأراد على بابا ان يحب فتزوج ســندريلا الفتــاة اليتيمة التى قست عليها زوجة الاب ، كان على بابا هو الامير •• ياه » • ياما سمعت من حواديت من صورة ابى ، كنت آخذ الصورة واجرى بها الى الغيطان لاسـمع منها الحواديت كلها ، وكثيرا ما سالت صورة ابى هذا السؤال الصعب : هل ماما زعلانه منى لانها ماتت بسبب ميلادى ؟ قلت ذلك مرة لصــديقى الفنان يوســف فرنسيس • رأيته مرة وهو ملىء بالحيرة والقلق وهو يشاركنى فى انه لم ير أمه ولا يعرف صورة لها ، ويبحث عنها دائما •• يا يوسف لا فائدة •• حلمك بان ينتصر الانسان على الموت سيظل هو الدافع الذى يخلق الفنون ، ولكن لا اعتقد اننا سنستطيع ان نحصــل على آلة التصوير التى يمكنها ان تلتقط صورة شخصية اختفت تحت التراب ، نعم ، احلم احيانا ان يخترع العلم كاميرا تتصور الماضى • حكيت هــذا الحلم ليوسف فرنسيس فضحك وقال انه يصلح موضوع رواية طويلة يكتبها فنان عالم •

ضحكنا ، واثناء الضحك برق فى ذهنى انهم رفضوا ان يرضعونى لحظة ميلادى • من تموت أمه فى الحلوات لا يرضعونه الا بعد انتهاء ليالى المأتم الثلاث • ويقال ان الذى لا يرضع من ثدى أمه يكون عرضة للامراض •• انا مع هذه الفكرة وأومن بها كثيرا • ان يد الام حتى وهى تمســك بزجاجة اللبن الصناعى تحمل دفئها للطفل وأى حنان اخر غير حنان الام هو حنان مغشوش ، الطفل يرغب فى الحنان الصافى ، ولا يمكن ان يمل فاقد الحنان مهمته الوحيدة وهى ان يبحث عن الحنان ، وفى الحلوات كان



الحنان هو ان اسمع الحدوتة من صورة ابى • وهو ان استسلم لعلية اختى وهى تسخن لى الماء لآخذ حماما •• وهو الاوامر بألا اخرج الى الشـــــــارع بعد ذلك ، والحنان فى الزقازيق هو الجرى وراء عليـــة حبيبتى وهو لعبة الشايب ، الغالب والمغلوب ، والحنان فى القاهرة هو الجلوس مع اسماعيل شبانة ، ووصاياه •• ولكن لم اجد الحنان بعد ان تخرجت من المعهد العالى للموسيقى المسرحية ، ففوجئت بأنه قد تم تعيينى فى ثلاث مدارس للبنـــات دفعة واحدة •• يومين فى طنطا •• ويومين فى المحلة ويومين فى سمنود • مسألة صعبة ان اظل متأرجحا بين ثلاث مدن فى وقت واحد •• وكنت دائما متأخرا • وكنت دائما عرضة لان اغيب •• وكانوا يعاملون الموسيقى فى المدارس كمادة غير مهمة وكنت ادرس للبنات ، وكان قلبى يشتاق الى الحب •• ككل قلوب الشباب عصفورا يبحث عن عصفورة وان يطير الاثنان بعيدا •• تأخرت عن المدارس الثلاث ثلاثة شهور متقطعة ، كان احمد نجيب هاشم احد كبار المسئولين فى وزارة المعارف ، استدعانى ليعرف السر وراء غيابى المتقطع كان سؤاله :

لماذا تتأخر كثيرا عن الحصص ؟ هل هناك مشكلة ما ؟ •• اذا كانت هناك مشكلة قلها لاحلها لك •• انت تعرف ان هناك قانونا قد صدر اخيرا بفصل من يغيب ١٥ يوما متتالية بدون اذن •

وكنت لا املك سوى اجابة واحدة « لا ادرى » ، لم اكن اقوى على ان اقول الحقيقة كاملة •

هل اقول له اننى لست مقتنعا بأن استيقظ مبكرا وان اقف فى حصة اعزف فيها البيانو ، وان عمرى ١٧ سنة واننى اصغر مدرس للموسيقى فى مصر كلها •• وان درجتى الوظيفية هى السادسة الفنية ومرتبها ١٧ جنيها وعدة قروش وهى لا تفى بأبونيه القطار وبقية مصاريف حياتى واننى احيانا اشعر باننى يجب ان اقف ككل الشبان على باب مدرسة البنات وان انتظر واحدة منهن واسير معها فى الحقول وان اقول الحقيقة •• الحقيقة اننى احيانا اضحك على نفسى وانا واقف امام البنات فى حصـــــــة الموسيقى ، واحيانا اغضـــــب من نفسى ، فليس هنا مكانى ، ولى مكان اخر فى وظيفة اخرى لا اعرفها ، واننى اغنى كل اغنيات عبد الوهاب وكل اغنيات أم كلثوم وكل الاغنيات فى صـــــوتى لا تعجبنى ، واننى مازلت احفظ حكايات كثيرة سمعتها فى ردهات معهد الموسيقى عن محمد عبد الوهاب الصوت الجميـــل الانيق ، واشاعات كثيرة تتلاحق حول اخبـــار الحب فى قلبه ، وانه يملك

قدرة خرافية على التهام الطعام وانه يخاف من الزكام ، وانني وانا واقف أمام احمد نجيب هاشم المسـئول الكبير فى وزارة المعارف لا أجد كلمات مناسبة اقولها لتبرير غيابى الكثير سوى احساسى بأننى لا اصلح موظفا ٠

قال احمد نجيب هاشم ٠

ـ ليس هناك سوى أن تفصل من وزارة المعارف ٠

وكان فى جيبى جنيه ونصف هى كل ما املك ، ولم اقل سوى كلمة واحدة ٠٠ حاضر ٠

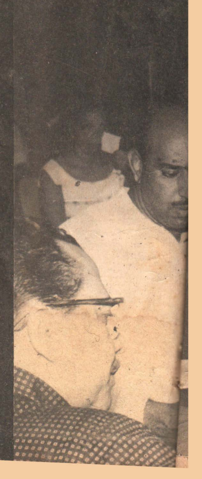
وخرجت من مكتبه يملأنى احساس بالحرية ٠٠ لم اعد موظفا ٠





أنا مفصول
إذن
أنا حر جدا!

كنت اسأل السماء وأسأل الارض وأسأل الحجارة ٠٠ لماذا جئت الى هذه الحياة دون أب أو أم ٠





بعد ان خرجت من وزارة المعارف عرفت ان معى قرار الفصل من وظيفة مدرس موسيقى ، ولم افكر الا فى أننى حـــر ٠٠ طليق ٠ نظرت خلفى فى الشارع ٠٠ كان الشارع هادئا ٠٠ جريت قليلا ٠ قفزت على قدم واحدة ٠٠ وجهت حذائى الى طوبة فى الطريق قذفتها بعيدا ٠٠ أوجعتنى الطوبة قليلا ٠٠

سألت نفسى هل أكره هذا الرجل الذى تعامل بالقانون معى؟

هل ستكفى النقود التى فى جيبى الى اخر الشهر ٠٠ ؟ ٠٠ لا يهم لا أعرف ٠٠ ولابد ألا يعرف أحـــد من أسرتى ٠٠ لو عرفت علية ستغضب ولا أحب أن أغضبها ٠ لابد ان أحصـــل على عمل من أى نوع ؟

فى اللحظة التى أصـــاب فيها بالقلق لابد أن التقى بكمال الطويل ٠ والطريق من وزارة المعـــارف الى الاذاعة ليس طويلا ٠ كمال يعمـــل فى الاذاعة بعد ربع ساعة من السير على الاقدام سأجد كمال أمامى ٠ أمامى الترام فى شارع القصر العينى ٠ طوال عمرى أكره الترام ٠ وأفرح عندما ينزعون قضبانه من أى طريق ٠٠ يخيل الىانهم يطردون وحشا شريرا اسمه الضجيج ٠ قد يكون سبب كراهيتى للترام انه محبوس بين القضـــبان وله

ضجيج • يخيل الى انه أيضا يوقع فى الحضـــور والانصراف • انا احب الاتوبيس • انه حر يمشى على مزاجه ويعرف كيف يسلك طريقه وســـــط السيارات الاخرى وصوته اهدأ من صوت الترام •

لماذا •• أذهب الى الاذاعة ؟

لماذا لا اذهب الى السيدة زينب فى بركة الفيل • شارع سلامة حجازى •• جئت الى ذلك الشـــارع وعمرى ١١ سنة كنت قادما من الزقازيق وفى قلبى علية بنت الجيران لم يكن الحب قويا بيننا •• لكن كانت هناك بدايته •• انه يلوح الآن فى خيالى كلون السماء • كنت أحيانا انظر الى السحاب •• فأرى فى ملامح سحابة ما •• ملامح علية •• جئت الى ذلك الشـــارع •• شارع سلامة حجازى وكان أخى اسماعيل يسكن فى هذا الشـــارع • حجرة أمامها حوش وبجانبها جيران • وعندما دخلت هذا البيت لاول مرة كنت أملك شـــهادة قد الدنيا هى الابتدائية • كنت حائرا بين طفولتى فى القرية وبداية الشباب فى القاهرة •

فى الطفــولة رأيت اطفـــالا لهم اباء وانا لم يكن لى اب او ام وكثيرا ما كنت أكره الاطفال عندما اســـــمع واحدا منهم يحكى عن بابا وماما • وانفجر بدموع الغيظ • طفل فى المدرسة يقول ان أمه قالت له لا تأكل من حلوى عم احمد بائع الحلوى الواقف أمام المدرسة وسأشترى لك حلاوة من مصر • من مولد السيدة • ولم تكن الحلاوة هى المهمة ولكن حكاياته عن مصر كانت كثيرة • اشتروا له بنطلونا طويلا •• انه أول طفل فى مدرستنـــا لا يأتى بالبنطلون القصير • أمه تنبهت الى انه يجب ان يكون مميزا عنا •• والده يعطيه كل يوم قرش صاغ كاملا كمصروف يد • وانا لا شىء • لا اطلب من أحد • الحياة فى بيت خالى هى الحياة مع الخجل والادب • الحنـــــــــان موجود لكن لم يفارقنى فى هذا العمر الاحساس باننى من « الضــــيوف » الضيف يجب ان يكون مؤدبا • وعندما كان خالى يناولنى مصروف يدى كنت أقول لا • وكان منظر القرش فى يده ليس هو منظر القرش العادى • كان القرش يحمل صورا كثيرة • اســــتطيع ان اقف به عند عم احمد بائع الحلاوة لاشترى حلوى •• أو شيكولاته •• أو مســـطرة خشب جديدة • أو هارمونيكا أو اذهب به الى المراجيح أو اشترى به كراسة مربعات ألعب فيها بالقلم الملون كتلاميذ المدارس الكبيرة • القرش يتسع لكل ذلك ورغم ذلك أنا لا آخذه من يد خالى •• لانى من « الضيوف » والضيوف يجب ان

يكونوا مؤدبين .. على مائدة الطعام ايضا انا من الضيوف الكل يكرمنى .. زوجة خالى تقدم لى كل ما عندها لانى « يتيم » و « ضيف » والكلمتان .. تجعلان طعم الطعام مختلفا . انه ليس طعاما .. انه ممزوج دائمـــا بشىء اخر .. شفقة .. عطف . مشـــاعر اخرى مضـــافة الى الطعام . ووجودى فى الزقازيق ايضا هو وجود الضيف . كنت (اتشاقى) بعيدا عن عيون خالى . وكنت اذهب كل صباح الى المدرسة وانا احس اننى لابد ان أرحل يوما ما بعيدا عن هذا البيت الى بيت آخر .. اتخيل البيت الاخر بجانب السحابة الحلوة ومعى علية حبيبتى .

وفى المدرسة كنت أعرف انه ليس امامى طريق للتخلص من كل شىء الا بأن اذاكر وان انفجر بدموع الغيظ من حكايات الاولاد عن بابا وماما .. وكنت اتفوق على الاولاد فى التمثيل والموسيقى . وكان مدرس الموسيقى فى المدرســـة هو محمود افندى حنفى انه الوحيد فى هذه المدينة الذى يدرس الموســيقى .. وكان يقول عنى اننى موهوب لانى اغنى وامثل واعزف على البيانو ..وكان محمود افندى صديقى . لانه ايضا يدرس الموســـيقى فى ملجأ الايتام .. وكان يختلف تماما عن ضابط المدرسة الذى يرتدى الجاكت الكحلى والبنطلون الرمادى ويمسك بالخرزانة ويراقب الحضور والانصراف .

وعرفت بعد ذلك انه كان يفرح جدا بكلمة حضرة الضابط لانه فى الاصل كان جاويشا معلما هذا ال « حضرة الضابط » لدرجة انى أنسى اسمه الآن .. وكان الملجأ على حرف الزقازيق . كأنه مبنى مطرود من الحياة .. أو كأنه مبنى للضيوف .. وكان الاطفال فى هذا المبنى طيبين . الايتام دائما فى وجوههم مسحة من الطيبة والخوف . واذا بدأ أحدهم بالشر فلانه يتوقع ان يكـــون الشخص الذى أمامه شريرا .. انا أعـرف معنى اليتم لأنى عشـــت هـذا الاحساس .. لدرجة اننى سألت يوما أحد الاصدقاء بعد وفاة والدته ووالده بماذا تشعر ؟

قال : أحس أننى فقدت جدارا يسند ظهرى واحس انى فقدت فى أمى الاحســـاس بالبيت . هكذا وجدت فى كلمات الصديق الوصـــف الحقيقى لما عشته منذ ان ولدت وليس هناك جدار يسند ظهرى وليس لى بيت .

وفى الملجأ كنت استريح من حياة الضـــيوف انهم مثلى لا اب لهم ولا أم . ولا أدرى لماذا يقسو الناس عليهم . والمشرفون على دور الايتـام كانوا فى تلك الايام قساة .. دائما يبتسمون للناس ويقولون بفخر « نحن

نربى الايتام » ويديرون ظهورهم للناس وينظرون الى الايتام نظرة فيهـا علامات القرف « نحن نربيكم وننتظر الثواب » عيونهم ترغب فى خـداع السماء بظاهر الرحمة .. وبباطن القسوة .. والتربية هى ان يمسح اليتيم البلاط وان يغسل الصحون وان يرضخ لكل الاوامر وان يكون ممسـوح الشخصية وان يقول حاضر دائما . ويتقبل ضرب المشرف بالخرزانة او ببوز الحذاء فى اقصبة الساق . وليس لليتيم الحق فى ان يلعب .. حتى اللعـب فى ملجأ الايتام له حصة . انه عبارة عن طابور وان يخلع الاطفال ملابسهم فى عز البرد وان تظهر الملابس الممزقة أو غير المغسولة جيدا .

وهناك خرزانة وصفارة فى يد « حضرة الضابط » انه ايضـا يدرس التربية البدنية فى الملجأ .. وهو الذى يقول كالعفريت « هب » . واحد . اثنين . ثلاثة . ثنى . مد . محلك سر . شـمال . يمين فرد الذراعين وثنى الركبتين . ركوع . افرد الذراعين واثنى الركبتين . ركوع . افـرد جسمك يا ابن الـ .

والعصاة تنهال على اى احد وقد يكون هذا الطفـل غير مخطىء ولكن ما الذى يهم ؟ .. انه يتيم . لا احد يسأل عنه . والضرب فيه لا حساب عليه .. كنت ارى ان هذا يلغى اصل ما فى الانسان .. الكرامة . ارى أن ذلك يهزم روح الارادة .

كنت اسأل السماء واسأل الارض واسأل الحجارة .. لماذا تموت امهاتنا واباؤنا . السنا من هذا النوع البنى آدم . واقف مرة أمام كلب واقول له .. انت الكائن الوحيد فى الدنيا الذى لا يعرف اباه وامه .. فأحس انه مثلنا . الايتام كلاب . وقطط . وقرود وشياطين .. ولحظة الشفقة عليهم قاتلة ..

كنت اتفـرج على ذلك ولم اكن يتيمـا بهـذا المعنى القاسى . ان لى خـالا وله بيت وفى هـذا البيت اختى ولى اخ اسـماعيل شبانة موظف فى القاهرة فى معامل وزارة الصحة ومرتبه ثلاثة جنيهات كاملة . والجنيه هو المبلغ الذى لم امسكه فى يدى حتى اصبحت مدرسـا ولى اخ ثانى محمد شبانه فى الخدمات الطبية بالجيش ومرتبه جنيهان ولو ضربنى احـد . ساقول لمحمد وسياتى بالبنادق ويضرب من يضربنى .. ولو ضربنى احـد ساقول لاسماعيل وياتى بالحقنة ويعطى من يضربنى ابرة . ثم اننى احضر الى الملجأ مع مدرس الموسيقى .. واسـتطيع ان اخرج منه وقت ما أريد وكنت احب هؤلاء الايتام . اننى مثلهم لا اب لى .. لا ام لى ..

أرى فى الشفقة قسوة .. وارى فى وضع « الضيف » مسألة غير طبيعية . والايتام اطفال للفرجة . ولو جاء رجل كبير المقـام فهم الذين يعزفون له الموسيقى وهم الذين يمرون فى ليالى المواسم والاعياد فى الشوارع ليراهم الناس . لقد جرحنى مرة الى حد البكاء ما قالته سيدة لابنها : ان لم تسمع الكلام . ساضعـــك فى الملجا وتمشى تزمر معاهم ويتفرج عليك الناس . بكيت .

لا ادرى لماذا ؟

لان اليتم عيب . عار . خجل . وضع الطفل دائما فى موضع الضيف الثقيل الذى يتحمله الآخرون من أجل دخول الجنة . بكيت وجريت الى منزل خالى . حتى منزل خالى يضعنى امام معنى « اليتم » . الحنـــان هناك أكثـر من اللازم . خالى يربت على كتفى لانى يتيم . حنان زائد لى وقســـوة زائدة على اصدقائى الايتام فى الملجا . الحنان الزائد يساوى القسوة . لاحظت اختى علية اننى ابكى احيـانا فى صـمت . احتضنتنى فررت من احضـانها وقلت « اية ما انا يتيم برضـــه » . ولعنت امامها أبو الموت وقلت اننى اكره الاباء الذين يموتون .

وقالت لى عيب وضحكت . ضحكاتها كانت حزينة .. نحن فى بيت خالى . ويجب ان يكون لنا بيت وظلت علية تحكى لى اننى شـــاطر فى المدرسة وان ابن الجيران اعطاه ابوه علقة لان شهادة الفترة كان بها كحك احمر حول العربى والحساب . وقال الرجل لابنه « اشـــمعنى عبد الحليم بيذاكر لوحده » وكنت بالفعل وحيـــدا .. وفى الوحدة كنت أجد الحزن . وكنت اتامل كل ما فى حياتى . سالت نفسى لم اكره احدا لان له ابا او اما . ان الاب عندما يموت لا يموت بمحض ارادته . انه يموت رغم انفه . والام عندما تموت تكون حزينة جدا . لانها لا تعرف من ســـيرعى ابناءها . ان الاصرار على الحياة موجود عند كل اب وكل أم . لكن قوانين الدنيا هكذا . نولد ونحن لا نعرف . ونموت دون ان نعرف . اندهش كثيرا الان عندما اتذكر كل هذا القدر مـــن التفكير عندما كنت طفـــلا .. وكنت لا اقـــول لاحد لكن قرات يوما عبــارة لفيلســوف فرنسى اســـمه جان فـال يقول فيها « ان الطفل هو القادر دائما على التقاط اخطر قضايا الحياة . الطفـــل فيلسوف بالفطـــرة يفهم ظروفه وظـروف من حـــوله والفـــرق بين طفل وآخر ان واحدا يتأمل نفســـه ورغبـــاته وآخر يتأمـــل





نفسه وما حوله من احداث والذير [illegible]
المواهب · أما الذين يتأملون انفسهم و [illegible]
مع الرغبة فى اسعاد الآخرين .. لقد [illegible]
وكنت دائما احاول ان اسعد كل من حو [illegible]

●

كنت اسمع كلمات علية عن الرجـ [illegible] ضرب [illegible] لم ينجح واحزن · كنت لا أريد لاحد ان يتألم شعرت اننى احب هذا الطفل جدا ·· واحسست اننى عندما فهمت ظروف الحياة والموت لم اعد اكره أحدا · ظللت دائما أبحث عن الظروف التى تجعل أى انسان غير سعيد وكنت احاول ان اجعل علية سعيدة ·· واقنعت نفسى اننى اخترت الوحدة لافكر فى كل شىء ولانقى نفسى من أى شىء يفسد اعماقى ·· واذكر كلمات اخى اسماعيل ·· هذا الذى تحمل مسئوليتنا ووضع جنيهاته الشهرية الثلاثة من وظيفته لخدمة تعليمى وتعليم نفسه وكان اسماعيل هو الاخ الاكبر فعلا ·· المسئول · هذه الكلمة لا استطيع ان اوفيها حقها · لقد كان هو الانسان الذى فوجىء بانه مطلوب منه ان يكون الاب والام والصديق · ولقد استطاع ان يوفى الرسالة ·· وكان ايمانه بالله اشعاعا ينشره من حوله · علمنى فى هذه السنوات ان امسك المصحف · كان المصحف هو هديته لى عندما نجحت · وعلمنى كيف اقرأ القرآن واجد فيه راحة · ان القرآن صعود الى اعلى · الغاء للكراهية · مزيد من الحب القوى · معرفة ان الله يحب الانسان وان الحياة رحلة كفاح جميلة وعذبة · لذلك كنت اجلس امام كتب المذاكرة · لا اعرف ما فيها وكنت اعرف ان هذه الصفحات المكتوبة فى الكتب هى التى ستصنع لى بيتا اعيش فيه انا واخوتى ونستقبل فيه خالى وكنت اعزف على البيانو فى الملجأ وفى المدرسة واحلم بأن اشترى بيانو كبيرا .

كنت فى تلك الليلة التى رأيت فيها أما تهدد ابنها بأن تضعه فى الملجأ

وقررت أن اخرج من المنزل وأن أجرى الى اصدقائى فى الملجأ ·

لكن علية رفضت ان اخرج لانى سآخذ حماما وانا فى نظرها ضعيف قد يلفحنى البرد · ورغم ذلك تمردت على الحمام الدافىء · رغم حبى له وخرجت الى الملجأ ·

رف اين هو الان ٠
نا ٠ احسست ان للايتام ايضا لحظـــة

كل لحما فى الاجازة ٠٠ لانه سيكون لى
مستقبل عن ... ٠ و... حد أنه يكره الاستيقاظ المبكر ٠ أو الخبز البايت او الطبيخ الذى لا نعرف هل هو سبانخ ام كوسة ٠٠ ام فول اخضر ٠٠ او خبيزة انه مجرد خضار مغلى ٠

خلفى وزارة المعارف ٠ انا موظف مفصول ٠ رفضت حكاية التنطيط فى ثلاث مدارس ٠ لم اكره الرجل الذى قال انه ليس امامه ســـــوى ان يفصلنى ٠ ولم احك له لماذا تمردت على الذهاب الى المدرســـــــة ٠ وهو لا يعرف اننى اكره الترام أو سأذهب الان الى السيدة زينب ٠ بركة الفيل ٠٠ شارع سلامة حجازى ٠ أزور مكان الطفولة أول مكان اشعر انه بيتى بعدها سأزور كمال الطويل ٠٠ شارع سلامة حجازى فيه حجرة فى حوش والحجرة كان يسكنها اخى اسماعيل الموظف فى معامل وزارة الصحة وانا معه لانى أدرس فى معهد الموسيقى والمعهد بعد الظهر ومهمتى فى الصباح ان اجعل هذه الحجرة نظيفة لم يطلب احد منى ذلك . أيضا كنت أعد الطعام . اننى اجيد الطبخ لانى عرفته .اعرف كيف اصنع طاجن الارز وصنية البطاطس والبامية والفطير باللحم ٠ كنت أحاول ان يكون لون الطعام واضـــحا ٠ وكنت اتأكد اكثر من مرة من ضرورة ان يكون طعمـــه لذيذا كنت اريد ان اجعله مختلفا عن طعام بيت خالى ٠ طعام الضيوف ٠ عرفت ذلك من خبرة الايام ولم تكن تلك وحدها هى خبرة تلك الايام انما كانت هناك ثروة حقيقيــة حصـــلت عليها هى حب الناس ٠ حب الجيران ٠ حب اهل الحى ٠ اننى اسأل احيانا من الذى بدأ بحب الآخر ؟ هل انا الذى احببتهم فأحبونى ؟ ٠٠ ام انهم احبونى فأحببتهم ؟ اعتقد اننى بدأت احب كل الناس من اللحظـــة التى وجدت فيها نفسى احب الايتام ٠ ومن اللحظة التى سألت فيها نفسى هذا الســـؤال .

ولماذا أكره طفلا آخر له أب أو أم ؟

اننا لسنا مسئولين عن هذا الحادث ٠٠ موت الآخرين ٠٠
بدأت اغنى للاطفـــال زملائى ٠ احبونى ٠ بدأت العب معهم ٠ كنت

صامتا بينهم .. اتكلم اخيرا .. كنت الضعيف جسديا وكانوا يسمعون كلامى .. وكنت اشترك معهم فى فرقة تمثيل .. وكنت افرح بالتمثيل لانى العب فى المسرحية دور القائد دور العريس ودور المنتصر وكان ذلك هو الحل الرائع الذى انتهت به كراهيتى لاى شخص . او اى شىء . اننى قبل ان اندفع الى كراهية اى شىء اسال نفسى السؤال الصعب ما هى الظروف التى جعلت الاخر يتصرف هذا التصرف ؟

وعندما نفهم الظروف نفهم الضعف وانا ايضا ضعيف وكلنا من هذا النوع الانسانى الذى يخطىء دائما .

كنت أريد ان انقذ نفسى من انياب قسوة الظروف على اليتيم .

فى شارع سلامة حجازى وكانت خطابات علية اختى التى ترسلها من الزقازيق وهى تبكى شوقا لنا تجعلنا نبكى وتذكرنا بان الفقر يشتت الاخوة

●

كان الراديو هو صديقى وصديق اخى . اسماعيل طالب بعد الظهر فى معهد الموسيقى وانا ايضا طالب فى معهد الموسيقى لم يكن عندنا راديو ولكن نسمع الراديو من حوش الجيران .

دخلت قسم اصوات فى معهد الموسيقى العربية .

وبدات اغنى . كانت حياتى هى الغناء . غنيت « يا وردة الحب الصافى » .. « والليل لما خلى » .. كان لابد ان اسلى نفسى وانا اطبخ وانا اشترى الخضار من السوق وانا اغسل الملابس وانا اخرج بعد الظهر مع اسماعيل لاذهب الى المعهد . وكنا نختلف انا واسماعيل . انه يركب الترام لانه قريب من ميدان بركة الفيل وانا امشى حتى السيدة زينب لاركب الاتوبيس ناقشنى اسماعيل كثيرا فى اننى اتعب عندما امشى . لكنى كنت اكره الترام .

ان صوته مزعج جدا لى . كان المشى فرصة لارى الاصدقاء وفرصة لالعب الكرة معهم . الان بعضهم دكتور فى امريكا او كندا .. بعضهم فى مصر .. احببت كل من حولى .. احبونى ولا اتذكر اننى ــ دخلت معركة مع احد . كنت اكره الخناق اكرهه لانه عنف واهانة . وانا لست فى حاجة الى ان يهيننى احد . والكلمة الطيبة تنقذ الانسان دائما .

وفى معهد الموسيقى كان كمال الطويل . كان يتكلم فى كل شىء .. اننى استطيع ان اقول الان انه كان يلعب مع موهبته لعبة الاستغماية فياتى فى الصباح ليقول :

ـ ليس لى علاقة بالموسيقى سأكون رساما ٠٠ ويشترى الوانا ٠٠ واوراقا ٠٠ وقماش شوال مشدود على مستطيل من الخشب ٠٠ ويحاول ان يرسم ٠ ويغرق فى مسألة الرسم اياما ٠٠ وعندما نطالبه بان نرى الرسوم يقول اى حجة ٠ انه يرفض ان يرى احد المحاولات التى يرسمها ٠٠ ويأتى يوم اخر وعيونه تلمع بالغيظ والدهشة .. انه غير مستريح من مسألة الرسم هذه ٠ يوم اخر ويقول انه يهوى التأليف ٠٠ وانه سيكتب قصة هائلة ٠٠ وانه سهر حتى الصباح مع هذه القصة ليضع خطوطها العريضة ٠٠ ويأتى اليوم الثالث ليقول انه قضى الليل فى القراءة لانه اكتشف أن القراءة أمتع من التأليف ٠٠ يوم رابع سيغنى ٠٠ سيجعل الغناء يدخل مرحلة جديدة ٠ ويأتى اليوم الخامس ليقول سأعزف الموسيقى وفى منطقة الموسيقى والغناء استقر كمال الطويل ٠ انتهت لعبة الاستغماية بينه وبين موهبته دخل المعهد العالى للموسيقى المسرحية قسم اصوات وكانت موهبته الجادة تجذبنى اليه ٠٠ اذكر اننا اصبحنا اصدقاء من اللحظة الاولى ٠ هناك اصدقاء فى الحياة لا تعرف كيف ولدت صداقتك بهم ٠ ولكنهم يظلون اصدقاءك الى الابد ٠ وكنا أخوة ٠ كمال يهوى الموسيقى والغناء والرسم وسندوتش الفول وسيخ الكباب والكتاب الجيد . ان عيونه تشرب الحياة واذنه ترتوى بالالحان ٠٠ وهو دائما عطشان القلب وهو دائما فى حاجة الى ان يقول انا اعيش وهو لا يعيش وحده ٠٠ الحياة عنده وليمة يشترك فيها الجميع ٠ اذكر احلى الولائم عندما نخرج من معهد الموسيقى الى محل ايزافيتش حيث الفول اشكال والوان والسلطة اصناف وانواع ٠ واسعد لحظاته عندما يوجه اليك الدعوة ٠ انه يذكرنى دائما بجوجان ٠٠ متمرد عظيم ومحب عظيم ٠ ان هناك بدائية راقية فى كل سلوك كمال ٠ صدق ٠ اخلاص ٠ وفاء ٠ يعامل الحياة كأنها بلاج صيفى يجب ان يحيا فيه الانسان حرا لا يعتدى على بهجة الاخرين ٠ وكنا نتقابل كل يوم يؤيد كلانا الاخر فى كل شىء ٠

●

شارع الشيخ سلامة حجازى شهد أيضا الخطأ الصغير الذى تسللت منه بقية الاخطاء الكبيرة ٠٠ شهد شارع الشيخ سلامة حجازى مشهد رؤيتى للدم فى البول ٠ البلهارسيا اللعينة ٠ انزعجت ٠٠ قال اسماعيل لنذهب الى المعامل بوزارة الصحة ٠٠ الليل كان مخيفا ٠٠ والفجر شهدنى وانا أزرق الوجه من السهر ٠ لا أدرى سر الخوف الغريب الذى دهمنى فور ان عرفت



انها البلهارسيا ٠

التحليل يؤكد ضرورة العلاج .. وكان الفؤادين علاجا جديدا .. ولكن لم يكن احد يعرف ان المرض تمكن منى الى ان ظهر اخيرا كنزيف فى المعدة ٠٠ شارع الشيخ سلامة حجازى ببركة الفيل ٠

هناك مبنى مهدم ٠ قالوا عنه ان فيه مقام شيخ حمى الحى من قنبلة فى الحرب ٠ وكانت الحرب فى الزقازيق ايضا ٠ هبطت قنبلة عن طريق الخطأ وانا بعد فى العاشرة من عمرى ٠ عام ١٩٤٠ ٠ قام خالى فى الليل وجمعنا كل ما فى المنزل ونزلنا الى الحلوات ٠ كان الاتوبيس يتأخر كثيرا ٠ جاء الفجر ٠

الحرب عندى ظلام كامل ٠ خوف من المجهول ٠ احساس بأن الدنيا كلها ستدخل الملجأ ٠ فرحت بالعودة الى القرية فى ذلك الوقت ٠ استطيع الآن ان اقول اننى احببت فى القرية ان الناس هناك اذكياء بالفطرة يولدون وهم يحملون الذكاء الطيب . الفرق بين انسان القرية وانسان المدينة ان ابن المدينة يتعلم ذكاءه ٠ كنت اتعذب وانا اقف فى الفجر مع خالى حتى اذهب الى المدرسة فى الزقازيق ٠ كان الاتوبيس يصل بى متأخرا ٠ كنت اجرى الى الحصة ٠ كنت اسأل المدرسين فى الفســـــحة عما فاتنى ٠ الان فى الحلوات مدرستان ٠ صحيح اننى ساهمت فى بناء مدرسة منهما ٠ لكن الدولة تتحمل الباقى٠ المدرسون ٠٠ الكتب والتوسع فى بناء فصول جديدة ٠ الذكاء الان فى الريف ليس صافيا وطبيعيا فقط ٠ انه ايضا يضـــاف له العلم ٠ لا يعرف احد فائدة وجود العلم فى نفس القرية الا جيـــلى الذى عذبه الاتوبيس وعذبه القطار وعذبه التنقل من بيت لبيت ٠ كل ذلك من اجل الحصول على الابتدائية ٠

●

شارع الشيخ سلامة حجازى به شجرة صفصاف . نفس الشجرة التى احبها واذهب اليها فى الحلوات شـــجرة الصـــفصاف فى الحلوات تنزل بصفاء الى الترعة قابلتنى السيدة التى تسكن بجانبنا فى بركة الفيل ٠ قالت بصوت فرحان (والله يا ابنى على راســـك هالة القبول ٠ ربنا يحبب فيك خلقه) كلماتها هذه تملأنى بأن الاخرين يحبوننى ٠ احب ذلك ٠ احبه منـــذ ان وافقت على قبول قرار القـــدر بأن اعيش فاقدا للاب والام ٠ ورفضت كراهية من لهم اباء من نفسى ٠ كنت اعتقد ان كلماتهـــــا هى دعاء امى لى



اشعر بهذا الدعاء فى عيون علية اختى . يخيل الى ان امى نظرت فى عيون عليةوسلمتها بريقا خاصا تحتضننى به دائما كلمات علية « السعد قدامك .. السعد يدخل كل بيت تدخله برجلك . السعد تحت رجلك . الفلوس الفضة تلاقيها فى التراب . التراب بين ايديك فلوس فضة . الفضة مش فلوس .. الفضة رضا من السماء » . اشعر فى عيون اسماعيل اخى ان ابى نظر اليها واعطاها بريقا خاصا بى ينظر لى كلما ارهقت نفسى . عيونه تقول لى (لا) بحزم وحب . فى مرة وانا فى بركة الفيل ويوم ان اصبت بالبلهارسيا جاء اخى محمد . راى الدم فى البول بكى . انه يخاف على . هذا الحب يجعلنى وحيدا يجعلنى اشعر انه هناك واجب ما يجب ان اقوم به . هذه الاسرة تدللنى . لم يكن هناك فساد فى التدليل . كان هناك امر صادر بأن اكون شيئا ما . شىء يعتز به الكل . ارسل محمد الى علية خطابا باننى مريض بالبلهارسيا وكاننى كنت الوحيد فى الدنيا الذى اصيب بالبلهارسيا جاءت علية من الزقازيق تسبقها دموعها . دخلت باب المنزل كنت اجلس فى الظل .. والشمس ساطعة واغنى . وقبل ان تقبلنى علية قالت دايما تغنى . دايما فرحان . دايما تخلى الناس تحسدك .

ضحكت وانا اقول لها .. « ما انا باحبك وباحب الناس وانت بتحبينى والناس بتحبنى وخلاص » .

قالت علية : « حاسب على نفسك من العين » .

قلت : ولايهمك .

●

خرجت فرحانا بعلية . قابلت السيدة جارتنا قالت لى الجارة مقبول فى كل مكان . ربنا محبب فيك خلقه .

كنت خارجا لاشترى لعلية كل شىء فى السوق . كان معى خمسة وعشرون قرشا لم اكن اعرف ماذا ساشترى لها بالضبط .. هل ساشترى حلوى .. ام خضارا ولحما لتطبخه لنا .. ام ساشترى لها كيس نقود كهدية .. تخيلت لحظتها انى قادر على ان اشترى الدنيا كلها بالخمسة والعشرين قرشا كنت فرحا بعلية هذا الفرح الذى يهز الانسان الصغير الى حد يرغب فيه ان يوزع سعادته على العالم كله .. فهذه اول مرة نجتمع فيها نحن الاخوة فى حجرة واحدة نملكها .. لسنا ضيوفا . أحسست أننى حر للغاية فى كل شىء .. سعدت بكلمات السيدة الجارة مرة اخرى (مقبول فى كل

مكان • ربنا محبب فيك خلقه) ضحكت لها • وقلت لنفسى (ان علية تخاف على من الحسد • سأذهب الى الحلاق) وجريت الى الحلاق • حلقت رأسى بالموسى • واعطيته أربعة قروش وفرح الحلاق للغاية • كنت احلق بقرش واحد فقط • عدت سريعا الى المنزل • قابلت السيدة الجارة قبل ان ادخل البيت •• ضحكت وقالت (حلقت شعرك الناعم • خايف الناس تحسـدك على شعرك الحلو • يا ابنى القبول مش بالشعر الناعم • القبول من عند الله • حتى لو لبست خيش تبقى مقبول) . فرحت بكلماتها كثيراً .

تركت بركة الفيل . كانت الشوارع قد ضاقت كثيرا .. قديما فى الحلوات كانت الحوارى ضيقة .. وعندما انتقلت الى الزقازيق وجدت الشـوارع اتسعت كثيرا •• وعندما انتقلت الى القاهرة وجدت كل الشوارع اسـفلت كطريق المعاهدة الذى تسير عليه العربات وكانت الشوارع كلها واسعة . عندما كبرت كانت بركة الفيل قد ضاقت ايضا .. ترى .. ما الذى يتغير فى عين الانسان عندما يكبر ؟

اقدامى تقودنى الى السيدة زينب • الساعة اصـبحت الثالثة • انا مدرس مفصـول لكثرة الغياب • قذفت حجرا بقدمى فى الطريق جريت كما كنت اجرى قديما • قفزت الى الاتوبيس • رأيت فى رأسى عيون علية اختى وهى تقول (حاسب على نفسك) رأيت عيون اخى اسماعيل وهو يقول (مستعجل ليه • مفيش حاجة حاتفوتك • عيب تهمل نفسك مش خايف تقع من الاتوبيس) • كان الاتوبيس نصف مزدحم • انا مدرس مفصول • هل اقف فى الدرجة الاولى ام الثانية •• مفصول ويجب ان احافظ على الجنيه ونصف الذى فى جيبى ضحكت على نفسى • هل سأحاسب على قرش صاغ هو فرق الدرجة الاولى من الثانية وانا لم احافظ على وظيفة بسبعة عشر جنيهـا •• وقفت فى الدرجة الاولى • وقف الاتوبيس فى باب اللـوق • اتجهت الى شارع الشريفين . الاذاعة . اين كمال الطويل ؟ . ها هو امامى •

قلت له : انا مدرس مفصول •

ضحك وقال :

ــ هو ده الصح .. التدريس لك وظيفة غلط .. ايه رأيك فى وظيفـة بستين جنيها فى الشهر ؟







غيّرت كل شروط عبد الوهاب

مع عبد الوهاب ٠
كان المفروض أن أسافر لبعثة في دراسة الموسيقى ، لكن غيرى « لطشها » ٠٠ فأصبحت مطربا مشهورا ٠٠ حذرونى كثيرا من عبد الوهاب لانه ناعم يغرق الانسان فى الاعجاب فلا يعرف رأسه من رجليه ٠٠ لكنى خضت فى بحر عبد الوهاب وأجدت السباحة دون أن أغرق ٠





الفرس تطربه الموسيقى . ولايطرب الفرس للغاية ، الابموسيقى المزمار م والمولد فى الحلوات كل عام لسيدى أبو شبانه أحد اجدادى .

واحلى مافى المولد هى حلقة الذكر التى تشدو بطلب الرحمة .. والفرس وهو يرقص . والذين يلتفون حول حلقة الذكر هـم «الشبانية» .. وهى احدى الطرق الصوفية . وغناؤهم يرتفع كحفيف ورق الصفصاف . يناجون الله بهمس خافت . يقف على رأسهم شيخ هو حفيد شبانه الكبير . وشبانه الكبير رجل طيب جاء من الحجاز ليتزوج وينجب والاولاد تفرقوا فى مصر الدلتا ومصر الصعيد .. ومصر حلوة دائما للقـــادم . بشوشة وطيبة .. انظر جيدا فى خريطة الدلتا .. تجدهـا ابتسامة كبيرة .. أنا أرى مصر من الطائرة كضـــحكة القلب الصافية . ويبدو أن شبانه الطيب الذى جاء من جزيرة العرب رأى ابتسامة مصر ، ويبدو انه انبهر بجمال نســاء مصر .. فتزوج على سنة الله ورسوله من الشرقية . والدليل أن هناك أكثر من فرع لعائلة شبانه . وكل ابناء شبانه كما يؤكد اخى اسماعيل . من صلب هذا الرجل الشيخ .. الذى أصـبحت له طريقة وله اتباع وله مولد . وفى المولد غناء ومزمار .

هل اصل الغناء فى اسرتى قادم من شبانه الكبير ؟

لا اعرف ..

ولكن ذكريات المولد فى الحلوات تؤكد لى ان صوت الشـــبانيه كان يطربنى ويطربنى معه صوت المزمار ورقص الخيل ..

كنت اشعر بالزهق من ضجيج المولد . لان الناس فى المولد تزدحم على لا شيء . لا احد ينتبه تماما للموسيقى .. ولا احد ينتبه تماما للذكر الا من يذكر . الكل عيونه مفتوحة لكن لا احد يرى ما امامه . العيون المفتوحة تنتظر ان يحدث ما يبهجها . لذلك يصبح هذا الزحام على لا شىء .. ولا يسلينى فى زحام المولد الا المزمار والحصان ، لذلك عندما اختـــار لى محمد حسن الشجاعى دراسة الابوا . احسست انه يختار لى ما كنت أحبه فى المـــولد . عازف أبوا . دراسة لمدة ثلاث سنوات لآلة الابوا فى المعهد العالى للموسيقى المسرحية . استعملها عبد الوهاب فى الحبيب المجهول وسجى الليـــل وفى كثير من اغانينا . والابوا هى المزمار البلدى الذى سافر الى أوربا وعاد انيقا وله امكانيـــات .

قدم لى كمال الطويل العرض بان أعمل فى فرقة موسيقى الاذاعة عازفا للابوا . والمرتب ستون جنيها . وكان كمال يعرف ان هناك حزنا خاصـــا فى حياتى ، حزنا جديدا تماما . فقد كنت الاول فى دراسة هـــذه الآلة وكان المفروض ان اسافر الى ايطاليا لبعثة لدراسة هذه الالة . ولكن الوساطة فى معظم الاحيان تسبق المجهود ، سافر واحد غيرى . احيانا اضحك على هـــذه الوساطة . فلولا انها تدخلت لكنت مازلت اسيرا فى مهمة العزف على الابوا وحماس كمال الطويل لعملى ، فى فرقة الاذاعة كبير . ونجحت فى الالتحاق بالفرقة . وكمال الطويل فرحان والمرتب ستون جنيها . وكانت فـــرقة موسيقى الاذاعة فى حياتى عباره عن رحلة وفرصة اقف فيها بعيدا عن الغناء لادرس جيدا . كنت اعزف وراء كل المطربين والمطربات ماعدا أم كلثـــوم وعبد الوهاب . كنت أضع المطربين أمام عيونى وفى عقلى . اريد ان اعرف السر وراء تقدم هذا ، ولماذا يتأخر ذلك . ما الجديد فى هذا وما التكـــرار فى ذلك ..

وبنفس الحماس الذى ابداه كمال الطويل لعملى فى فـــرقة الاذاعـــة الموسيقية بدأت عليه بوادر حماس آخر .

انت تملك صوتا شجيا ـ هذه كلماته ـ لابد ان تقتحم مجال الغناء . كمال يشعر ان هناك شيئا قادما .. ماهو ؟ . هنــاك احســـاس بان دنيا الفن يجب ان يضم اليها صوت جديد .. ليس معنى ذلك نهاية جيل انما معناه ان يولد ايضا جيل جديد .. هذا هو مجال الحوار بيني وبين كمال الطويل .. كلمات كمال التي مازلت اذكرها بالحرف ..

« اسمع يا عبد الحليم .. أنت عندك استعداد رائع للغناء » .

كنت ارى حماسه لموهبتي .. وكان يريد ان يفتح معى باب الطـــريق الذي يبدو مغلقا .. انه مغلق بحكم التفاصيل الصغيرة . وكان كــل شيء يمشي في الحياة المصرية برتابة وملل نظام العمل في الاذاعة ان يختار الملحن المطرب مادام المطرب ليس على القمة . وكان لكل ملحن « ركن » خاص به .

●

وكمال الطويل يحاول ان يقنع بعض الملحنين بان يعطونى بعض الحانهم لكنهم في معظم الاحيان يهربون ويماطلون ويتفننون في الاعتــذار الا عـــلى اسماعيل الذي كان زميل سنوات الدراسة والذى اقنعه كمال الطويل ايضـا انه ليس موسيقيا فقط ولكنه ملحن ايضا . كان على مختلفا عن هؤلاء الملحنين الذين لايملكون طاقة التحرر والمغامرة والتغيير . اذن فلماذا نجبر من لايملك روح العطاء على ان يعطى ، انه يريد الوقوف فقط امام خزينة الاذاعــة ليقبض الا على اسماعيل انه شاب مثلنا . امهر عازف على الكلارنيت والساكسفون . صديق مخلص . عمل معى طوال مراحل الحياة لدوجة انني اقنعته ـ فيمــا بعد ـ ان يؤلف الموسيقى التصويرية للافلام . وهو لايتوقف عن اكتشـــاف نفسه واكتشاف الاخرين : قدم الثلاثي المرح . قدم اغاني راقصة موزعة توزيعا علميا .. منها اغنية ظهرت لى « يامغرمين .. ياعاشقين » .

وكنت اعيش في تلك الفترة باحساس هو ان الغناء موجود منذ ان وجد الانسان على الارض لكن اذن الانسان لاتكف عن العطش من الارتواء من الغناء الجديد . لم يكن في رأسى انني سأحطم عبد الوهاب .. أو سألغى أم كلثوم أو انني ساكسر كل القمم الفنية .. ابدا .. هذا احساس بالحقـــد .. وانا لا اقبله لنفسي . لان الحاقد لايرى امامه سوى حقده .. سوى عجزه . والغناء حب للآخرين . نداء لنجمة بعيدة تعيش في السماء مهمتها اسعاد الاخـرين . كنت اقف كعازف ابوا خلف نجوم الغناء لاعرف ميزة كل منهم . كيف يتقـــدم هذا كيف يتأخر ذلك ما الذي يميز هذا عن ذاك . كنت ادرس الالحان التي

تعزف . أعرف كيف يعزف هذا الملحن التكامل فى اللحن الذى يؤلفه ، وكيف يبدو لحن آخر كالطبخة « الناقصة ملح » وكيف يموت لحن بيد الملحن لأنه لايعرف كيف يبدأ أو ينتهي وكيف يحيا لحن اخر لانه قطعة من التعبير الحى عن شخصية الفنان الملحن • وكيف تحيا اغنية لان الذى يؤديها يشعر بكلماتها •• احفظ كلمات كمال فى احدى الليالى ••

ـ يا حليم صحيح انا طلبت منك انك تعزف فى فرقة الاذاعة •• لكن لو وافقتك على الاستمرار فى العمل كعازف فقط لكنت ارتكب جريمة فى حقك • انت لاتعرف قيمة صوتك •• انه صوت يملك الاحساس والشجن •

وقدم كمال الطويل طلبا لى •• لاكون مطربا معتمدا فى الاذاعة •

●

ووقفت امام أول لجنة استماع يرأسها المرحوم الاستاذ مصطفى رضا • لم اكن خائفا من الميكرفون •

بدأت اغنى اغانى عبد الوهاب وأم كلثوم •• فوجئت بأن اللجنة تعترض على طريقة ادائى . . يعترضون على أهم ما اردته لنفسى . . اسلوبا جديدا لا اتلد فيه احدا . هدفى الاساسى فى الغناء ان ابسط الغناء لكل الناس . ان اجعل كل واحد يحس انه يستطيع ان يغنى . وكنت اعرف ان البساطة فى الاداء هى اصعب انواعه . ولكنى اخترت هذا الطريق .

واعتقد ان ادائى هذا هو الذى جعل لجنة الاستماع تقول عنى انى خواجه !!••

خرجت من امتحان لجنة الاستماع وانا احس اننى سأصل الى الناس اخيرا . . لابد ان يحدث ذلك . . كنت امشى فى الشارع .•. ورايت رئيس لجنة الاستماع الاستاذ مصطفى رضا يمشى • كادت عربة تصدمه •• بلهفة خوف الشاب على الشيخ جريت اليه اشده الى الرصيف قبل ان تصدمه العربة •• قال الرجل العجوز الذى كان ضعيف النظر للغاية ونظارته السميكة لا توضح له الطريق :

ـ متشكر يا ابنى ••

ثم ضحك وقال :

ـ لكن ده احنا لسه قايلين على صوتك لا ••

قلت ضاحكا :

ـ ما انا جريت الحق سيادتك •• احسن ـ لاقدر الله ـ الغناء يتطور ••

ومضينا معا في الطريق بعض الوقت وهو يكرر نصائحه بأن اغني غناء شرقيا لا غناء الخواجات .

ولم اقتنع الا بالبساطة · كان يعتبر البساطة غناء خواجات !!

التقى بصديق في احدى السهرات · وكنت ادندن لنفسي ·· قال : في هذا الصوت شجن غريب · رد عليه صديق آخر : الحزن في صوته صـــاف ويلمس القلب · واكتشفت بعد ذلك بسنوات ان الاثنين هما جمـــال كامل وحسن فــؤاد ··

●

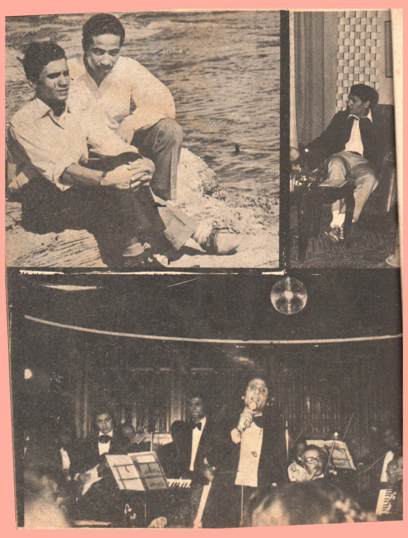
حماس الاخ والصديق والاب حافظ عبد الوهاب لا يقف عند حد · اتقدم مرة اخرى الى لجنة الاستماع · كمال الطويل يؤكد لي انه لابد ان انجـــح · عبد الحميد عبد الرحمن نقيب الموسيقيين في ذلك الوقت يعترض · من رايه ان اظل عازفا للابوا ·· نوع من التحمس لهذه الالة التي يحبها واحبها · لجنة الاستماع الجديدة اعضاؤها كبار أهل القمة في الغناء والتلحين · أم كلثـــوم عبد الوهاب · رياض السنباطي · محمد القصبجي · حافظ عبد الوهاب بذات اللجنة تسمع · عبد الوهاب انتشى وقال « الله » · أم كلثوم بابتسامة طيبــة ودودة اعلنت عن اعجابها · رياض السنباطي هناني · محمد القصبجي قال : مبروك · حافظ عبد الوهاب · كان فرحا كان نجاحي هو نجاحه الشخصي ·

ماذا بعد النجاح الاول في عالم القاهرة ؟

كان اي انسان يجتاز هذا الامتحان يتعجل الغناء بأي طريقة وبأي لحن وبأي كلمات ·· المهم ان يسمع صوته في الراديو · ولم اكن من هذا النوع ، كان يهمني أن يسمعني الآخرون · اذن لابد من مواصلة الطريق ·· تبسيط الغناء ·

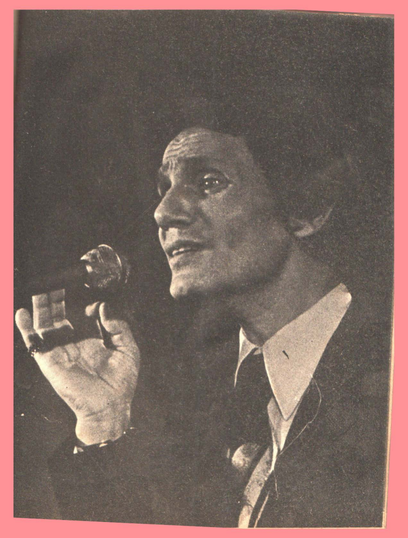
كنت اريد ان يشعر كل انسان انه يســـتطيع ان يغني وان من يغني انسان عادي مثله · وكنت مصرا على ان اختار الكلمات واللحن وكانت قصيدة لقاء لصديق الطفولة الشاعر صلاح عبد الصبور ·· هذا الشـــاب الاســـمر المتواضع المليء بالكبرياء · الذي كان يقتل الملل بالقراءة ·· ويقتل الملل مرة اخرى بأن يحكي لي ما قرأه ونحن على القهوة · هو قارىء جيد وانا مســـتمع جيد . وكان احد الذين يرفعون راية التغيير في الشعر وكان اصراري على أن يلحن قصيدة لقاء هو كمال الطويل · ان لم يلحنها فلن اغني ·· كنت احس ان كمال الطويل يملك كنزا عظيما وجديدا على موسيقانا ·

وجاءت اللحظة التي قال فيها المذيع في اذاعة القاهرة :









– سيداتي وسادتي نقدم لكم قصيدة لقاء شعر صلاح عبد الصبور . تلحين كمال الطويل وغناء عبد الحليم حافظ .

وكان اسم عبد الحليم حافظ هو عرفان بجميل الرجل ، شعلة الحماس الاستاذ حافظ عبد الوهاب .. والقاهرة كل صباح تشهد بروفات لاغنيات يغنيها غيري والعب فيها دور العازف .عازف الابوا .كنت عازفا ومطربا في نفس الوقت وابحث عن اغاني جديدة . وكانت صافيني مرة تقدم لي هذا الجـديد. وكان هذا هو لقائي بمحمد الموجي المهندس الزراعي الذي استقال من اربعين فدانا اعطتها له الحكومة . وقال هناك غيطان خضراء هي الموسيقي واصـبح ملحنا شجيا .

كنت احس انني ضمن جيل جديد كلنا نريد ان نقدم شيئا . لايعثر أحدنا على الراحة في تقليد احد .. في مصر زهور كثيرة من نوع عباد الشمس .. تبحث عن النور وتتجه اليه في الشعر في الادب في الصحافة في الفن . عيون جديدة تريد اكتشاف كل شيء وقلوب تحب كل الحياة وتريد ان تطور الحياة بنفسها .. أحمد بهاء الدين . حسن فؤاد . صلاح عبد الصبور . صلاح جاهين . كمال الطويل . الموجي . فاروق خورشيد . موسى صبري . سبقنا على الطريق بخطوات احسان عبد القدوس . محمد حسنين هيكل . كمال الملاخ انيس منصور كثيرون ولدوا في هذا الوقت الذي كان قلب مصر كلها زهـرة عباد الشمس تنبت لتبحث عن التغيير .. كل منهم يملك الموهبـة الحقيقية ويبحث عن الجديد ليقدمه .. وكانت الايام تجرى بين العمل كعازف وبـين البحث عن كلمات جديدة والحان جديدة . ويكاد معهد الموسيقى في تلك الفترة ان يكون محل الاقامة . فالبروفات تجرى فيه والكلمات هناك عن عبد الوهاب والاذان عندما تسمع الاغاني الجديدة تقول مبروك وتنهال النصائح « حاسب على نفسك .. الذين على القمة عبد الوهاب . أم كلثوم . فـريد الاطرش . محمد فوزي . عبد العزيز محمود . كارم محمود . عبد المطلب . عبد الغني السيد . محمد قنديل » .

●

كان العمل يشغلني تماما عن كل الاصوات الجالسة . هناك دافـع يجعلني امشي في الطريق .. طريقي . ما هذا الدافع ؟ لا اعرف .. ردهات معهد الموسيقى تحكي عن عبد الوهاب . وعن القدرة الهائلة على التهام الطعام وعن النعومة البالغة التي تجذب قلوب النساء وعن الاذن الذكية التي تستمع الى الموسيقى .. وانا اسمع فقط .. لا اتكلم . الكلمات أحيـانا تكون غير

ضرورية . فعندما يتكلم العمل عن الانسان .. هذا افضل بكثير من ان يكف الانسان عن العمل ويتكلم ..

وجاء لى المعلم صديق متعهد الحفلات فى الاسكندرية ليقـــول انه يقيم حفلات كبيرة فى المسرح القومى بالاسكندرية ٠٠ وانه يرغب فى تقديمى على هذا المسرح وانه يتوقع ان اغنى اغانى عبد الوهاب القديمة ٠٠ لكنى قلت له بمنتهى الوضوح اننى ساغنى اغنياتى الخاصة بى ٠٠ ويسالنى ٠٠ من تلحين من ٠٠ فاقول « كمال الطويل والموجى » ويوافق على أمل ان يقنعنى بعد ذلك بغناء اغنيات عبـــد الوهاب القــــديمة . كنت أحس ذلك فى موافقته . وسافرت انا وكمال والموجى ٠ واصعد الى المسرح ٠ اغنى اغنياتى ٠ الجمهور لا تعجبه الاغنيات يقول الجمهور « انزل . ايه الغنا ده » واستمر فى الغناء لمدة عشرة ايام ٠ لابد ان يعرف الجمهور ان هناك غناء جديدا ٠٠ طلب منى المعلم صديق ان اتراجع واغنى اغانى عبدالوهاب القديمة بعد ان احس بفشلى رفضت . قال : يا ابنى انا عايز اخدمك واخدم نفسى . رايت فى عيونه رغبـــة فى ان يسدى الى جميلا ٠٠ قلت « حاضر » ٠٠ فكرت قليلا فى هذا الجميل ٠٠ عرفت انه « جميل قاتل » ارد الى المعلم صديق العربون واعتذر ٠ كانت هى الخمسة جنيهات الوحيدة فى جيبى ٠ اخرجتها واعطيتها له ٠ وكان على ان ابحث عن وسيلة للعودة الى القاهرة ٠ كنت مفلسا تمام الافلاس لم يبق الا ان اهمس فى اذن تحية كاريوكا ٠٠
— معاكى خمسة جنيه سلف ؟٠٠

وتحية اخت لكل الفنانين ٠ انها حضن دافىء بالحنان ٠ لاتستطيع ان ترفض طلبات لصديق أو لناشىء ٠ ان قلبها ملىء بالحب دائما ٠ اخرجت من جيبها خمسة جنيهات وقدمتها لى ٠ قررت أن اسهر الليلة مع الاصدقاء بقيت فى الاسكندرية مع كمال الطويل ٠ فوجئت بأن تحية كاريوكا ٠٠ تخانقت أيضا مع المعلم صديق ٠ انها ترفض الايفهم احد ظروف الفنان ٠ تركت هى أيضا المعلم صـــديق ٠

عدت الى القاهرة ٠ فوجئت صباح احد الايام بأن كمال الملاخ يكتب عنى كمال لم اكن اعرفه من قبل ٠ احببت فيه ذلك ٠ كنت اعرف فقط انه فنـــان واثرى ورجل ينتقى الكلمات من بين اوراق الورد ٠ كلماته دائما لها عبير ٠ هو الذى وضع بعض اسس الاختزال للاسماء بدلا من الدكتور فلان حرف د.. وبدلا من ان يقول كل الاسم .. يضع الحرف الاول منه . انه انسان شيك جدا فى قلمه وفى حياته .

وافاجا ايضا فى صباح احد الايام بكامل الشناوى يكتب عنى يقول : هذا صوت صادق ومشحون بعاطفة حلوة ولها شجن . أفرح بالكلمات . كنت اغنى يوما عند احد الاصدقاء .. رأيت كامل الشناوى . انه والد كل الفنانين الجدد . عيونه تكشف الموهبة . قلبه عامر بحب الفن . يؤمن ان الفنان يجب ان نوفر له كل الامكانيات . كان لايفكر ابدا فى نفسه . يفكر فيما يقدمه للاخرين . وكان هناك الجيل الجديد . كنا جيلا يتجه الى تبسيط الحياة الى كسر هذا الحاجز بين الفن وبين الناس .. ونرى انفسنا احرارا بمواهبنا . لانعرف حقدا على جيل سبقنا . ندخل المعارك بهدوء ودون ضجيج . وكان أهم ما يميز هذا الجيل انه لايعرف النفاق أو الكذب ويملك عناء لا حد له .

●

ويأتى يونيو ١٩٥٣ . كنت مرهقا بالعمل .. مشتتا . يجب ان آخذ اجازة . يجب ان اعود الى هناك . الحلوات . وهناك يمكن ان امشى وان اجرى وان العب . وهناك يمكن ان التقى بشجرة صفصاف ومنزل العمة .. وبيت الخال ..

هناك لم يؤذنى احد ولم يرهقنى احد ..

القطار الى الحلوات . الريف هادىء من شباك القطار . العين تغسل نفسها فى نفس الوجوه ونفس الجدران . الانطلاق . بيت قديم فى الحلوات اجلس . أحيى الكل . الكل يحييني .. امام باب احد البيوت باب دوار العمدة كان الوحيد الذى يملك فونغراف له بوق كبير . ومن خلال هذا البوق كان يصعد صوت عبد الوهاب .. فى الليل لما خلى . على الشجرة العالية وقف كروان . فى آخر القرية برج حمام . الحلوات بعيدة جدا فى الوصول اليها بالمواصلات . اربعين كيلو بعد الزقازيق قطعتها فى تاكسى قديم . قديما كان يأتى الاتوبيس ليحملنى انا وخالى ليذهب الى العمل ولاذهب الى المدرسة . كان لابد ان نركب فى الفجر حمارا . وبعد ذلك قطار الدلتا . وبعد ذلك نمشى مشوارا لمدة ساعة الا ربع . اطول المشاوير فى طفولتى يوم ان انكسرت قدمى . كنت العب الاستغماية مع الاطفال . خبأت نفسى خلف بيت مهدوم .. كان بابه الكبير هو الشىء الوحيد الثابت فى الارض . وقع الباب .. على صخرة . كنت واقفا بجانبها انحشرت ساقى ما بين الباب والصخرة . انكسرت ساقى . صرخت . حملنى الاطفال الى بيتنا . حملنى اسماعيل على كتفه . ركبت حمارا

الى مستشفى بعيد عن قريتنا . كان الالم بشعا .. وضعوا ساقى فى الجبس . يوم ان نزعوا الجبس فرحت . جريت الى الباب الذى وقع على قدمى وكسرها ووقفت عليــه .. لماذا فعلت ذلك ؟ لا أدرى . كـأنى كنت اريد ان انتصر على البـــاب .

القرية كلها ترحب بى . يقول لى احد الشبان انه سمعنى فى الراديو . يقف مؤذن الجامع ..

قـــال :

ـ طالع لجدك .. الشيخ شبانه . كان يقرأ القرآن . تسكت له الطير . يطالبنى المؤذن أن اؤذن انا لصلاة العصر .. اصعد الى المأذنة . انادى ، الله اكبر .. الله اكبر .. واصلى العصر معهم ..

اخرج . قالت الداية : الشاب لازم يفكر فى الجواز .. لكن لا يمكـــن تخطب انت واحدة من البلد ، كلهم اخواتك .. كلهم رضعت من امهاتهن .

ينتهى اليوم . العودة الى القاهرة . تبدأ بروفات اول احتفال بعيـــــد الثورة . أول عام مر على ٢٣ يوليو .. كواليس مسرح صيفى كبير هو مسرح الاندلس . سأغنى على هذا المسرح . كانت مفاجأتى لكل الموجودين ان الفرقة التى ستعزف خلفى مكونة من ٦٠ عازفا . ليلة الاحتفال تشهد حوارا بينى وبين يوسف وهبى . انه يطلب منى ان افتتح الحفل . هناك مطربون ونجوم كثيرون على القمة . فريد الاطرش . ليلى مراد . عبد المطلب . محمد فوزى . سامية جمال . نعيمة عاكف . الكحـــلاوى . كارم محمود . عبد العزيز محمود . اسماعيل يس . شكوكو وجميع فنانى مصر كانوا هناك . والكل يطلب ان يغنى أو يرقص فى وسط الاحتفال لا ان يبداه . معروف ان الناس تحب ان تسمع الغناء فى الليل . وفى بداية اى حفل يكون الجمهور غير مؤهل للسماع طلبت من يوسف وهبى ان اغنى بعد نشرة الســـاعة الحادية عشرة . تعجب يوسف وهبى . قلت له باصرار اننى لن اغنى الا اذا لم اصــعد على المسرح فى الوقت الذى حددته انا . يوسف وهبى يفرح لان فنانا شابا لايقبل ان يقدم باى صورة على المسرح . قدمنى يوسف وهبى فى الميعاد انفتحت الستار عن مطرب شاب ببدلة شاركسكين وعود نحيل هو انا . وخلفى ســــتون عازفا وكانت هذه هى أول مرة يقف فيها هذا العدد من الموسيقيين خلف مطرب . تحول التخت يومها الى فرقة كبيرة . انتهى عصر العدد البسيط من الآلات التى تردد أى لحن واى موسيقى لتصبح الموسيقى نوته مكتوبة امام كل عازف .



وبدأت مواجهة الجمهور . الزحام . انه ليس زحاما بالمعنى العادى . انه بحث عن لحظة خاصة . بدأت أغنى صافينى مرة . وزع موسيقاها على الآلات على اسماعيل . كنت اقود الفرقة . كانت أول مرة يقود فيها المطرب الفرقة التى خلفه . اسافر اثناء الغناء الى مكان الحب . ابحث عن الحنان الخاص لكـــل انسان . الغناء شمعة تضىء المجهول . يصفق الجمهور . اولد من جـــديد . الليلة فرح كبير . ولد فنان اسمه عبد الحليم حافظ . اذكر جيدا اننى خرجت من المسرح فرحا . مشيت حتى المنزل فى المنيل . نمت .

كأنها كانت أول مرة فى حياتى انام فيها . واذكر جيدا اننى حلمت يومها بالباب الذى كان قد وقع على ساقى . وبيوم فك الجبس . وباللحظـــة التى دققت فيها الباب بقدمى بعد ان شفيت من الكسر .. واحلم ايضا بلحظة فــك جاكت الجبس الذى وضعونى فيه يوم سقطت من على فرع شجرة يوم ان كنت اسمع عبد الوهاب فى الزقازيق .

●

فى الصباح ذهبت الى معهد الموسيقى استقبلونى على الباب .. قالوا ان الاستاذ عبد الوهاب طلبنى بالتليفون !!

يطلبنى أنا ؟

يدق التليفون مرة اخرى . ابى الروحى حافظ عبد الوهـــــاب يكلمنى ويقول ان الاستاذ عبد الوهاب يريد أن يراك .

اين كمال الطويل .. اين محمد الموجى ؟ ووقف معهد الموسيقى كلـــه يلقى بنصائحه ..

ان هؤلاء لايعرفون ان ما حدث امس هو نتيجة ان هناك جيلا جديدا يقدم فنه للناس .. لايفكر فى هدم اخرين ولا يقارنه بأعمال الكبار . كنت اعرف ان نجاح الجديد هو تأكيد وتثبيت لاقدام القديم ان كان صالحا للحياة .

قالت الاصوات الجالسة « حاسب على نفسك » .

قلت لنفسى ..

« عندما يبرق النجاح تهطل النصائح » .

اعرف ان مكتب عبد الوهاب فى شارع توفيق . لم ادخله من قبل . الحكايات تذكر عبد الغنى السيد ومحمد امين . كل حصر نفســـه فى دور التلميذ . وجلال حرب صوت من الاسكندرية . جاء الى القاهرة . ولمع فيها ولكنه احترق . لماذا . ومعهد الموسيقى لا يهدأ . يحكى عن عبد الوهاب يقولون ان الوقوف فى حجرة عبد الوهاب يحمل خطرا صغيرا وقاتلا فى

نفس الوقت • الخطر هو اعجاب عبد الوهاب بكل شيء • فيضـــان الثناء والانبهار على لســــانه لا يهدأ . والاعجاب يخلط بين الحسن والسيىء . ويسقط الانسان بعدها فيما لا يعرف • صورة المعلم صديق الذى طالبنى بان اغنى لعبد الوهاب معى فى تلك الليلة « يا ابنى غنى اغنيـات عبد الوهاب حتى لا ينام الناس » قلت لن اغنى اغنيات عبد الوهاب • قال •• اعقــل وغنى اغانى عبد الوهاب • قلت لا •• اعطيته الخمسة جنيهات التى كان قد دفعها كعربون •

عبد الوهاب ميعاده غدا • اليوم يمر وانا صامت • افكر فى الميعاد •• امشى على النيل • انه يحمل خصبا غريبا • جاء الليل • سالتنى علية « مالك » .

قلت : ابدا مفيش حاجة .

قلت لنفسى قد اكون نقطة وقد يكون عبد الوهاب جبلا • لكن لن اقلد الجبل ولن اضيع فى ظله • احاول ان انام • جاء النوم متأخرا للغاية فى طلب الليلة .

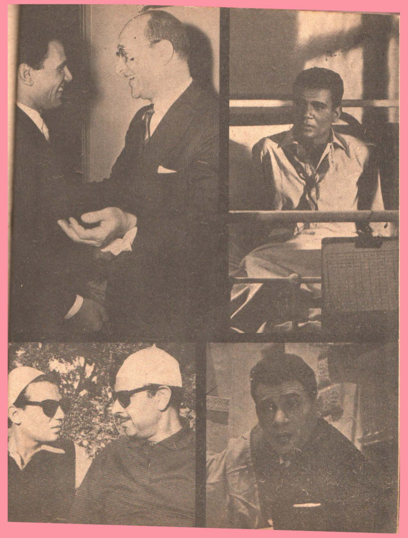
الصباح • مكتب عبد الوهاب فى شارع توفيق • مكان بلا ضــــوء • شبابيك مغلقة • وضوء اباجورة • ووجه عبد الوهاب يقول :

ــ مبروك •

انا امام البلبل الحيران •• والليــل لما خلى •• وســجى الليــل • والخطايا • وجبل التوباد • ومين عذبك بتخلصه منى •

كنت هادئا تماما • كان راسى يدور فى مكان اخــــر • حيث التقيت باحسان عبد القدوس • وكان احسان دائما هو المتحمس للشباب • ويعتز بهم •• قال لى وتكمال الطويل « ان عبد الوهاب له طريق •• وانتم لكم طريق •• عبد الوهاب سوف يستفيد منكم وســـياخذ احلى ما فى الجديد الذى تقدمونه وسيقال بعدها انكم تقلدونه » كنت اقف فى حجرة عبد الوهاب وانا اشعر ان قدمى ثابتة . فكانت كلمات احســان هى تنبيه . بالا اقف امــــام عبد الوهاب الا وقدمى ثابتة . كان فى حجرة عبد الوهاب الشيخ محمـــد اسماعيل الملحن . معى محمد الموجى . بدأت اغنى الاغنيات الخاصة بى . الموجى يعزف على العود . طلب عبد الوهاب ان اغنى اغنية له . بدأت اغنى . سقطت دموع عبد الوهاب من تحت النظارة . تحمد شىء ما . اعجابه لم يكن مجرد كلمات . كان يسمعنى باحساسه . . سالته :

ــ لماذا تبكى يا استاذ عبد الوهاب •



قال بصوت متأثر :
ـ لاول مرة اسمع فيها واحدا يغنى اغنياتى من غير ما يقلدنى ٠ انت شخصية غنائية جديدة ٠
طلب عبد الوهاب ان ادور حول نفسى ٠
وقال :
ـ « انت شاب رقيق تصلح للسينما ٠ غدا توقع العقد » ٠
افرح بلقاء عبد الوهاب ٠ املك الاحساس انه لا يموت فى طريق الفن الا من يستحق الموت ٠ فى الليل سمعت ان ذكاء عبد الوهاب بلا حدود ٠ وكنت اعرف ان دورى هو ان ادرس عبد الوهاب عن قرب ٠ اقترب من هذا الانسان الذى ظل على قمة الفن ثلاثين عاما ٠
قال الموجى :
ـ هذا الرجل سيأخذك منا ٠
قلت :
ـ سأكتب فى العقد انك انت وكمال الطويل ستلحنون لى ٠٠
الصباح . مكتب عبد الوهاب اوقع عقدا بـ ٢٠٠ جنيه . ومن شروط العقد ان تختار لى شركة الاسطوانات كلمات الاغنية .. وقلت « لا » .. وتم تعديل الشرط . انا اختار بنفسى كلمات اغنياتى . وفى عقد شركة الافلام شرط ان يلحن لى عبد الوهاب كل اغنيات الافلام . قلت « لا » .. ايضا يلحن كمال الطويل والموجى » وتغير الشرط .
قال كمال الطويل وهو يسمع حكاية العقد وما تم فيه : عقود عبد الوهاب لن تنفذ ٠
قلت ونحن نسير فى طريقنا : ماذا ؟ ٠
وبدأت شركة الاسطوانات تسجل الاغانى ٠ جاءت اغنية على قد الشوق » ٠ كان كمال الطويل قد لحنها لأحد كبار المطربين ٠ رفض المطرب أن يغنيها ٠٠ الا اذا تغير اللحن ٠ قال كمال الطويل للمطرب « لا » ٠
غنيت انا على قد الشوق ٠ وصافينى مرة التى نبهت الناس الى صوتى ، انما اغنية على قد الشوق فنبهت الناس الى اسمى ٠
عليه تفرح ٠ محمد شبانه يفرح ٠ اسماعيل شبانه يقول « مبروك » وكنت انا الوحيد الذى يغرق فى الحزن ٠ هناك مسئولية أن تكون نجما صاعدا ٠٠ انتهى عصر وضع الصور على الحائط التى تدعو لسماعى ٠ كانت هذه هى الطريقة فى الاعلان ٠٠ صورة مكتوب عليها « الفنان الشاب عبد الحليم حافظ » ويخصم ثمن الاعلان من أجر الفنان ٠

كنت أريد أن تكون لى حياتى • عالم الاغنيات الجديدة تماما • كنت قلقا للغاية •

عقود السينما التى وقعها عبد الوهاب لاتنفذ . وكلما سألته عن الميعاد • يجد الف اعتذار • أصنع مع الموجى والطويل خطوات المستقبل •

لم تكن « على قد الشوق » الا نهاية مشوار وبداية مشوار آخر •• لا احد يعرف أننى غنيت قبل هذه الفترة لعبد الرءوف عيسى وصلاح محمود وخليل الحصرى وعبد الحميد توفيق زكى • ومحمد عفيفى واسماء غيرها • لكن كان مشوارى الحقيقى مع كمال الطويل والموجى • اننى أرى ان الفتافيت التى يرميها كمال من لحنه فى امكانها أن تصنع الحانا أخرى • فكمال يحب أن يكون لحنه بناء كاملا لا يحتاج الى زخرفة • الموسيقى التى يؤلفها هى تدفق فى الاحساس وبساطة فى التعبير • وكمال هو الذى وضع ضرورة التوزيع الموسيقى بصورته الحالية • أما محمد الموجى فهو بسيط • والحانه تتحدى الزمن بما فيها من عمق ونحن الثلاثة نسير فى مشوار النجاح •

كان هدفى فى هذه الفترة هو ان ادرس عبد الوهاب .. ان عبد الوهاب هو الذى مهد الطريق أمام الاذن فى الشرق لتسمع الموسيقى الجديدة •• وليس هو الذى « يلطش » موسيقى الغرب • أنه نوع من الفنانين الذين تعيش الموسيقى فى عقلهم الباطن وخلاياهم •• ثم تخرج بعض هذه الانغام فى الحانه وجاء بعده من وسعوا دائرة الاستماع للموسيقى الجديدة • محمد فوزى • محمد أمين • جلال حرب • وعندما جاء كمال الطويل والموجى كان شكل ومضمون الاغنية قد تغير . ولو سألنى احد الآن ما رأيك فى عبد الوهاب؟ أقول أنه فنان على درجة رائعة من الفن .. حساس حريص وليس بخيلا . لا يقتل الفن ولا الفنانين كما يقولون عنه : تلميذ دائم أمام فنه . يعيش بالصدق والخبرة معا . كل ما فى حياته محسوب . الطعام . النوم . يحرص على الصحة التى أتمنى ان يديمها الله عليه . وحتى عندما يختلف مع احد فانه يختلف بذكاء . لكن أين ذهب الذكاء عندما لم ينفذ عقد السينما معى ؟

●

دقت السينما باب البيت . فى كازينو على النيل التقى بشادية وفى قلب كل منا شوق الى الآخر • لكن هناك فنانا عجوزا يحبها • وعلى أنا



عبد الحليم حافظ أن اواجه الموقف • ان العجوز يعيش الرغبة فى أن يعود شابا فى قلب شادية •

وكيف ينتصر الحب فى هذا المجتمع ؟!
والكاميرا تدور وأمامى شادية •

هذا هو أول مشهد فى فيلم لحن الوفاء لكن قبل ان تدور الكاميرا • كانت هناك قصة أخرى •



سألت كامل الشناوى عن الحب الجديد الذى يعذبنى

تعلمت كيف اتعامل مع الناس بفضل كامل الشناوى وعرفت طريق الاتقان بفضل احسان عبد القدوس .. وعرفت معنى الوفاء بفضل مجدى العمروسى . وبدأت أفهم أى كلمة تقال أمامى بذكاء محمد عبد الوهاب .



هناك اعتذار خافت الصوت ينقر قلبى بهدوء أحسست بهذا الاعتذار على شفتى لحظة أن عرض على الاستاذ ابراهيم عمارة العمل فى السينما . وحاولت أن أمنع نفسى

من الاعتذار . وترددت فى ان أوافق . وتخيلت شكل يومى العادى . انه يوم مرهق ويمر بسرعة . أنا مطرب . وقديما كنت عازف أبوا . وقديما جدا كنت مدرسا . وكل ما اعرفه

عن السينما اننى اراها . كل ما اعرفه عن السينما اننى مشاهد يقف فى طابور من يقطعون التذاكر لاحجز لنفسى مقعدا . ولم تكن عندى القدرة التى عندى الآن .. والتى

أعرف بها السينما بأنها عصير كل الفنون . فيها القصة والفكر والحياة وكيف تختزل خبرات كل العلوم لتخدم الصورة التى نراها على الشاشة . السينما هى انتاج عصر العلم

لأن فيها هندسة وطبيعة وكيمياء . فالمهندسون يبنون الديكور والعلماء يصممون الكاميرات والكيمياء تنتج لنا الافلام الخام التى يتم بها التصوير والتحميض .

اننى اضحك الآن من نفسى . هل سأتحول الى مدرس يشرح قواعد واصول وتاريخ السينما ؟ .. لا ، ليس هذا دورى . اننى اكتب تاريخ حياتى . والسينما دخلت حياتى لأكون ممثلا . احد الذين يتحركون أمام الكاميرا . وقبل ذلك كنت أحب السينما لانه من خلال الشاشة البيضاء كنت أشاهد القصص التى احبها . وارى نفسى فى شخصيات أبطالها . كنت فى طفولتى أرى نفسى على حصان جارى كوبر وفى يدى مسدس تايرون باور وأمسك بسيف الملك آرثر لأبارز أى عدو . وكنت فى خيالى ايضا أستطيع ان أهزم كل عشاق انجريد برجمان .. وان اقول لها فى الخيال « أنا احبك ، احبك لأن فى صفاء وجهك املا ما » .

والحقيقة اننى كنت أحب انجريد برجمان من بعيد وكان يؤلمنى أنها تتكلم فى السينما باللغة الانجليزية وكنت لا أعرف كيف انطق الانجليزية بنفس السرعة التى تنطق بها هذه المرأة الجميلة للغاية . وكانت فاتن حمامه هى أقرب البنات الى قلبى . فهى دائما المظلومة التى تتلقى قسوة القدر بصبر . وكنت اشعر بالضيق من الظروف الصعبة التى تحيط بها دائما . ولذلك كنت أقول لنفسى وأنا اضحك «يجب أن اتقن الانجليزية حتى استطيع ان اتفاهم مع انجريد برجمان لانها لاتستسلم للقدر بسهولة » .

والآن أجد اننى مواجه بضرورة التمثيل فى السينما . والاستاذ ابراهيم عمارة يقول لى « لا تخف » ، ومعنى ذلك ان المسالة اصبحت (جد فى جد) . والموقف يختلف عن عقود السينما التى وقعها معى عبد الوهاب . كان عندى احساس خفى بان عقود السينما التى وقعها معى عبد الوهاب هى أمل القاه عبد الوهاب أمامى لكنه لن يتحقق . ابراهيم عمارة يضع امامى مشكلة : السينما . كل ما فى راسى هى كلمات عبد الوهاب عندما التقى معى أول مرة بعد نجاحى كمطرب . قال فى ٢٤ يوليو عام ١٩٥٣ ان قامتى لا باس بها وملامحى يمكن ان تشد الجمهور على الشاشة . لكنى خائف وانا أجلس مع ابراهيم عمارة . انا أحب مستقبلى واريد أن ابنيه . والخيوط كلها متشابكة . الاذاعة تدفع لى عشرين جنيها فى الاغنية كأجر لى واجر للفرقة الموسيقية . والفرقة الموسيقية تاخذ منى ستين جنيها . معنى ذلك أننى (مديون) فى كل اغنيــة من اغــانى البداية بأربعين . هذه الديون ادفعها من اجر الحفلات ومن مرتبى كعازف أبوا بالاذاعة .

●

كان لي في هذه الفترة حلم صغير . حلمى الصغير - وهو ان اسكن

انا واسرتى ق بيت واحد — يلح على . وكل يوم هناك مواعيد مع السمسار . وكلما افكر فى تحقيق الحلم — واخاف ان يكون ايجار الشقة مرتفعا . وقلبى يفكر كل دقيقة فى أن أضع فى يد علية نقودا كثيرة لتعرف أن اخاها اصبح رجلا يستطيع أن يتحمل المسئولية . ونجد الشقة فى المنيل ونوقع العقد وننتقل الى الشقة . كانت لحظة استلامى لمفتاح الشقة هى لحظة فرح ودموع . لاول مرة نسكن معا فى بيت واحد . اسماعيل شبانة ، عليه شبانة ، محمد شبانة ، وأنا . اخيرا ينتهى تشتت الاسرة . اسماعيل يقول مبروك وعلية تفرح . وخيط من الدموع يسيل على خد محمد .

ابراهيم عمارة امامى . يسألنى ان اقول رأيا محددا فى العمل فى السينما . كانت اغنية « على قد الشوق اللى فى عيونى يا جميل سلم » تعلو كواحدة من احلى اغانى الحب . الذى الف هـذا المطلع « على قد الشوق اللى فى عيونى يا جميل سلم » هو كمال الطويل . قالها لاحدى الجميلات على الكورنيش فى الاسكندرية . قلت له « ياه .. دى بداية حلوة جدا .. » اعطينا هذه الجملة لمحمد على أحمد واكمل بقيـة تأليف الاغنية . كان المفروض أن يغنيها مطرب آخر . لم يعجب هذا المطرب لحن الاغنية . قال كمال الطويل لهذا المطرب « لن اغير شيئا فى اللحن » . كمال يعرف جيدا قيمة ما يفعل . فنان من رأسه حتى اصابع قدميه . هذه الاغنية تؤلف لها قصة والقصة ستصبح فيلمـا . وانا مطلوب منى ان اقـول رأيى بالتحديد . هل أقبل العمل فى السينما ؟

●

اننى اتذكر هذه الفترة من العمر بالتفصيل . كان كل شىء حـولى يكبر بسرعة . الاصدقاء أصبحوا كبارا . ها هو كامل الشناوى هذا الضخم والعظيم والضاحك والساخر والعاشق للحياة ، اصبح صديقى . يلقى كل يوم بجديد من ثقافته امامى . واذنى تلميذة صغيرة فى فصـل كبير من المواهب .. يرعاها كامل الشناوى . وحماس احسان عبد القدوس للجديد وفرحة احمد بهاء الدين العاقلة وفتحى غانم يتابع نشاطى ويرى اننى مطرب جيل جديد . مطرب يعبر عن مرحلة جديدة من مراحل حياة الاغنية المصرية . والاصدقاء التقى بهم فى بيتى او بيت كامل الشناوى . ومازلت احتفظ لهـذا الرجل بجميل مساندته لى وأنا فى بداية الطريق . أنه أول من سـمعنى فشهد بميلادى كفنان جديد .

طلبت من ابراهيم عمارة أن يعطينى فرصة لافكر فى مسالة تمثيلى بالسـينما • كنت اريد أن احسم علاقتى بهذا الخوف الممتـزج بالحب للمستقبل • فى ذلك اليوم كنت اوجه لنفسى سؤالا واحدا : هل أصـلح حقيقة كممثل سينمائى ؟

وتاتى الاجابة فى الصباح • جلسة كامل الشناوى بدأت فى تلك الليلة مبكرا على غير عادتها • دق التليفون فى السادسة صباحا وقال انه حاول أن ينام لكن الارق منعه من النوم • وطلب أن نجلس معا فى هذا الفجر • قال كامل الشناوى « الانسان مشدود الاعصاب ويحتاج أن يجلس مع اصدقائه » واندهشت وانا اسمع منه أنه مشدود الاعصاب •

●

كيف يمكن أن يكون شاعرا ناجحا وصحفيا لامعا وانسانا بهذا القدر من الثقافة • كيف يمكن أن يكون مشدود الاعصاب ؟ ومنذ كنت فى بداية الطريق كنت اظن انى وحدى المتوتر من اجل المسـتقبل • لكن عرفت فى تلك الليلة أن الفنان شابا كان او عجوزا • الفنان دائما يلمس فى روحه قلقا غريبا ، احساسا بالوحدة يكاد يقتل فى بعض الاحيان • كامل الشناوى سهر ليلتها حتى الفجر فى احضان الوحدة • كلما اقترب انسـان من قمة الذكاء كلما ازداد احساسه بالوحدة • وكامل الشناوى له سـيطرة غريبة على المكان الذى يجلس فيه وله « حضور » عظيم يقطع المسافة بينه وبين اصغر الجالسين معه فى السن او فى المستوى المادى • وكل الموجودين معه فى اى وقت يساويهم بنفسه وينطلق بهم فى رحاب ثقافة عميقة وباسلوب رشيق • ان الانفاس التى كانت تدخل صدره كانت تخرج شـعرا • انه لم يكن صاحب شهيق وزفير ولكنه كان يتنفس الحياة بكل ما فيها ليخرج احلى ما فيها •• ذهبت التقى به فى الصباح وانا اكتم حيرتى « هل اصلح كممثل للسينما » •• مفروض أن اوقع عقد الفيلم الجديد ، ومفروض ان اجـرى اختبارا امام الكاميرا • ومفروض أن احسم مسالة عقودى مع عبد الوهاب •• عبد الوهاب وقع معى عقدا بفيلمين •

قال كامل الشناوى :

ــ مالك تبدو شاردا • هل نقر عصفور الحب قلبك •

قلت :

ــ نعم •• هناك حب جديد يعذبنى •

اندهش كامل الشناوى • وازدحمت اسئلة كثيرة على فمه : من هى ؟



ما هي ملامحها ؟ كيف التقيت بها ؟! .. قال كامل الشناوى هذه الاسئلة كلها بسرعة .. وكنت صامتا . اراقب قلبه المشتعل لمعرفة قصة حب صديق له . وكان قلبي في حيرة . قال كامل الشناوى :

ــ صف لى حبيبتك .

قلت :

ــ انها لامعة ومشهورة ومظلومة من اهلها احيانا ، ومن طريقة حصولها على المال ، وهى ثرية وحياتها احيانا مزدحمة بالفواجع وأحيانا تكون حياتها عبارة عن قبلات ونظرات وسعادة لا مبرر لها . انها تعشق الحب وتحكي تفاصيله لكل الناس بشكل مبالغ فيه ونادرا جدا ما تبدو عاقلة وتتحدث عن الحب بلهجة متزنة . احبها قبلى كثيرون وانا خائف من حبها .. رغم انني احبها فعلا .

قال الضاحك كامل الشناوى :

ــ حبيبتك هذه فزورة .. كيف يمكن ان تقع فى حب واحدة بكل هذه الاوصاف ؟

ضحكت قائلا :

ــ حبيبتى هى السينما .. عندى عرض للتمثيل فى السينما .

قال كامل الشناوى :

ــ اقبل فورا ..

وقلت لكامل الشناوى :

ــ مازلت حائرا .

●

ومر الظهر والعصر وسقطت الشمس فى النيل ولم انم .

جاء تليفون من صديق يعلن أن هناك حفلا يجب أن اغنى فيه .. وقبلت ولم اكن ابحث عن اجر الحفل ولكنى عندما احتار اغنى . وعندما افرح اغنى . وعندما افكر فى اى مسألة هامة اغنى .

وفى الحفل رأيت مجدى العمروسى .

كأنى رأيت ما كنت اتمناه . مجدى العمروسى . مجدى هو رحلة طويلة من الاخلاص وعندما رأيته فى تلك اللحظة مر بى شريط ذكريات هذه الصداقة . كان هناك احتفال بيوم ميلاد احد الاصدقاء فى عام ١٩٥٠ . كانت هناك خمر وهرج وأصوات لا تعرف الفرق بين الاحساس والزعيق . كنت مدعوا . لم اجد فى نفسي قدرة على أن اشارك هؤلاء الناس . اخذت

العود ودخلت احدى حجرات البيت · بدأت اغنى لنفسى · « من قد ايه كنا هنا ·· من شهر فات ولا سنة » ·· كان ظهرى الى الباب ووجهى للشباك · دخل مجدى العمروسى · جلس يسمع بهدوء · مجدى لا يشرب الخمر · وانا اكرهها · انتهيت من الغناء · هنانى · تعرفنا ·

ــ مجدى العمروسى ، محام من الاسكندرية

ــ عبد الحليم شبانه .

وخرجنا من الاحتفال معا · كان يملك عربة ستروين صغيرة · يملأ الدنيا ضحكات وبهجة وفرحة · كنت ارتدى بدلة وبالطو وكانت الدنيـــا شـــــتاء ·

هذا البالطو وتلك البدلة لم اتصرف فيهما حتى الآن · مازلت احتفظ بهما · انهما ملابس بداية النجاح · حضر مجدى ايضا معركتى التى رفضت فيها ان اغنى اغانى غيرى فى مسرح المعلم صديق ، صــــحبنى يومها الى ابو قير .. كنت ابكى بعيون مفتوحة . كان مجدى صامتا . قطـــع يومها الصمت بسؤال :

ــ لماذا هذه الدموع ·

قلت :

ــ دموع الفشل طبعا ··

قال :

ــ ولماذا لا تقول انها بداية النجاح · انك تعلم الناس الاستماع الى الجديد · أنت ترفض التسلل من خلال الاغانى القديمة · هـــــذه هى بداية النجـــاح ·

وارتحت · هناك من يفهمنى · وكانت رحلة الصداقة · انتهت الحفلة التى غنيت فيها لأهرب من قلقى · خرجت مع مجدى العمـــروسى ·· بدأنا نتكلم فى كل شيء · كان يرغب فى استكمال رسالة الماجستير · ويفكر فى أن العربة الستروين اصبحت مزعجة ·· وعن حلمه بأن يزور العالم كله بشرط أن يظل اسكندرانيا ·· يعيش فى الاسكندرية ·· كان يحكى بهدوء · وكنت ملتفتا اليه · انها لحظة من الصداقة ينفتح فيها قلب الانســــان لصــــديقه · قلب الصديق يمشى فيه الاثنان معا ·

قلت له : لنسافر الى الاسكندرية ·

وطارت عربته الى الرست هاوس ··

قال مجدى العمروسى :



ـ انا حكيت لك عن كل ما فى رأسى ٠٠ وانت ساكت ٠ انت قلقان من أيه ؟

وقلت له المشكلة : مطلوب منى أن امثل فى السينما ٠٠ وسبق لى أن وقعت عقدا مع الاستاذ محمد عبد الوهاب لتصوير فيلمين والعقد انتهى فعلا ٠٠ قال لى : انت حر الآن ٠٠ وكل المطربين يتجهون الى السينما ٠٠ قلت : لكن اريد أن اكون جديدا ايضا فى السينما ٠٠ قال : الجديد الوحيد فى هذا الفن هو أن تدرسه قبل أن تبدأ فيه ٠ وكان معى سيناريو الفيلم ٠ وفى بيت مجدى العمروسى فى الاسكندرية كنت اقرأ السيناريو وكانت أول مرة فى حياتى اقرأ كلاما مكتوبا من واجبى أن احفظه كله فور أن أقرأه ٠ كنت فى نهاية الاربعة ايام التى قضيتها فى الاسكندرية قد حفظت الســـــيناريو والحوار ٠ وعدت الى القاهرة ٠ كان معى مجدى العمروسى ٠٠ اتصلت بابراهيم عمارة وتم توقيع عقد الفيلم ٠ واصر مجدى على ألا يكون هناك شرط جزائى ان لم انفذ العقد ، والسر فى ذلك اننى قلت له أننى سأجرى اختبارا أمـــام الكاميرا ٠٠ ان كنت صالحا ٠٠ كان بها وساقدم على السينما ٠٠ وان لم أوفق فلن اقوم بالتمثيل فى أى فيلم ٠ لذلك أراد مجدى أن يؤمن لى حق التراجع ٠

●

فور أن انتهيت من توقيع العقد كنت قد قررت الاحتفـــال بمجـدى العمروسى ٠ كلانا يحتفل بالآخر دائما ٠٠ قامت علية باعداد الغداء ٠٠ ودق التليفون ٠ وكان صوت عبد الوهاب على الخط ٠

ـ أهلا استاذ عبد الوهاب ٠٠

كان طلبه لى فى المنزل فرحة كبيرة للكل ٠ انه النجم والقمة والاستاذ وبالنسبة لى كنت اضع احترامى له فى كفة وحرصى على مستقبلى فى كفـة أخرى ٠

قال عبد الوهاب :

ـ انا زعلان منك ٠

عرفت انه قد وصله خبر توقيع عقد فيلم لحن الوفاء ٠

ـ ليه لا سمح الله هل عملت شيئا يغضبك !

قال بصوت مقتضب :

ـ نتفاهم بعد الضهر فى المكتب ٠

انا لا احب ان اعيش فى مشاكل ٠٠ لكن الحيـــاة لا تســتمر دون

مشاكل ٠٠ لماذا لا يكون العالم طيبا وناعما ٠٠ وبلا مشـاكل ٠ قلت لمجدى العمروسى ٠
ـ ان خبر عقد فيلم لحن الوفاء وصل لعبد الوهاب ٠
ابتسم وقال :
ـ الحل ان تناقشه فى انك لم ترتكب اى خطأ قانونى ٠٠ او خطأ من أى نوع ٠

احسست وهو يقول تلك الكلمات انه اصبح شريكى فى رحلة الحياة ٠ انه سيكون رجل القانون الذى يتعامل مع كل مشكلة تقابلنى من هذا النوع٠
وذهبنا معا الى عبد الوهاب ٠ مكتبه فى شـارع توفيق ٠ الكراسى المهلهلة والضوء الخافت ٠٠ وعبد الوهاب غاضـب وقناع من الهـدوء على وجهه ٠

ـ اهلا استاذ عبد الوهاب ٠ اعرفك بصديقى مجدى العمروسى ٠
ـ اهلا بيكم ٠٠ بس انا زعلان منك ٠٠
ـ ليه لا سمح الله انا عملت حاجة تزعلك ٠
ـ سمعت خبر مش معقول يكون صحيح ٠
ـ اى خبر ٠٠ ؟
ـ انك اتفقت على بطولة فيلم ٠
ـ الخبر صحيح ٠
ثار صوت عبد الوهاب ٠ كان الصـوت نصف هادىء فى بداية اللقاء ٠
ـ لكن فيه عقد بينى وبينك ٠
ـ طبعا انا معتـرف بالعقد ٠٠ لكن طبعا حضرتك عارف ان مـدته انتهت ٠

ـ مدته انتهت ازاى ٠
ـ من ستة شهور ، وانا اتكلمت معاك كتير ولم تنفذ اى عقـد وانا لا اطالب منك ان تنفذ عقدا انت غير مقتنع به ٠
قال مجدى العمروسى :

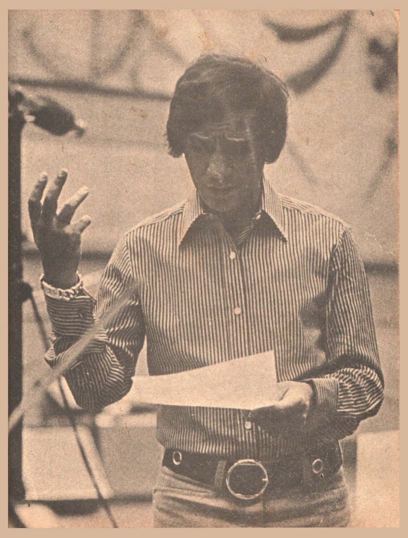
ـ المسالة ابسط من كده ٠٠ الحكاية بسيطة ٠
ومضى مجدى بهدوء يمشى على الشوك ٠ يختار من الكلمات ما يحفظ حقى ولا يثير عبد الوهاب ٠ لكن عبد الوهاب وجه له الكلام :

– أنا اقدر امنعك • مفيش داعى للعقد • فيه كلمة بينى وبينك • احنا اصدقاء وانا لا اعتقد أن تخون الصداقة لأنك انسان كامل •
عبد الوهاب يدق على الوتر الحساس .. الانسانية •
اقول :
– كل الكلام ده عظيم وانا باحبك • وتمثيلى فى السينما لا يتعارض مع حبى لك •
يقول عبد الوهاب :
– العلاقة الانسانية اللى بينا تخليك تستشيرنى قبل ما توافق على التمثيل فى السينما . كمان انا اقدر ارفع قضية .
قضية مرة أخرى .. ؟! انظر الى مجدى العمروسى اقول :
– شىء عظيم انك ترفع قضية •
وعاد مجدى العمروسى الى الكلام بهدوء • يمشى على الشوك • يختار من الكلمات ما يحفظ حقى • يهدىء عبد الوهاب • ويوضح له الحقيقة .. أن أى قضية من هذا النوع خاسرة • أردت أن احسم الموقف • أقول :
– استاذ عبد الوهاب • غير معقول انك ترفع قضية لأنك لو رفعت قضية ستكتب الجرائد ان عبد الوهاب رفع قضية على المطرب الناشىء عبد الحليم حافظ وانا لا أرضى أن يقال عنك انك ضد اى مطرب ناشىء • والخبر سيكون له صدى عند الناس • ارجوك يا استاذ عبد الوهاب سيبنى فى حالى .. الله يخليك •
وخرجت انا ومجدى العمروسى • كان هناك قرار اتخذه القدر بان يشترك مجدى العمروسى فى التعامل مع حقوقى تجاه نفسى وتجاه الناس •
وكان لابد أن احكى لاحسان • ان حماسه النقى الذكى يجعلنى آخذ رأيه فى معظم الامور ..
قال احسان :
– قلت لك ولكمال الطويل والموجى ان عبد الوهاب سيستفيد منكم • ولازم تعيشوا بعيد عنه • هو اتجاه وانتم اتجاه • حايشرب الجديد من فنكم ويقدمه بشكل راق . استاذ وعارف حرفته .
وامام احسان انا اصمت دائما • فى انتظار ان يحكى • ان حماسه الذكى والنقى يجعلنى اسمع فقط ما يقوله • وكان لابد أن احكى له ما حدث من عبد الوهاب •

●

كانت الحياة فى تلك الايام عبارة عن دراسة لكل تفاصيل العمل فى





السينما • كنت مقتنعا مع مجدى فى اننى يجب أن اعرف جيدا ما انا مقدم عليه . وانه لابد أن تكون صورتى امام الناس صورة حقيقية . احبهـا انا ويحبها الناس معى • لذلك كان وقوفى امام الكاميرا لأول مرة عبارة عن امتحان • فى الليل لم انم • كأنى خاصمت النوم • ما الذى حـدث لى • هناك شوق مجهول لا اعرفه يعذبنى • أن حياتى بلا حب • هـذا قاس • يارب • هل يمكن أن اكون هذا الانسان الذى يرى الآخرون انه ناجح ويكون قلبى عطشانا الى الحب • اتصلت بى واحدة • لم تقل اسمها • قالت انهـا معجبة بى وعرفت اننى فى طريقى الى السينما • قالت لى : « وانت واقف قدام الكاميرا . . قول باسم الله الرحمن الرحيم واعوذ بالله من اى غرور أو اى شر •• واقرا اية الكرسى واتصرف قدام الكـاميرا بذكاء •• وانا عارفه انك ذكى خالص . . مش انت بتقدر تسيطر على الجمهور فى اى حفلة حاتغنى فيها • بس ماحدش حايشوفك • حايشوفك بعدين فى الفيلم » •

وكانت كلماتها حنانا بلا مقابل • خرجت من المنزل بعد أن قدمت لى عليه عسل نحل وعيش وبيض وفول ومربى • علية اختى تريدنى أن اكل كل ما فى الدنيا مرة واحدة . لو استطاعت أن تطبخ طاجن أرز معمر لتقدمه لى فى الافطار لفعلت ومهما اكلت فانا فى نظرها « لسه ماشبعتش » و «ليه قايم وسايب الاكل » وهو « الاكل مش عاجبك ولا ايه » •

●

خرجت من المنزل الى الاستديو وبدأ تصوير الاختبار • والحقيقة انه اختبار لنفسى • ودارت الكاميرا • وكنت أؤدى دورى بتلقائية • وانتهى التصوير • ثم تم تحميضه بسرعة ، ارادوا أن نراه جميعـا قلت « لا » • ساراه وحدى • واذا اقتنعت ساجعلكم تشاهدونه •• واذا لم اقتنع فسوف اترك الاستديو الى بيتى ولن اعمل فى السينما مدى حياتى • ووافقوا • بدأ عرض الفيلم فى صالة مغلقة انا وحدى فيها اشـاهد نفسى • افكر فى عدد من الحقائق البديهية ، هى أن المخرج والمصور والمونتير هم الذين يحكمون الشكل النهائى للفيلم ، وان الممثل يجب ان يطيع المخرج وان يحترم ميعاد التصوير وأن يحفظ السيناريو والحوار وعليه الا يعتمد على الملقن لأن الاعتماد على الملقن يجعل الانسان ينسى الاندماج الكامل فى التمثيل • والممثل الناجح هو الذى يرى فيه الجمهور شيئا ما • شيئا خاصا • وان الفرد العادى يدخل الى السينما ليستريح ويشترك فى رؤية تجارب آخرين • والانسان العادى يقارن بين ظروفه الخاصة وتجاربه الشخصية وبين ما يراه

على الشاشة • وقد يذهب الانسان الى السينما بحكم حبه للنجوم الذين يمثلون الفيلم • لكن لو تهاون احد النجـــوم فى اداء الدور فالجمهـور لا يرحم • لأن الجمهور يبحث عن لحظة راحة والفة • وكان رصـــيدى كمطرب عند الجماهير يرتفع دائما • ولابد أن اقتنع ان السينما ستجعلنى ناجحا • لذلك طلبت أن أرى فيلم الاختبار مرة اخرى • لأراه بعيون ناقدة جدا •• وجردت نفسى من نفسى وبدأت احكم على عبد الحليم الذى اراه على الشاشة بعين المتفرج •• كنت اعرف اننى لست ولد « حليوة » ولا « فالينتينو » •• اعرف انى انسان عادى • ولكن هذا ليس ســببا عظيما للنجاح •• لأن غالبية الناس فى العالم عاديون وكل واحد منهم يستطيع اذن ان يكون نجما سينمائيا • المهم هو أن اكتسب انا القدرة على أن يرانى كل انسان فيشعر انه يرى نفسه على الشاشة •

وخرجت من صالة العرض الضيقة لاحبس نفسى لمدة ثلاثة شــهور ادرس فيها السينما . انا لم اتعود ان ابدأ خطوة دون ان اعرفها . قرأت كل ما وقع فى يدى من كتب عن فن السينما . مــن اخــراج الى سيناريوهــات الى المونتاج •• الى التمثيل الذى كنا قد اخذنا فكرة كبيرة عنه فى المعهد العالى للموسيقى • اننى اثق أن هذا الجيل اسعد حالا •• فلا احد يتصور الليالى التى قضيتها وبجانبى القاموس الانجليزى وفى يدى كتاب عن الاخراج بالانجليزية لاترجمه . ! ان الجيل الجديد يجد كل شئ امامه .. وليس هناك الا ان يكون موهوبا .

●

وبدأ العمل فى فيلم لحن الوفاء •

حسين رياض يحب شادية وانا احبها • والسؤال هو : كيف ينتصر الحب فى هذه الدنيا • انه دائما مخنوق • ولعل خوفى ايضا من الحب هو اننى لا اجد من تلمس قلبى • اخاف من الحب واشتاق له •

والفنان احيانا قد يعثر فى المرأة على عبء والفنان يطلب انســانة تدفعــه الى الامام •

كانت هناك صداقة جديدة تولد •• هى صداقتى بعمر الشريف واحمـــد رمزى •• وكان معنا ايضا صالح سليم •• دائما معا •• لا نفترق •

وهناك ذكاء يلمع فى عيون عمر الشريف • كلانا متفق مع نفسه على حقيقة هامة هى أن يتقن مايعمل • هذه قاعدة أساسية يمكن أن يعيش عليها كل من ولد فى جيلنا • المزيد من الاتقان لكل مايعمل • كمال الطـويل •



الوجي . عمر الشريف . جمال كامل . أحمد بهاء الدين . فتحي غانم . كمال الملاخ . موسى صبري . أنيس منصور . صلاح عبد الصبور . وهي القاعدة الاساسية لأي نجاح .

كان أمامي في المنزل وقت راحة قصيرة لمدة ساعه . بعدها أنزل لتصوير الشاهد الاخيرة من فيلم « لحن الوفاء » .

كان العمل مرهقا وكنت أحاول أن أبذل الاخلاص في كل ماأفعل ، وفي طريقي الى الاستديو وقفت أمام كشك جرائد .. كانت انجريد برجمان على غلاف مجلة « التايم » ضحكت . قلت لنفسي . أقابل في يوم واحد فاتن حمامة وانجريد برجمان .. قلت لصورة انجريد برجمان . لاتغضبي سأتعلم الانجليزية بسرعة لأنطق بنفس سرعتك . وحتى لاتتوه عيوني في الترجمة العربية على الشاشة وأنا اتفرج على أفلامك .. وحتى أستطيع أن أتحدث معك عندما أراك .

وبرقت في خيالي صورة فاتن حمامة . كانت هناك خيوط من الشقاء تتصارع مع خيوط من الامل في عيونها .. فكرت في عمر الشريف . لاأدعي لنفسي الآن انني كنت أتنبأ بأن هناك قصة حب ستولد بين الاثنين .. لكن كان هناك احساس غامض يقول لي « الاتنين دول كل واحد فيهم لايق على التاني .. » اضحك الآن وأنا أكتب هذه السطور لأنني أتذكر كلمة صديق كان يعيش قصة حب والتقيت به في باريس . وعندما سألته «ازاي بتحس بالحب» قال : احس ان حبيبتي في كل تصرفاتها مثل ياقة قميص يجب ان تكون مريحة لاتخنقني وتحافظ على كبرياء رقبتي وأحس انها مغزولة من خيوط من القطن المصري . وكان هذا تعبيرا دقيقا عن معنى كلمة « حب » .

●

قالت شادية :

لونك مخطوف قوي ياعبد الحليم ..

ولم أكن أعرف السبب . انتهى تصوير الفيلم . كان الصداع أقوى مني .. أخرج الى الطريق . لون الليل غريب وعيوني غير قادرة على التركيز على شيء . قلت لنفسي : هذه الايام مزدحمة جدا .. لماذا ؟ ..

كنت مرهقا للغاية .. وصلت الى المنزل . علية مازالت دون نوم . لاتستطيع أن تنام الا بعد أن أصل .. قالت : تتعشى ياحليم ..

قلت : ماليش نفس للعشا ..

قالت : بتتعب نفسك قوي .. لازم تاكل قبل ماتنام ..

تعاملنى كابنها الصغير ·· أقول لها مبتسما :
ـ أنا كبرت دلوقت أقدر آكل لما أكون جعان · وأقدر أقول لا لماأكون شبعان ··

نامت علية القيت نفسى بجانبها . رأسى يمتلىء بأحلام غريبة . طفل فى الحلوات ·· آذان الفجر فى القرية · عبد الوهاب جاء الى الزقازيق وتشعلقت على السرادق لأراه ، الاستاذ محمود حنفى مدرس الموســـيقى · دار بى أخى اسماعيل على الوالدات حديثا يطلب لى رضعة من أى واحدة لاأعرفها لا تربطنى بها أية علاقة ، أصبحت بنات ثلثمائة سيدة على الاقل أخوتى · الصـــداع يزداد ، ليس ما انا فيه نوما وليس يقظة . أحسن أن هناك قطعا من الزلط الساخن فى معدتى · أقوم الى الحمام · يحدث القىء · قطع سوداء من الدم · ماذا أصابنى ؟

كان لابد آن أغسل حوض الحمامقبل أن يرى أحد قطع الدم · لايجب أن يرى أحد هذا الدم · هل هو مشوار طويل جديد من الالم ؟

كانت تلك بدايه الخطأ الصغير المسمى بلهارسيا · العــذاب الكبير الذى استمر معى ١٩ عاما · انه ابن أخطاء صغيرة لم يلتفت لها الانسان ·

لانى أصبحت أكره المرض تماما ·· اسمحوا لى فى أن أنتقل الآنفوق سنوات العمر لاحكى عن الحب . عن ذات العيون الزرقاء التى اكتشـــفت من خلال حبى لها ان للحياة معنى ·· وان الشمس من حقها أن تشرق كل صباح وان الغروب من حقه أن يأتى .. وأن الانسان من حقه أن يتنفس .

كانت جميلة للغاية واشتاق اليها الآن كثيرا .. وعاشت قصة حبى لها عشر ســـنوات .





قصة
حبى الكبيرة

لم أنجح فى اختيار شريكة عمرى لان الموت تدخل ..
لا أدرى لماذا تمردت بينى وبين نفسى على الموت .
تطاردنى دائما كلماتها :
ـ أنا حاموت صغيرة ..
كثيرا ما سألت السماء هذا السؤال :
ـ هل من العدل ان تموت حبيبتى دون ان نحقق حلمنا .





اقسم بالله العظيم يمينا أسأل عليه يوم القيامة اننى لم احب واحدة من النساء مثلما أحببتها • وليكن اسمها ليلى ، وليلى ليس اسمها ، لان الاسم يجب أن يظل سرا ، اسمها من حقها ، وحقها عندى الآن هو الذكرى ، وهى ليست معى ، أكلها منى مرض غريب لم يعرف له الاطباء علاجا ، وهى الآن ذكرى لاأعرف كيف تتحول الضحكة واللمسة والامل والحلم الى ذكرى ، المسألة غير المفهومة •• الميلاد والموت •• ندخل الدنيا بلا اختيار نمشى منها بلا اختيار •

بين الحياة والموت نحاول أن نختار • ننجح • نفشل • لكن فرحة الميلاد يقابلها حزن الموت • ولست فيلسوفا لكنى أقول ان الانسان يولد رغم أنفه ويحب ويصدم ويحلم ويؤمن بأن كل شىء ليس من صنع يديه •• ويتمرد على هذا الايمان ويموت دون ان يخبره أحد قبلها •

أما كيف دخلت أنا حياتها فتلك الحكايه التى بدأت من عام ١٩٥٨ وانتهت فى عام ١٩٦٨ •• وبين التاريخين كانت قصة حب • واحدة من أعظم قصص الحب التى تحيا مع الانسان

اسمحوا لى مرة اخرى أن أقسم بالله العظيم يمينا أسال عنه يوم القيامة انني مارايت في حياتي عيونا فى مثل جمال عينيها .

عيونها زرقاء ؟

لاادرى .

عيونها بنفسجية ؟

لا أدرى .

عيونها رمادية ؟

لا أدرى .

كأنى لاأجيد تمييز الالوان .. لكنى كنت اعـرف أن عيونها ملونة بالبهجة والأسى في آن واحد ، وانني نظرت فى عينيها كثيرا وكل الذى أعرفه اننى كلما نظرت الى عينيها ازددت عطشا فاعيد النظر مرة أخرى فلاأقوى ، وأحاول أن اركز عيونى فى عيونها أكثر وأحاول أن أحتضنها بعيونى أكثر فلا أعرف .

دائما تقترب وتبتعد ولا أعرف لها بداية أو نهاية .

لماذا قفزت فوق سنوات العمر لأحكى عنها ؟

لاننى بمنتهى البساطة الشديدة كلما تذكرتها ، أعيش تلك اللحظات المبهجة الممتلئة بنور شمس واضحة ونسمة صيف طرية واحساس قديم كان يدهشنى ، هو الحلم الذى يزورنى منذ طفولتى هو اننى أطير .. تمنيت لو أن لى أجنحة وأطير ، وأن أصل فوق سحابة وأرى الدنيا من فوق ، وأن التقى بها وأصافحها واستمتع بلمسة بشرتها بهذا العطر الدافىء الذى يمسح عنى كل الالم ، واقسم بالله العظيم أننى كنت ارى الغروب أصبح فجرا .. وأرى الفجر نورا وارى كل لحظة فى اليوم هى لحظة من الحب . كأن ليلى هى السبب وراء كل شىء فى حياتى .

كأننى ولدت يتيما حتى أولد فى عينيها لتصبح أمى .

كأنى عزفت على الأبوا .. لتخرج هى من أنغامها .

كأنى حضرت الى القاهرة لأعيش كل ما مضى من العمر لألتقى بها .

واللقاء كان فى الاسكندرية ، الصيف ، وكابينة احسان عبدالقدوس هى المكان الذى يتجمع فيه كل الفنانين ، دائما هذا الرجل مركز اشعاع

يتجمع حوله الجديد ويعطى كل ماعنده لمن معه ، انه يتدفق عطاء بالحياة وابتسامة تغسل الالم ، وكنت مرهقا من العمل وكان خلفى عاما ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ شهدا عملية جراحية خطيرة واشاعة بموتى انطلقت ونزف الحقد من أفواه قليلة ونزف الدم كثيرا فى معدتى ولم أكن أعرف الا اننى انسان يجب أن يعيش ليغنى وليعثر على الجديد ليقدمه ·

وركبت عربتى من القاهرة الى الاسكندرية .. لم اتوقف الا على البلاج كانى كنت على موعد مع البهجة ، نزلت من العربة ·· أسرعت خطواتى ، التقيت بكمال الطويل قال ·· مالك ··

قلت : مش عارف مستعجل ليه ·

قال ضحكا : ولا أنا عارف احنا مستعجلين ليه ·

وضحكنا ·

●

ذهبنا الى كابين احسان ·· احسان يدخن ، يجلس فى الظل ، يسرح بعيونه بعيدا ، فى اى شىء يفكر ؟ مقال عن سبب الحب ؟ هذا ما فكرت فيه ، وفكرت أن أسأله ، وبدأت فعلا أسأله ·· بدأت أقول :

ـ لماذا لم ألتق بالحب حتى الآن ، أنا أغنى للحب واشتاق له ، وهو لم يلمس قلبى حتى الآن ، وكلما فكرت فى الحب وجدت من يحبون لايفهمون معنى الحب وأحيانا تدفع المرأة الفنان الى نسيان الفن وأحيانا يصيب التكرار الحياة بالملل واحيانا يصبح صوت الصمت هو الصوت الوحيد بين الاحباء القدامى واحيانا .. واحيانا .

وكان احسان يسمعنى ، وكان يعرف اجابات لكل أسئلتى ، وكان صامتا وفجأة رأيتها ، رأيت العينين الصديقتين ، لحظة تعارف عميقة جدا بنظرات العيون ، ارخت عيونها ، كانت تجلس فى كابين ،

قلت لكمال الطويل :

ـ نتمشى ·

وقال كمال الطويل :

ـ بس طابور البنات حايمشى ورانا ·

وكان طابور من المعجبات يمشى بجانبنا أو حولنا ·· ولكن بعد دقائق يأتى الاحساس بأننا هنا لنستريح فيتركنا طابور البنات ، لم نحرج مشاعر احدابدا ·

كان بريق عينيها الطيبتين يروى لى أسئلة كثيرة . أحسست أن عيونها تسألني .. هل أنا مخلص ، أحسست ان السماء قررت أن تفجر في قلبي الحب كله مرة واحدة . . بدات اقترب من الكابين الذى تجلس فيه ، تشاغلت عنى ، عثرت على كابين أصدقاء بجانب كابينها ، بدأت احس انني موجود وسط اصدقائي ومنفصل عنهم وانها موجودة وسط صديقاتها ومنفصلةعنهن، وان الحوار يجرى بين روحينا في صمت تذكرت في تلك اللحظة انني رايتها من قبل في لندن . محل « هارلودز » كانت اجمل من الانجليزيات جمالهـــا خارق للطبيعة . وكنت احسبها عند رؤيتي لها في لندن انها انجليزية لكنهـا تكلمت بالعربية مع صديقة لها . وعندما التفت لاكلمها ذابت . اختفت . هاهى امامى الان ، قال احسان :

ــ مالك ؟

قلت :

ــ مفيش ..

قال كمال الطويل :

ــ عيونك بتقول اسرار كثيرة .

قلت :

ــ هو انا أول واحد يحب ولا ايه ؟

بدات انظر اليها ، جمالها خاص ، نادر ، كلمة « جميلة » او « حلوة » لا تكفي ، هناك كلمات لم تخلق بعد لتصفها ، عرفت ان عيونها اجمل من البحر واجمل من لون السماء .

وكان لابد ان نتكلم ، لا ادرى كيف تعارفت شـلة اصـدقائى بشـلة صديقاتها ، كان هناك زفافا صامتا قررت السماء ان تقيمه لقصـــة حب جديدة ، وكانت أول كلمة قلتها لها :

ــ وحشتيني جدا .. جدا .

ولم تندهش هى . كأنها عرفت انني اشـــتاق اليها منذ ان ولدت ، قلت :

ــ انت عارفة انهم بيحكوا لى .. اني كنت زمان وانا صغير عمرى سنتين مش باستريح الا لواحدة بس هي عمتي زينب ، كانت بترضـــعنى ، وكنت ازحف من حارتنا في الحلوات لحارتهم ، ومرة والدى دور على في البلد كلها ، لاقانى بأزحف شوية وأمشى شوية كنت رايح لزينب ، انت عارفه انا حسيت من شوية .. انى كنت بأروح ادور عليك .

ضحكت ، كنت احس ان كلماتى لها ساذجة ولكنها حقيقية ، كلمات لا تعرف التواء ولا ترسم شبكة لتصطاد ، انا لا اعرف هذا الاسلوب ، كنت اعرف فقط فى تلك اللحظة ان السماء تفننت تماما لتخلق لى هذه الانسانة حتى احبها ، خفة دم ، رشاقة ، انسانة كما تقول خالتى عنها ٠٠ « تقول للقمر قوم وانا اقعد مطرحك » ، خالتى فى الحلوات تجلس الان تدعو لى ، يخيل الى ان السماء انفتحت لتستجيب ٠

و ٠٠ خفت ان انظر الى يديها ، خفت ان اعرف اجابة للسؤال ٠٠ هل هى مرتبطة ام لا ؟ وكان احسان عبد القدوس قد وفر على كل الشبان والبنات لعبة الكذب فليس مفروضا ان يخفى الانسان موقفه من الحب ٠٠ من تحب أو من يحب ، قدم لهما احسان عبد القدوس فى الوسادة الخالية اسلوبا عن اعلان الحب ، هو دبلة فضية ، المخطوبة والخاطب ، اما المتزوجون ففى الاصبع دبلة ذهبية لكنى لم استطع .. قررت ان انظر الى يدها الشمال وجدت اصبعها خاليا ، لا يوجد دبلة فى اليمنى ولا دبلة فى اليد اليسرى ، وقلت لنفسى ٠٠ الحمد لله ٠٠ وقبل ان اكمل الكلمة قالت احدى صديقاتها :

ــ ده احمد ناوى يقابل باباك علشان يصالحك .. ما هو كمان مش معقول يبقى عندكم ولدين وتتطلقوا ٠

كانت هذه الصديقة تريد ان تدق جرس انذار ٠٠ ان تنبهنى الى اننى اتحدث مع انسانة متزوجة ٠ قالت ليلى :

ــ ومش معقول كمان افضل عايشة مع جنون غيرته . انا ما اقدرشى ابص من شباك انا ما اقدرشى اتكلم من التليفون الا لما يكون على السماعة الثانية . بعد ما يخرج اصحابه من عندنا .. يقول لى .. فلان كان بيبص لك كثير وتبقى خناقة ليه ما اعرفش ٠ حا اخلى النـاس تغمض عينيها قبـل ما تكلمنى ٠٠ انا مش عروسة حلاوة ٠

وكان ليلى كانت تتحدث لى انا ٠٠ كانها تقول لى الخبر والمشـكلة والحكاية ٠٠ كانها تعلن لى ان اشـارة المرور الى قلبها خضراء ٠ وان اشارة المرور الى ان نعيش معا الى الابد برتقالية ٠٠ وأن الطلاق سيحدث ٠

●

ولاول مرة ٠ اتكلم مع مجدى العمروسى فى ضرورة ان نعثر على شقة جديدة لى ضـحك مجدى العمروسى جدا ٠ كان يعرف عذاب البحث عن الشقق ٠ بدأ يذكرنى باللحظات التى حضرت فيها الى الاسكندرية لاعلن له خبرا اخر .. هو ضرورة ان ينتقل الى القاهرة ليكون بجانبى لانه ليس مـن

صورة مفقودة لا تؤثر على المحتوى
حيث أن صفحة ١٠٠ تكملتها
فى صفحة ١٠٣

صورة مفقودة لا تؤثر على المحتوى
حيث أن صفحة ١٠٠ تكملتها
فى صفحة ١٠٣

المعقول ان اسافر الى الاسكندرية كلما اردت ان استشيره فى شىء • وطلبت منه ان يغلق مكتبه فى الاسكندرية واهديته مفتاح شقة فى الايموبيليا لتكون مكتبا له •• وانه اقنع اسرته بصعوبة بأن يترك الاسكندرية ليعيش معى فى القاهرة انه اقام طوال المدة فى شقتى وكان كمال الطويل وانا نبحث له عن شقة • واننى غنيت فى حفلة واعطيته اجرها وقلت له « شيل الفلوس دى معاك » غنيت فى حفلة اخرى واخذت اجرها وقلت لمجدى « شيل المبلغ ده معاك » وبعد مدة طلبته فى التليفون لأقول له اننا عثرنا له على شقة فى برج الزمالك وان مهندس الديكور فى انتظاره ليصممها له كما يريد • وبعد اسابيع قال لى مجدى : المهندس طالب فلوس كثير • قلت له ما انت معاك فلوس الحفلتين •• قال « دول فلوسك ومش فلوسى » قلت « مفيش فرق بين فلوسك وفلوسى ووقت ما يكون معاك اكيد حاتردها .. ويعتبر مجدى ذلك جميلا كبيرا •• رغم اننى اعتبر قبوله للمجىء للقاهرة « جميل اكبر » لان مجدى كثيرا ما حمانى من الذين يتفننون فى استغلال الانسان •• ورغم ذلك أصر على ان يعيد لى ما اقترضه للشقة • قال مجدى •

— طيب وعايز شقة ثانية ليه .

— ناوى اتجوز فى هدوء •

●

وعرف اكثر من صديق بخبر حبى وطلبت من الجميع ان يكتموه • فالمسالة معقدة • الزوج رجل أعمال يعيش معظم الوقت فى الخارج • والمسالة فيها رعاية ولدين ولابد ان يتم كل شىء فى هدوء • وبدأت ايامها اعرف ان الشهرة عذاب حقيقى • الشهرة تمنعنى ان امشى مع حبيبتى بمفردنا • الشهرة تمنعنى من ان اركب معها عربة واحدة • وكان بيننا ميعاد فى سينما سان استفانو • ميعاد دائم • نذهب كل مساء • تقطع تذكرة واقطع تذكرة وتدخل هى أولا وادخل انا بعد ذلك والتذكرتان متجاورتان •• وحفظنا افلام السينما من كثرة ما تفرجنا عليها • ولكن لمسة يدى ليديها كل يوم كانت جديدة • شىء مولود فى حرارة البشرة • حوار صامت عن حلم يتكون . حكت لى عن تفاصيل زواجه بها . لقد تزوجها لانها جميلة فقط • لا يفهم ابدا ان الجمال مشاعر • وانه يتحول الى عذاب لو اهمله شريك الحياة • وانها وافقت على الزواج به لان اسرتها وافقت عليه وكان عمرها ١٦ عاما يوم الزواج • وانه تحول الى انسان

غيور للغاية بعد الزواج وانه يعاملها باهمـــال وقسوة وتحول الزواج الى سجن ٠ وكلما تحدثت مع والديهـــا فى امر هـــذا الزواج ٠ تقول الاسرة « الطـــلاق عيب » وكلمة الحب فى مجتمعنا لا احترام لها وقلبها مدهوس تحت قسوة الغيرة ٠ ولم تعد تطيق الحياة معه ٠ فاخذت الولدين ٠ وحضرت الى القاهرة . ومفاوضات الطلاق تدور الآن ٠

قالت لى انها تشعر بالسعادة بجانبى ٠ ولم تكن تعرف انني اطير فوق السعادة . وانني اغنى لها . وانني وجدت اخيرا من اراها تحت جفونى وانا اغنى ٠ قالت لى ٠

ــ انت عارف انى دايما كنت احب اعرف اخبارك واقلق عليك قبـــل ما اعرفك ٠

ــ احلف لك بأيه انى كنت اعرفك قبل ما اشوفك ٠ كنت دايما اتخيل أن حبيبتى لازم تكون زيك .. ده انا يوم ماشفتك فى لندن كنت اتمنى اكلمك ٠٠ لكن انت جريت قعدت أدور عليك ايام كثيرة هناك مالقيتكيش ٠

ــ مش عارفه اعمل أيه لما يوافق على الطـــــلاق ٠٠ حا افرح ٠ حا اتجنن ٠٠ حا اعيش معاك طول عمرى ٠

وسكتت ليلى قليلا ٠٠ تاهت منها عيونها فى الاسى ٠٠ قالت لى :

ــ انا عارفه ان عمرى قصير ٠٠ حاسه كده ٠

كأنها تقول لى حقيقة تعرفها جيدا .. وكأننى اصدق معها الحقيقة لكنى ارفضها .. قلت بانزعاج .

ــ انا باكره الكلمة دى جدا ٠٠ ومش عارف اعيش ازاى من غيرك ٠

ــ احيانا أقعد افكر واقول اختار ايه اطلب من السماء ٠ أقوم أقول لنفسى ٠٠ لازم احبك اكثر من كده ٠

ــ هو انت مش بتحبينى قد ما باحبك ازعل بعدين ٠

ــ باحبك .. لكن كلمة احبك باحس احيانا انها مش كفاية .

ــ يا حبيبتى ٠

كانت تسحب الهواء الى صدرها بالفرحة والدهشة وتسالنى ٠

ــ صحيح انت بتحبنى ٠٠ انا مش مصدقة ٠

ــ ولا انا مصدق انك بتحبينى ٠٠ كل شوية عايز اتاكد من الحكاية دى ٠

ــ وانا كمان ٠

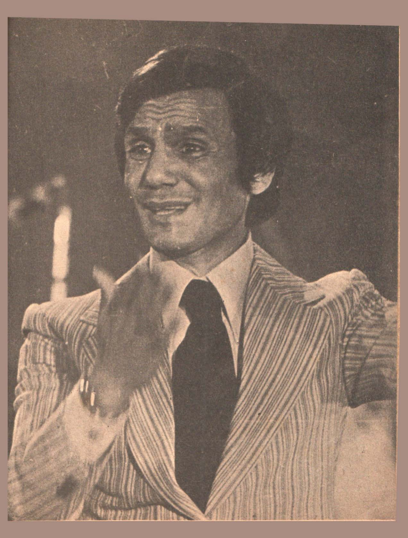
ولم تكن الاسكندرية وحدها كافية لان تتحمل الكلمات عن حبنا ٠

وكان لابد ان يترجم كل شيء عمليا وعدنا الى القاهرة .. بدأت ابحث لنفسي عن شـقة جديدة . غير شـقة « عمارة السـعوديين » .. ووجدت الشقة . وبدأنا نؤثثها معا .. بدأت تختار الوان الستائر . السـجاد . اللوحات . المكتب . حجرة الموسيقى . حجرة النوم . ذوقها بسيط ورائع كعينيها . وكانت محاولات الطلاق تجري . وكنت انتظر اليوم الذى تصل فيه المفاوضات الى نهاية . كانت المشكلة ان ولديها قد بلغ الصـغير فيهما التاسعة . والكبير عمره عشرة اعوام ومعنى ذلك ان الزوج يسـتطيع ان يطلب حضانتهما هذا حقه الشرعي . ولم نكن نتخيل ان نعيش بعيدا عن ابنائها . وكنت ممزقا . لا اجرؤ ان اطلب منها التخلي عن ولديها . انني اعرف معنى الحياة بدون أم . واعرف ان أي حنان غير حنان الام هو حنان مغشوش . واعرف أيضا ان الحياة بدونها ليست حياة . وانهكني النزيف اكثر من مرة . كانت معدتي قد تعودت ان تحتج على قلقي وكأنني لم اكن أريد ان اغني بدونها .

وكان الزوج قاسيا في مطالبه . انه يوافق على طلاقها بعد ان يقتلها تماما . بعد ان ياخذ منها احلى ما في حياتها .. الابناء .

كثرت الدموع في عيونها .
وتجمدت الدموع في عيوني .
وكنت اغني ايامها اغنية لها :
« بتلوموني ليه .
لو شفتم عنيه .
حلوين قد ايه
هاتقولوا انشغالي ..
وسهد الليالي مش كتير عليه » .
وكنت لا اعرف كيف اتصرف .
انني لا اطيق ان احيا معها وهي تتعذب .
وهي لا تطيق أن تحيا معه .
واحيانا يجب ان يكون الانسان جريئا ليذبح نفسه بهدوء .
قلت لها :

ـ خلاص مادام مش قادرة تسيبي الاولاد يبقى تروحي بيتك .
قالت :
ـ لو انا مش عارفه انت بتحبني قد ايه كنت قلت انك بتتخلى عني .



اذكر لحظتها انقباض معدتى . كنت اريد ان يكف القدر عن اللعب بى .. اننى لست « كارتا » فى كوتشينة يرمينى القدر دائما خاسرا .. لا اريد هذا الدور .

قلت لها :

ــ ما هو لازم أدوس على قلبى أعمـــل ايه . اطلب منك انك تتطلقى على حساب ولادك ومستقبلهم .. مش معقول .

ــ احيانا بيص الناس للواحدة من بره كده بيتخيلوا انها حلوة وانها سعيدة .. ما حدش بيعرف عذاب حد .

واتفقنا على ان تعود الى الزوج .

كان الزوج يحاول فى تلك الفترة ان يكون رقيقا ، كنت فى هذه الفترة أعانى أشد حالات الارهاق .

لا شيء يسلينى .

موجود مع الاصدقاء وغير موجود معهم .

العذاب فوق ما أطيق .

عيونها تحت جفونى كلما اغمضت عيونى رايتها .

كنت اعرف انها غير سعيدة .

كانت تعرف اننى معذب .

اخذها الزوج وسافر الى مقر تجارته بالخارج .. كنت اســـــافر الى اوروبا احيانا وانا لا ادرى لماذا .. وافاجا بها هناك . اذكر ذلك اليوم الذى سافرت فيه الى باريس فى ديسمبر ١٩٦٣ . وكنت عائدا من نيويورك .. اذكر جيدا اننى صعدت الى الطائرة المسافرة من نيويورك الى باريس وقلبى يحدثنى باننى سأعيش لحظات سعيدة . فوجئت بها فى مطار اورلى .. اجمل الجميلات .

ــ ازيك .

ــ الايام بتمشى ببطء .. الحياة مش عايزة تخلص .

ــ فيه حاجة .

ــ أبدا .. انت صحتك كويسة .

وكنت أقول لها ان الحياة بدونها هى اللعنة تماما .. لكن كان على ان اكتم حبى . لا اريد ان اصنع تعاسة لها ..

قلت لها :

ــ احيانا الواحد يعمل أى حاجة علشان يعيش . انا باعمل عمليـــة علشان اوقف النزيف .

وكنت احس ان نزيف معدتى هو نزيف غير دائم .. يهون أمره دائما امام نزيف شوقى اليها .

وعشت مع صداقتها وشوقى لها .. اخاف ان تلمس يدى يدها فتفضح يدى أمرى .. اذكر ان يدينا ظلت متعانقة لمدة ساعة . كل يد تحكى للاخرى ما حدث .. جرت دموع عينيها . ازداد تجمد الدموع فى عيونى . هذا عذاب .

عدت الى القاهرة .

كل يوم اشتاق لها اكثر .

فوجئت بصوتها فى التليفون .

قالت :

ـ خلاص الطلاق تم .. ما قدرتش اعيش اكتر من كده .. انا عمرى قصير .. لازم اعيش .

قلت بفرحة :

ـ نعيش سوا .. مش مصدق نفسى .

بدأنا نعيد تاثيث البيت . بدأنا نستعد لمواجهة الفرحة ، للحياة مع السعادة الى الابد .

نزلت ليلى الى السوق لتشترى بعض الاشياء .

فوجئت بأنها لا ترى .

ساقاها غير قادرتين على حملها .

ووقعت على الارض .

وقفت مذهولا أمام مرضها .. لا اصدق ، قال الاطباء ان فيروسا خطيرا تسلل الى المخ عاد لى النزيف وعادت لى الرغبة فى تحدى كل الظروف ليعيش الحب .

ـ لا اتخيل انها مريضة . انا امام المرض استطيع ان اهزمه وأن اتعايش معه . وان يغلبنى احيانا . ما ذنبها هى . كان الشحوب يتسلل الى وجهها . كنت اراها جميلة .. الذين يحبون هم وحدهم الذين يعرفون هذا الاحساس ، هناك امرأة فى حياة الرجل مهما اصابها من عجز أو تشويه او اى شىء ، تظل هذه المرأة جميلة .. هناك رجل فى قلب المرأة مهما اصابه الزمن يظل هو الرجل الوحيد .

قلت : تسمحى نتجوز النهارده .

قالت ضاحكة : حتى وانا عيانه . كده .





لم اقل لها ان ايوب عندما حملته ناعسة .. فى قنة على راسها كان اجمل الرجال ٠٠ لم اقل لها ان الحب لا يعرف المرض وانه يتحدى كل شيء ٠ هناك فى الحب كلمات لا تقال .

قالت لى : انا سامعة انك اخترت سعاد حسنى علشان تشتغل فى فيلم من افلامك ٠

ضحكت قائلا : انت بتغيرى ولا ايه ٠

قالت : ابدا ٠٠ واش بنت امورة جدا ٠٠ ممكن تسعدك لو ٠

غضبت ، كتمت غضبى ، لا توجد امراة غيرها قادرة على اسعادى ، قلت لها بهدوء : سعاد صديقتى .. صداقة بس .

قالت : انت حر انا نفسى اسعدك ٠

قلت : يعنى قصدك تخطبى لى واحدة ولا ايه ؟ ٠

قالت : ايوه ٠

خلال مرضها رحلة غريبة وعجيبة اذكر اننى غنيت فى « يوم فى شهر فى سنة تهدى الجراح وتنام وعمر جرحى انا اكبر من الايام » ٠٠ وكان جرحى فعلا اكبر من الايام ٠ غنيت ايضا لو كان بايدى افضل جنبك واجيب لعمرى الف عمر واحبك ٠

كان احد لا يعرف انى احب ، كنت فى سنة ١٩٦٤ قد قرات فى الاهرام عن سعاد حسنى التى اكتشفها عبد الرحمن الخميسى وانها لعبت بطولة فيلم واحد ٠٠ اخترتها لتعمل فى فيلم البنات والصيف بدات الاشاعات عنها ٠ كانت هناك رحلة الى المغرب ٠ كانت سعاد معنا فى الرحلة ٠ كان كل شيء حولنا يقول اننا اصدقاء ٠٠ وكان كل شيء بعيدا عنا يقول انها قصة حب خطيرة ٠ قالوا اننى تزوجتها فى اسبانيا ٠

قالوا اننى احبها وانكر حبها ٠ قالوا كثيرا ٠٠ والحقيقة ان ما بيننا كان صداقة ٠ انا منهمك فى تفاصيل قصة حب ، التليفون كل ليلة يدق فى بيت حبيبتى لاطمئن عليها ، مرضها يقتلنى ايضا وسعاد طفلة تستقبل شمس الشهرة والفن بمنتهى الحب ، فموهبتها جارفة ، وكنت مؤمنا بها ٠

علاقتى بها فيها حنان ٠٠ وعلاقتها بى فيها فرحة ٠ وكانت تتصرف بحكم الشباب الذى يملأها كما تريد ٠ فرحة بكل شيء ٠ وكنت اتمنى لها المزيد من الفرحة ٠٠ كلما رايتها تذكرت كيف قاومنى كل انسان حولى من اجل اختيارى لها لتعمل فى فيلم « البنات والصيف » وقفت سعاد امام الكاميرا عشرين مرة وانا مؤمن انها ستنجح فى المرة القادمة ٠ ونجحت

سعاد حسنى · ملأت الدنيا اشاعات الزواج كيف يمكن ان اتزوج واحدة من خلف ظهر حبيبتى . كنت اصرخ دائما فى كل من يحمل لى اشاعة سعاد حسنى .. كنت اتمنى ان اقول انا احب . الفنان مطلوب له استقرار ، الفنان طفل : اختيار زوجة للفنان مسألة لا تترك للتخمينات والاشاعات .كثيرا ما قلت لمن يسألنى ليس فى علاقتى بسعاد سوى الصداقة والزمالة والاحترام .. كنت احافظ لها على سمعتها . كنت اعرف أن هناك غولا مجهولا يريد دائما ان يأكل سمعة الفنان أو الفنانة .

استمر المرض يتسلل الى حبيبتى ·

يفترسها

قالوا العلاج فى لندن ·

سافرت ليلى الى لندن ·

قلبى منهك . اتمنى ان يحفظهـــا الله لاولادهـــا ولى . لا يجب ان يموت احد يحتاج اليه احد اخر ، اطفال صغار ، الموت تعود الاعتداء على الحب ، الموت ادمن الاعتداء على الحب ، الحزن يقتلنى ، احاول ان ابتسم · كان جرحا تعلق بابتسامتى ·· لا اريد شيئا من السماء ســوى ان تحفظها لابنائها ولى · امسك القرآن ·· اقرأ لها بعض الايات ·· اشـــعلت لها شموعا فى سانت تريزا ·· ذبحت الذبائح ووزعتها على الفقراء ·· ماذا يمكن ان افعل لانقذها ؟ انها ليست فى حاجة الى المال ·· فاغنى الليـــل والنهـــار واصرف على علاجهـــا · كثيرا ما نمت على دموعى تختلط بدعواتى ·

قالوا علاج مرضـــها فى باريس ·· طارت من لندن الى باريس كان قلبى معلقا فى الطائرة ، وباريس مدينة تجيد علاج بعض الامراض ، جراحة المخ متقدمة · من يتخيل ان له حبيبة لا يرجو منها شيئا سوى ان تظل سليمة ورغم ذلك ·· يقرر الاطباء أن يجروا جراحة بالمخ ليكشـــفوا عن الفيروس الذى يأكل خلايا المخ ·· من يتصور ذلك ·· اذكر اليوم بالتحديد ، جاءنى صحفى يقول لى ·

– لماذا تخفى اشاعات زواجك القريب ، هل الزواج جريمة ·

قلت الزواج دون حب جريمـــة ·· ثم لماذا اخفى زواجى ، لم اقل لـــه اننى اتمنى فعلا الزواج · لكن من احبيتها ليست لى ·· وليست لاحد · انها الان تحت مشـــارط الجراحين · قالوا ان علاجها فى امريكا ·· طارت الحبيبة من باريس الى امريكا ·

كان قلبى مع الطائرة . الالم احيانا يصبح فوق الاحتمال . يقول لى الاطباء اننى مجهد عصبى .. لا احد فيهم يعرف ان لى حبيبة تموت واننى اتشبث بالامل فى شفائها .

احيانا اغمض عيونى فاجدها تضحك .. احيانا اغمض عيونى فاتذكر لمسة يدها .. احيانا اراها بعيون مفتوحة وهى تقول لى : حليم خلى بالك من صحتك .. الذكريات والاحلام والعذاب ولابد من ابتسامة على الوجه .. والابتسامة جرح .

استمر المرض الغريب يفترسها .

جاء الموت .

لماذا تموت حبيبتى ؟

سؤال لا اجابة له .

انا امام الموت اصدق حكمة السماء الخالدة ندخل الدنيا بلا اختيار .

نموت بلا اختيار

بين الميلاد والموت نختار

نجحت فى اختيار طريقى كمغن

لم انجح فى اختيار شريكة عمرى لان الموت تدخل .

لا ادرى لماذا تمردت بينى وبين نفسى على الموت .

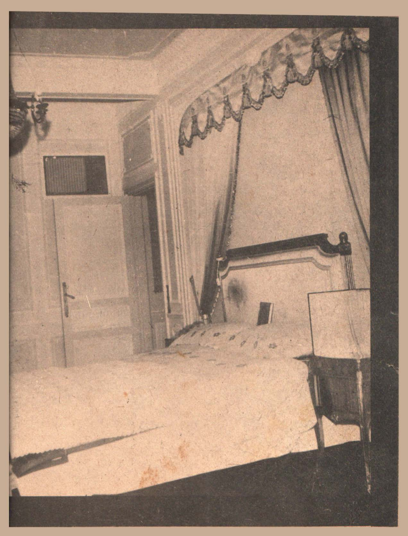
تطاردنى دائما كلماتها ..

ــ انا حا اموت صغيرة .

كثيرا ما سألت السماء هذا السؤال .

ــ هل من العدل ان تموت حبيبتى دون ان نحقق حلمنا .





أصدقائى
الأوفياء .. الخونة !



سريرى بطل أساسى فى قصة حياتى · اننى ارقد عليه معظم أيام عمرى ، كمريض ·· ومرضى هو الذى يحدد لى من هو صديقى الحقيقى ، ومنهو الصديق الانتهازى ·





قلب الفنان حديقة شاسعة فيها ازهار واشجار ونخيل واعناب وجزء شبه الغابة ونهر ملىء بخمور الود ونهر آخر ملىء بمياه الصفاء • وعقل الفنان هو العين التى تفحص جيدا كل ما فى قلبه •• والعقل يكشف الوفاء والاصدقاء والخيانة والكذب والامل • عقل الفنان يكشف عما يحيط به من طيور ونسمات ووحوش وزواحف •

وفى عالم يبحث عن الحب ولا يجده الا نادرا !

وفى دنيا نسمع فيها كل يوم مزيدا من الارقام •• حتى اصبح عقل الانسان كراسة قديمة مليئة بمسائل الحساب التى لم يصل فيها الى حل واصبح قلب الانسان عبارة عن احلام من الارقام •

كل ذلك يحدث فى الدنيا الغريبة العجيبة التى نحيا فيها •

وللمرة الثالثة فى هذه المذكرات اقول اننى لست فيلسوفا •• لكنى اتأمل ما حولى •• وسر تأملاتى الكثيرة •• هو هذا الاحساس الرهيب بالوحدة •

عندما يطفأ النور واكون مجبرا على النوم • معنى ان انام هو ان استلقى على هذا السرير العجيب الذى يختلف عن كل السراير التى ينام عليها خلق الله •

هذا السرير هو بطل اساسى فى قصة حياتى وهو يختلف عن غيره لانه مصنوع بطريقة صممها الاطباء • انه مائل • من عند الاقدام منخفض جدا •• من عند الرأس مرتفع جدا • يصبح النوم عليه كالصعود الى تل من القطن ، والسر فى ذلك هو ان الاطباء يرفضون ان تتجمع احماض المعدة فى منطقة الشعيرات الدموية التى تسبب النزيف •• لان الاحماض تأكل جدران هذه الشعيرات • فيحدث النزيف •• لذلك يجب ان انام مائلا لتظل الاحماض بعيدة عن منطقة الخطر •

وانا اكره النوم • اكرهه جدا • لانى دونا عن كل خلق الله •• قضيت اكثر من نصف عمرى فى السرير •• او بالتحديد لم استمتع بسنوات النجاح جيدا • لم اعش منطلقا غير محاصر بالقيود • وقبل ان انجح كنت اعيش بحرية • اكل بحرية • انام بحرية • بعد النجاح اصبحت كمية الحبوب التى اتناولها طوال النهار • اكبر احيانا من كمية الطعام التى اتناولها الله يأخذ والله يعطى ولا راد لامر الله . لكن الإنسان يناقش ظروفه ويتمنى دائما افضل الظروف •

والسرير تعلمت منه كثيرا • كان سريرى كالمدرسة التى ادخلها مجبرا •

عندما اشعر بالنزيف ويبدأ الاغماء • تبدأ عملية الاقامة الاجبارية فى السرير • فى اليوم الاول للمرض • يتجمع حولى الف صديق •• لا اراهم بحكم أوامر الاطباء • ويزدحم المنزل بالورد • وفى اليوم الثانى ياتى خمسمائة صديق • وفى اليوم الثالث ياتى مائة •• ويظل العدد يتناقص • وعندما يصل الانسان الى مرحلة من العلاج يمكن فيها ان يقابل الاصدقاء يكون عدد الاصدقاء قد قل •• واصبح يعد على اصابع اليد الواحدة • الناس تسرقهم مشاغل الحياة عن السؤال عن الانسان اذا وقع فى المرض • هنا ابدأ فى الاحساس بالمرارة تحت لسانى • يصبح طعم الحياة مريرا لانى لا احيا الا بالناس • بالاصدقاء • فاذا اختفوا من حولى •• اكون كالانسان المذنب وذنبى اننى مريض وجريمتى اننى لا استطيع ان اتحرك ونسيان من يقولون انهم اصدقائى هى ضريبة ادفعها لعدم قدرتى الجيدة على التمييز فى كمية الود التى يظهرها لى من يتخلى عنى •• وليس من المعقول أن أعطى الاصدقاء الود فينسى بعضهم وليس من المعقول ان اجد من هؤلاء عدم القدرة على السؤال عن الصديق فى لحظات المرض • هؤلاء يذكروننى بما حدث ذات يوم فى لندن •

جو لندن شتاء • لندن ليست دافئة الا بلون بشرة جميلاتها • انهن يرفعن درجة حرارة قلب الانسان • المرأة فى لندن زهرة برية نقية تخرج من جبل الصقيع • يفرح بها الانســان كثيرا • كنا نسير ثلاثة فى الطريق • سير لورانس أوليفيه يقبل دعوة غداء وجهها عمر الشريف له ولى • كنــا نسير الى المطعم • لم اكن مشـدوها الا لبساطة سـير لورانس أوليفيه • هذا الرجل الذى لعب معظم مسرحيات شكسبير •

هذا الرجل صفقت له ملايين الأيدى ، عاش قصة حب هائلة مع فيفيـان لى ، وكان الفصل الاخير من قصة الحب تدور احداثه • اختلف لورانس أولفيه مع فيفيان لى •• واقترب الطلاق • قالوا ان سر الطلاق هو البخـل الشديد لسير لورانس • فجأة برز أمامنا شحاذ انجليزى • قال الشـحاذ بصوت جاف تختلط فيه الذلة بالكبرياء •

ـ سير • لا اريد ان ازعجك كثيرا • لكن هناك زوجتى تلد الان • ليس معى نقود •• اطفالى سبعة • انا لا املك حق الدفء الا بحب زوجتى لذلك فاطفالنا كثيرون • لا اكذب عليـك وادعى انه ليس معى نقود • فى جيبى ثلاثة جنيهات • ماذا تفعل هذه الجنيهات لاسرة كبيرة العدد ولرجـل يحب زوجته لانها خمره التى يسكر بحبها كل ليلة اننى لم اسأل رئيس الوزراء لانى اعطيت صوتى الانتخابى لمنافسه • سقط منافسه وسقطت معه بعض احلامى • سيدى السير أريد مساعدتك المادية • لان الديمقراطية الانجليزية لا تلتفت الى احلام حب رجل فقير وزوجته •

وقفنا انا وعمر الشريف مندهشين تماما لان سير لورانس أوليفيه وقف واخرج من جيبه النقود كلها وامسكها بيديها ليعطيها للرجل نقدا وعدا •

ـ اليك ايها الرجل • عشرة جنيهات • عشرين • ثلاثين • اربعين • خمسين • ستين • سبعين • ثمانين • مائة • مائة وخمسين • مائة وسبعين هل تكفيك ••

لم تتغير لهجة الرجل • كان الذل والكبرياء موجودين فى صوته • قال :

ـ انحنى لك يا سير لورانس • هذا فوق ما اتمنى • اشكرك •

واشار الشحاذ الى تاكسى ، ركبه واختفى •

عند ذلك كدت اخبط يدا بيد •• ما الذى فعله سـير لورانس • قال عمر الشريف للممثل العالمى ضاحكا :

ـ اسمح لى انك تؤكد عمليا ان البخل هو اشـاعة كاذبة • اطلقها عليك من لا يحبك •

قال : سير لورانس ·

ـ أبدا ·· اما ان هذا الرجل ممثل خطير لم يجد الفرصة للظهور وفاته قطار الصدف الذى يقابل كل فنان واما انه فى ازمة خطيرة بالفعل · قهره الزمن ووضع كمية هائلة من الذل فى صوته · ولكن كبرياءه مازالت موجودة لذلك اعطيته كل ما معى · اما مسالة اننى بخيل · فالعصر الذى نحيا فيه غريب بالفعل ·

ان الناس اصبحت ورقا مطبوعا عليه فئة الجنيه والاكثر من ذلك · ان كرامة الافراد شيء منفصل عنهم فى هذا الزمن ·· نتحكم فيها آلات طباعة اوراق النقود · ويتحكم فيها قلة · هذا الوضع يحزننى تماما لذلك اترك النقود تتراكم فى البنك · اصرف منها اقل القليل · اكره عالم الحسابات ولكنى لا أتنازل عن حقى · لان السوق غابة واترك حصيلة ما اعطته لى الغابة فى البنك لا يهمنى بعد ذلك ان يقولوا بخيل · لا يهمنى اى شيء · الذى يهمنى هو انى اضع الانسان امام مشكلته عندما يدخل المسرح · تماما كما تضع انت يا مستر شريف الانسان امام مشكلته عندما يدخل السينما وتماما كما يضع صديقك عبد الحليم جمهوره امام عواطفه · اعتقد ان مهمة الفن لم تعد هى امتاع الانسان فقط ، ولكنها انقاذ له من عالم التفكير فى النقود · من وضعه كسلعة تباع وتشترى ·

كان سير لورانس أوليفيه يحدد بكلماته احساس فنان يرى قسوة الحياة فى زمننا · وقد اختلفت معه فى اسلوب تصرفى فى النقود · اننى لا ادعها تتراكم بل اصرف منها · اصرف منها على نفسى واسرتى ومن يحتاج · لا اريد ان اخذ الان وضع الرجل الذى يفخر بما يملك وبما اعطى للاخرين · لكنى لا اعتقد اننى رفضت ان اساعد احدا طلب المساعدة · لا اريد ان اذكر حقائق يعرفها عنى كل من حولى · لكنى مازلت اذكر حادثتين كلتيهما تؤثر فى تماما ·

كان لى صديق يعيش قصة حب ·· كانت ظروفه غاية فى القسوة وكان موهبة تشق طريقها ببطء · المجال الذى يعمل فيه ليس سهلا ان يصل فيه الانسان دون ان يكون وغدا · كان يرفض ذلك · اكثر من مرة كانت امامه الفرصة ليصل على اكتاف اخرين · لكنه لم يفعل · كان هادئا ومتوترا ومتوهجا · وكان يحب · وكانت الحبيبة مثله تماما ·· الا ان المراة احيانا تاخذ الفرصة فى الصعود الى المجتمع ·· وكانت تصعد فى مجال عملها ··

حاولت ان اقدم له المساعدة المالية لم يقبل . بكى يومها . سألته هل اخطأت الطريق اليك ؟ قال : لا .. ولكن اذا كان المجتمع الذى احيا فيه يعذب الحب بهذه الطريقة فليمت حبى . ولابكيه . وان لم تستطع حبيبتى ان تبدأ معى من الصفر . فليس هناك داع لاستمرار الحب انني ارفض ان يتسلل الكذب الى عقل حبيبتى لا اريدها ان تعلقنى كشارة فخر او بروش على فستانها . انما اريد ان تعرف ان الحب علاقة اثنين يعطى كلاهما الاخر كل ما عنده . ليس المفروض ان تحدد كمية ما عنده .. المهم المشاركة واقتنعت .

ومات الحب بينهما لان الكذب تسلل .
المجتمع وضع الشروط على لسان الحبيبة .
لم يستطع الحبيب ان يحقق الشروط .
تجمدت الدموع فى عيون العاشق .

رأيت الحبيبة اكثر من مرة وقد تزوجت انسانا اخر شعرت ان السماء علقت فى عيونها سؤالا لن تجد له اجابة .
ـ لماذا مات منى الحب .
وهى لن تعرف الاجابة أبدا .. سألتها عن حياتها بعد الزواج ؟ . قالت الزواج نوع من المشاركة بين اثنين . سألتها هل كنت ستصبحين سعيدة لو تزوجت بمن تحبين ؟ قالت :

ـ لا اعتقد . لان اليأس نوع من الراحة وكان الحب يجعلنى اطرح عليه اسئلة كثيرة اشك فى كل شىء . احسب له كل خطوة .. كاد يتعثر لانه اما ان يخون نفسه واما ان يعبر عنها .. ولم يستطع خيانة نفسه .. وفقدنى . وفقدته . سكتت ساهمة ثم قالت : « يخيل الى ان الحياة بعد الحب هى وهم مستمر .

رأيته بعد ان تزوج . قال : صحيح اننى فقدت سنوات فى الحب . لكنى وجدت انه من العدل ان يموت ذلك الحب الهش وان تنشأ علاقة جديدة بين انسانة احبها وتحبنى . ان الحب يتجدد ان حاول كل انسان ان يعطى الطرف الاخر ما عنده دون ان يحسب دخله وطوله وعرضه . سألته . هل انت سعيد .
قال : المعنى الحرفى لكلمة سعادة غير موجود فى الدنيا .
لكنى ازى فى عيونه احيانا سحابة من الدموع تشده الى ما فات . لكنه يزيلها بسرعة .





رجل اخر • كان الخجل يملؤه • رجل بسيط وظيفته تمورجي • تسعة ابناء كنت ارعاه دائما • كان يخجل دائما • كان عندما تضيق عليه الظروف احس به لاقوم بواجبي وفجأة سمعت انه القى بنفسه من اعلى العمارة التى يسكنها لانه لم يستطع شراء ملابس لابنائه • كدت اجن • لماذا قتل نفسه • لماذا لم يجعلنى اراه قبل هذا الحادث • احسست بالذنب • لســـت ادرى لماذا ؟ •

صديقة اخرى : قالوا عنها انها « مش ولابد » • نظرت اليها العيون بالغمز واللمز • من عادتى ان انظر الى كل انسان كتجربة خاصة • لا يمكن ان نحكم على الانسان لمجرد سماعنا حكاية او اثنتين • الانسان كائن متغير بحكم الظروف التى تمر عليه • اقتربت من هذه الانسانة • عرفت ظروفها • فوجئت انها اصيبت بشلل عصبى • بدأت اتالم لظروفها • لا لشىء الا لانهـا صديقتى •• لم اكن اطلب منها شيئا • فوجئت بها تعلن فى اكثر من مكان اننى عريسها القادم •• قلت لها اكثر من مرة •• لا داعى لهذه الاشاعات لانى احب • قالت انا لا اقول شيئا من هذا •• جعلتنى احس بالحيرة امام احترافها الكذب •

سقطت من حياتى كورقة شجرة فى الخريف لم تسأل عنى فى احدى مرات اصاباتى بالنزيف لم احزن الا لانى حاولت ان اكون صديقا لها فى وقت ازمتها ولم تكلف نفسها حتى السؤال فى التليفون •

لا ادرى •• لماذا تذكرت الان محمد الموجى وانا اجرى بالقلم على الورق •• لانى اذكر مرة ونحن ندخل معهد الموسيقى معا •• فوجئت بمن يقول لمحمد الموجى : مبروك •• عروسة حلوة • وكان للموجى نزوات •

عرفت انه تزوج واحدة تغنى فى كباريه وانه اخفى خبر زواجه عنى • حزنت لانه اختار لنفسه واحدة لا تليق به • غضبت منه • وقلت له لابد ان تطلقها وان تعود الى بيتك واولادك ، وبالفعل طلقها الموجى • كانت هــذه الفتاة التى طلقها الموجى تشبه تماما هذه الفتاة التى اعلنت بالكذب فى كل مكان اننى ســـاتزوجها •• ومادامت سيرة محمد الموجى قد جاءت •• فاليكم قصتى معه •• ان هناك بعض التفاصيل نسيتها وانا احكى المذكرات •• محمد الموجى ابن ناظر العزبة الذى شرب الموسيقى من عزف ابيه على العود• والذى أصر على تصميم زى للفرقة الماسية والذى كان يجلس دائما بالعود ليعزف خلفى فى كل الحفلات ولم ينسحب الا عندما لحن لى عبد الوهاب اغنية « توبة » يومها قال لى :

ـ اســــمع يا عبد الحليم ٠٠ انا وكمال الطويل بنحب بعض ٠٠ بيسمعنى الحانه قبل ما يذيعها ويسمع الحانى قبل ما تذاع ٠٠ علشان كده انا ارضى اعزف الحان كمال خلفك ٠٠ اما غير ذلك ٠٠ فلا ٠٠

وحدث مرة ان سجل محمد الموجى لحنا ٠٠ وفوجىء بأن عبد الوهاب جاءه نفس الخاطر الموسيقى ٠٠ وبعدها قال للاستاذ عبد الوهاب :

ـ ده اللحن ده انا قلته ٠

وقال عبد الوهاب :

ـ غريبة مسألة توارد الخواطر الموسيقية دى ٠٠ نادر مابتحصل ٠٠ وهنا صمت الموجى واصبح لا يمسك العود ابدا امام اى موسيقار الا كمال الطويل ٠

ولم اغضب من محمد الموجى ٠ ومازلت انظر الى غيرته على نجــاحى ٠٠ بحب ٠ انه يعرف اننا انا وهو وكمال بداية طريق ٠ ومازلنا معا ٠٠ وقد ثارت يوما زوبعة ٠٠ اســـمها : ان ام امين قامت بعمل « عمل » ٠٠ ولا أريد ان اقول اكثر من اننى رجل مؤمن بالله ٠٠ وام امين زوجة صديق ٠٠ واخت لى ٠٠ وتعـــــرف ام امين اننى لا اجرؤ بينى وبين نفسى على تصديق هذه الاشاعة الشريرة وتصالحنا معا ٠

ان بينى وبين الموجى ذكريات تبدأ من العود الذى كنا نغطيـــه معــا بالبالطو لنسير فى الشارع من معهد الموسيقى الى بيتى فى المنيل ويسقط المطر فنخاف على العود ونضــــعه بيننا ونسير ٠٠ ويعود بعد ذلك الى العباسية سيرا على الاقدام ٠

بينى وبين الموجى ذكريات الجلوس فى شــــادر البطيخ الذى يملكه مرسى جميل عزيز فى الزقازيق ٠ كان مرسى يكتب اغنية يا ابو قلب خالى ٠٠ وكنت اخذ الكلام واعطيه للموجى فيلحنـــه ٠ ان البعض قد يقول ان الموجى اسرع من يلحن ٠ لكنى اقول انه من اكثر الملحنين اصــــالة ٠ لان موهبته تتفجر فى معظم الاحيان فجأة مع اى كلمات جميلة ٠ رغم انه لحن قصيدة نزار « رسالة من تحت الماء » فى أربع سنوات ٠٠ يلحن مقطعـــا منها ٠٠ واسمعه واحفظه ٠٠ ويعود لاحفظ مقطعا اخر ٠٠ وينسى ٠

لقد مرت سنوات اربع حتى تكامل اللحن ٠ وهو يحفظنى بطريقـــة غريبة ٠ يكفى انا يقوله امامى مرة لاحفظه واذكره انا به بعد ذلك ٠

بينى وبين الموجى ابتسامة نذكرها دائما ٠٠ ففى ســـنوات البداية

قفزت فكرة الى رأس احد اقاربه وهو سعيد الموجى · كانت الفكرة تتلخص فى انه يريد ان يقدم عرضا للفن فى القاهرة خلال نصف قرن ·· منذ المظ وعبده الحامولى وسلامه حجازى وسيد درويش وصالح عبد الحى وكافة الوجوه التى مرت فى عالم الفن ، مثلا استدعى عادل مامون ليغنى اغانى عبد الوهاب وحتى رقصة الشمعدان كان سيعرضها ·· وكان الاتفاق ان ينتهى الاستعراض بغنائى · كنت اخر جديد قد ظهر فى هذا الوقت ·

وكان الاستعراض سيعرض على مسرح المعرض · وجلسنا ننتظر مقابلة سعيد الموجى ·· ضاع نصف ساعة ·· ضاعت ساعة · مرت ساعتان ونحن جالسين انا ومحمد الموجى فى انتظار مقابلة سعيد الموجى · وفوجئنا ·· مفاجأة مذهلة · خرج من حجرة سعيد الموجى رجل يصحب كلب كانيش · الكلب يرتدى قبعة ويمشى على قدميه بوقار ويرفع قدميه الاماميتين · وعندما دخلنا الى سعيد الموجى · قال ان هذا الرجل قد درب هذا الكلب على ان يرقص رقصة الشمعدان ويطلب اجرا كبيرا فى نمرته كان لابد من مساومته واستمرت المساومة كل هذا الوقت ·· وضحكنا على تلك الحكاية ومازلنا نضحك عليها ·

محمد الموجى هو عواطف ساخنة ودافئة وتعلن نفسها بطيبة وتماسك وحب · دائما يحكى عن حلمه القديم · عندما راى فى المنام انه يركب على حصان ابيض يطير فوق السحاب وينتقل من مكان الى مكان · وكان فى يده عود من خشب الابنوس ·

محمد الموجى فنان يعرف جيدا قيمة الموسيقى وحدود كل ملحن ويعرف اختيار الجملة التى تعيش · ويقول عنى ضاحكا : اننى اعرف كيف اختار « اللازمة الموسيقية » التى تربط مقطعا من الاغنية الى المقطع الاخر ·· وهو لا يعلم اننى استخرج هذه « اللازمه الموسيقية » من لحن الاغنية التى يلحنها لى ·

قلب الموجى متسع · سريع الغضب بحب · سريع الرضاء بفهم · يمكن ان يفهمنى فور ان يلقانى · بيننا ذكرى العود الذى كنا نضعه فى كيس كحلى ·

قلب الموجى يبدأ حواره معى دائما من ذكرى اصراره على ان يقدمنى فى ركنه الموسيقى ايام ١٩٥١ ، ١٩٥٢ · عندما طلب من الاستاذ حافظ عبد الوهاب ان يلحن لى ويومها قال حافظ عبد الوهاب « لا ·· انا شايله

•• ده كنز » • واخيرا اقنع الموجى حافظ عبد الوهاب بان اغنى فى ركنــه الموسيقى وعندما قبض التسعة جنيهات اجر اللحن قال لى ان احد اصدقائنا يعيش كارثة وجرينا الى الصديق نقدم له كل ما نملك •

فى قطار الصداقة هناك عمر الشريف • الذى التقى به كلما ســافرت الى اوربا •• والذى يطير من اى مكان لنلتقى لليالى طويلة نتحدث فيها معــا •• ان ذكرياتنا معا تشــــدنا •• منذ ايامنا الحلوة حتى الان • ان احدا لا يعرف ان عمر الشريف هو اكثر الفنانين صمتا •• ويقول لى :

– انا ادخر لك كل مشاكلى لاسالكفيها •

ونظل طوال ليال لا نمل الكلام فيهــــا •• ويحكى •• يحكى •• ان العالم الدى يحياه عمر الشريف عالم يشعر فيه بالوحدة •• وبالحاجة الى صديق ، ولقد كنت دائما هذا الصديق الذى يحكى له عمر •

ومادمت احكى عن عمر الشريف •• فلابد ان اذكر هذه الحكاية •

علم عمر الشريف .. اننى لم استطع تسديد مبلغ الفى جنيه استرلينى لشركة تحميض الافــلام التى كانت تحمض فيــلم ابى فوق الشجرة .. طار عمر الشريف .. وسدد المبلغ . وقال لى غاضبا .. لماذا لم تقل لى ؟

وسددتها له بعد ذلك شركة صوت الفن مع كل الشكر .

●

قطار الصداقة ركب فيه واحد اختار دور الخائن . اما كيف اختار هذا الدور . فالحكاية من البداية . انه كان زميل رحلة العمر .. كان يرهق نفســه بمديحى ولم اكن اصدقه .. لدرجة اننى طلبت منه مــرة ان يتوقف عن ذلك ليقول لى عيــوبى .

فوجئت به بعد ذلك يهاجمنى وينقل اقاصيص كاذبة عنى . ولاننى احب المواجهة واجهته بمــــا قال أمام من قال لهم .

هنـــا ازداد وجهه اصفرارا .

هنـــا تلعثم .

هنا كدت ابكى لانه اختـــار هذا الموقف .

●

قطار الصداقة فيه جمال منصور سفيرنا فى قبرص .. هـــذا العقـــل الواعى . الهادىء . الملىء بحب مصر . الذى يعمل بداب شديد . الذى يرى الدبلوماسية على انها فهم وثقافة واجادة لغات . ويرى ان مرتبه من حق بلده

فيصرف كل ما معه على عمله ولايدخر شيئا . الذى يقول الصدق بهدوء .
اذكر ان صداقتى معه بدات عام ١٩٦٣ عندما نزلت باريس وكان قائما بالاعمال . جلست معه .. وجدت اننى أمام موسوعة سياسية تحب مصر .
اننى أحس ان كل تقدم فى العلاقات بين فرنسا وبيننا يرجع الى البذور الاولى التى وضعها جمال منصور ايام ان كان سفيرا لنا فى باريس يقف معه فى قلبى فى نفس المكانة د . محسن عبد الخالق سفيرنا فى اليابان .

●

قطار الصداقة فيه د . يس عبد الغفار .. هذا المتصوف العالم المكتشف المتواضع الذى يرد أجر الكشف لمن يرى انه غير قادر على دفع « الفيزيته » والذى عندما تولى علاجى قال لى :

ـ انت موهبة وانا لاعالج المواهب بنقود والذى يرفض ان يتلقى منى اى اجر .. والذى يثور بعنف عندما اخرج عن قواعد العلاج التى يرسمها ولا يتوانى عن السفر الى فى الخارج ليعقد كونسلتو مع الاطباء العالميين .

وتنحنى خبرة عباقرة الطب امام عقله الواعى المتواضع . وهو الذى اختار لى الدكتور هشام عيسى ليكون ساهرا على تنفيذ خطة علاجى التى يتفق فيها د . يس مع كبار اطباء لندن وباريس . هشام هذا الانسان المثقف الطيب . والعقل المنظم الذى يرتب لى حياتى مع مرضى ويسهر الليالى بجانبى . انه يعرف جيدا .. كم اكره سريرى . لانى أرقد عليه معظم ايام المرض . يتساقط عدد الذين يسألون عنى فاشعر بالوحدة . والمن المرض الذى يجبرنى ان احبس نفسى عن الحياة بحرية .

بقى ان اقول اننى لم اتخل عن صديق . كان قلبى دائما مفتوحا للصداقة .. لكن هناك من يختار لنفسه ان يبتعد .
عندما انظر فى عيون د . هشام المح فى ثنايا بريقها خوفا قديما داهمه منذ سنوات عندما اصابتنى الغيبوبة .. قال يومها لشحاتة :

ـ عبد الحليم عبارة عن أرادة وأمل . فاذا حدثت الغيبوبة . فمعنى ذلك ان الارادة معطلة وان الامل غير موجود فى داخله . والسلاح الاساسى الذى يواجه به المرض هو الارادة والامل .

كانت هذه الايام الثلاثة هى اخطر ثلاث ليال مرت فى حياتى كلها .. هذه الايام الثلاثة تقودنى الى الحديث عن صداقتى مع الملك الحسن .



عشت
أيام المذبحة
فى المغرب!

قرر الملك الحسن أن يدخل التحدى مع مرضى .. ووضع أمامى كل امكانيات العلاج والأمل .

فوجئت وأنا فى الاذاعة المغربية بأن هناك جنود يضعون الرشاشات فى ظهرى لاقول بيان الانقلاب ضد الملك الحسن .. ورفضت ان أخون الصديق الوفى .





ردهات فندق الهيلتون بالقاهرة زرقاء . تذكرنى بمطار اورلى بباريس العام ١٩٥٩ . السد العالى سيعلن افتتاحه . سيضغط عبد الناصر وضيوفه على زر كهربائى . سينشق جبل الجرانيت . سيتحول مجرى النيل . الملك محمد الخامس هذا المقاتل الصلب والهادىء حضر الى القاهرة . كنت فى الهيلتون ليلتها استعد للسفر الى اسوان . لاغنى للسد العالى .

وقفت عيونى فى لقاء مع عيون انسان انيق للغاية . تقدمت لتحيته انه الامير الحسن ولى عهد المغرب أثناء المصافحة احسست انه سيوجد بينى وبين هذا الانسان مشوار رائع من الود والصداقة .

●

كان هذا احساسى .. وصعد الملك الحسن الى عرش المغرب وفى عام ١٩٦١ سافرت مع بعثة لصوت العرب الى المغرب . غنيت فى كل المدن . دعانا الملك الحسن الى حفل أقيم فى قصره . وفوجئت بعد عودتى بمنع الاغانى التى اغنيها من اذاعة المغرب ومنع الافلام التى امثلها من العرض فى المغرب . سافرت الى امريكا للعلاج على نفقتى .

سمعت وانا هناك ان بعض الغيوم تجمعت فى سماء الوطن العربى . قامت مناوشات عسكرية بين المغرب والجزائر . قاطعت المغرب كل الفن المصرى . هدات السحابة . عاد للسماء العربية صفاؤها . زار عبد الناصر المغرب .

تمت عودة الفن المصرى الى اذاعة ودور السينما فى المغرب ماعدا افلام واغانى عبد الحليم حافظ . تعجبت من ذلك . امسكت القلم والورق لاكتب رسالة الى الملك الحسن جرى الاحساس على الورق . قلت فى الرسالة اننى اكتب لجلالتك فقط لاعرف السبب فى منع اغنياتى وافلامى . ليس هذا لانى اريد ان تذاع الاغانى . فانا اعرف ان اى راديو فى المغرب ينقل صوتى من المحطات الاخرى الى اى انسان فى المغرب . واجرى فى الفيلم عام ١٩٦١ كان خمسة آلاف جنيه واصبح الان ثلاثين الفا . انا لااحب ان يتخذ ضدى قرار لاافهمه ولااعرف اسبابه . وان كان هناك اى اتهام لى فانى على استعداد لمواجهته ، حتى لو اقتضى ذلك ان اقف امام اى محكمة مغربية واحاكم كمواطن مغربى ان كان قد صدر منى مايسيء الى المغرب .

ولم يأت الرد .

ولم اعرف هل وصل الخطاب ام لا ؟

لكن وبعد مدة وصل مندوب من وزارة الانباء المغربية يوجه لى الدعوة لحضور عيد ميلاد الملك .

فى ١٠ يوليو ١٩٦٧ . طرت الى هناك ومعى وفد كبير من المطربين والمطربات المصريين .. كانت هناك فرق من لبنان وجميع انحاء العالم .

غنيت للملك وللقدس وللوحدة . عرفت اثناء هذه الزيارة ان هناك من دس لى دسيسة تقول اننى اسأت الى المغرب . تبددت الدسيسة . تكررت زياراتى للمغرب . فى كل مرة يشملنى حب الملك الحسن .. انزل فى ضيافته . اشعر دائما اننى امام فنان وانسان ذكى متألق الذكاء . شفاف الروح . يعرف تماما من امامه . يبدو سعيدا ويريد ان ينشر السعادة حوله . رب اسرة ممتاز . باختصار اشعر اننى امام انسان وضعته الظروف فى المكان الذى يستحقه .

●

فى احدى الزيارات عام ١٩٧١ قال الملك لى انه قرر ان يدخل معى تحديا هو أن يضع كل امكانيات الطب فى مواجهة مرضى .

وانه يطلب مساعدة الله ومساعدتي للقضاء على هذا المرض ..
وقال ان المحبة بيني وبينه شيء كتبه الله علينا . كان الملك لايريد ان اعلن ان علاجي سيتم على نفقته الخاصة . وانا اعلنت ذلك لاني كنت أريد ان يعرف الناس ان الدنيا فيها خير .

وكان معي الدكتور هشام عيسى .. ودخل الملك في مناقشة حول الطب الحديث .. واندهش د . هشام من معلومات الملك الطبية كان الحديث يدور حول اجهزة جديدة تعيد دقات القلب بعد ان تتوقف . قال الملك انه يقترح ان اقوم برحلة الى امريكا لاجراء فحوص وتحاليل في رحلة استكشاف لوسيلة جديدة لعلاج الكبد والنزيف . حتى استمتع بأكبر فترة من العمل دون ان يهاجمني النزيف .

وقال الملك ان الطب الحديث لايكتفي بالتحاليل الطبية والادوية ولكن بملاحظة الطبيب لنفسية المريض . وحيا د . هشام لانه يضعني تحت الملاحظة المستمرة ، واستمر النقاش بين الملك وبين د . هشام حول مرضي .

وكانت اول مرة اسمع فيها من د . هشام رايه في مرضي وطريقة تقبلي له .

قال د . هشام : ان عبد الحليم انسان يعيش في ظل قيود اولها رجيم قاس .. ياكل اصنافا محددة ومحدودة وسهلة الهضم .. ويرضخ لهذا القيد بمنتهى الرضا .

عبد الحليم يعيش في ظل قيد آخر هو ان لحظات الاستمتاع بالحياة يجب الا يزيد فيها الانفعال عن الحد اللازم لان الانفعال يسبب النزيف وهو يرضخ لهذا القيد ما عدا الوقت الذي يغني فيه لانه يضع عمله في المقدمة . وهو يسمع نفسه عشرات المرات بعد تسجيل كل اغنية ليس اعجابا بالنفس ولكن هو الرغبة في استخراج كل ما هو جميل .. ليكون مونتاج الاغنية بعد ذلك هو احلى ما يقدمه للجمهور .. عبد الحليم انسان يحب ان يعرف كل شيء وان يتدخل لفهم كل شيء وحاسته السمعية هي اقوى احاسيسه لانها جزء من موهبته وعلاج مثل هذا الانسان صعب .. لان الطبيب اذا اخذ قرارا أثناء العلاج فعليه أن يشرح ويقدم الاسباب .. وهو انسان قوى التفاؤل سريع التشاؤم .. يعيش في حالة التهاب مزمن في اللوز ويسهل انتقال البرد اليه ولا يجرؤ احد على اجراء عملية ازالة اللوز له لان البنج يحمل اخطارا على الكبد والصوت والذاكرة .

وقال الملك الحسن أنه سعيد لان طبيبي يفهمني .. وكانت رحلة أمريكا على نفقته وكانت اكتشافا لاسلوب جديد في مواجهة مرضي والوصول الى

اسلم طريقة للعلاج .. وهى اننى لابد ان الزم السرير شهرين كل سنة لاجراء فحوص ولعلاج اى شىء يستدعى العلاج .. وعدنا من امريكا الى المغرب .. كان هناك عيد ميلاد ابن الملك ٠٠ رشيد ٠٠ واستقبلنا الملك وكان يبدو أسعد انسان فى الدنيا ٠٠ كانت الفرحة تملأ وجهه لانه اعاد لى حالة صحية أحسن، وكان يسأل عنا بالتليفون فى امريكا يوميا .. وكان سعيدا بعيد ميلاد ابنه .. وكان يبدو رب أسرة سعيدة جدا ٠٠ وكان المرح ينعكس على جو مدينة فاس كلها . وانتقلنا بعد ذلك فى ضيافة الملك الى الرباط استعدادا للاحتفال بعيد ميلاده يوم ٩ يوليو حيث يجرى الاحتفال الخاص .. اما فى صباح ١٠ يوليو فيجرى الاحتفال الرسمى وكان الملك قد دعا معظم اصدقائه فى جميع انحاء العالم بالذات اصدقاء لعبته المفضلة الجولف .. اصدقاء فى امريكا وفرنسا ، وجميع انحاء العالم منهم الطبيب والكاتب والمهندس والفنان وكان هناك فنانون من كل دول العالم .. من لبنان فريد الاطرش ووديع الصافى وسعاد محمد ، ومن مصر محمد عبد الوهاب وشادية وهدى سلطان وشريفة فاضل ومحمد قنديل ومحمد رشدى وفرقة احمد فؤاد حسن بكل نجومها وبليغ والموجى والسيدة نهلة القدسى .. والملك يبدو كاسعد انسان فى الدنيا .. واستقبلنا الملك انا والدكتور هشام فى ملعب الجولف .. كان اول من استقبلنا هو جنرال طويل ممتلىء قليلا .. معروف جدا داخل القصر بانه قائد الحرس الملكى .. وغير معروف على المستوى الجماهيرى انه الجنرال مدبوح .. استقبلنا الملك فى ملعب الجولف .. كان يرتدى قميصا « اسبور » وبنطلونا ابيض . طاف بنا فى انحاء قصر الصخيرات .. كانت هناك حركة بناء فى القصر .. بناء استراحة صغيرة .. لاستقبال الزوار والضيوف فى احتفال عيد ميلاده .

كان الملك يبدى ملاحظات على ألوان الستائر كنت مندهشا لكثرة معلوماته فى الهندسة وفن الديكور .. فكرت للحظة فى مواهب الملك .. انه يعرف الموسيقى لا كمستمع عادى وانما كدارس .. وكنت سعيدا لسعادته ٠٠ أنه ملك مستقر ٠٠ حرسه مخلصون ٠٠ احتفالات على الابواب.

وجاءت ليلة الاحتفال .. بعيد ميلاد الملك فى قاعة الاحتفال بالقصر بدأ الحفل .. يجلس الضيوف وكان الملك يطلب المغنيين .. وغنيت موعود .. وغنى مغن مغربى هو محمد الحياتى الاغانى الخاصة بى كزيادة فى تكريمى .. وكان أحدا لايعلم أنه بعد ساعات ستجرى محاولة الانقلاب كان مقررا أن يتم هذا الانقلاب يوم عيد ميلاد ابن الملك مولاى رشيد . وتم تأجيله . ولو كان قد نفذ فى يوم عيد ميلاد ابن الملك . لكان الموت ابتلع عددا كبيرا من الفنانين .

ولما نجا احد لان القصر محكم الابواب وكان التأجيل هو اول خطوة ناحيــــة الفشل .. كان سبب التأجيل أنالانقلاب لو حدث فى تلك الليلة فانه لن يكون ذا ضجة عالية لان الحاضرين هم مجموعة من الفنانين وتم تأجيله الى ١٠ يوليو لان الاحتفال بعيد ميلاد الملك يحضره دبلوماسيون وساسة .

وجاءت ليلة أقصر انقلاب فى العالم . بدأت الاحتفالات بحفل خاص يحضره المقربون من الملك فى قصر الصخيرات .. ووصلت أنا ود . هشــام متأخرين كالعادة .. كنت قلقا بسؤال خالد .. لماذا لاأنظم مواعيدى .. لماذا أبدو دائما امام نفسى كانسان ينتظر ميعادا .. وعندما تأتى مواعيــدى أجدنى متأخرا عليها .. قلت لنفسى فنانون كثيرون يعانون من هذا العيب ولكن لابد أن حترم أمر نفسى ضد هذا العيب .. دخلت الحفـــل وكانت الصيحة التقليدية التى يستقبل بها الحاضرون الملك .

ـ الله يبارك فى عمر سيدى .

كان معنا الكاتب الصحفى محمود عوض والشاعر الغنائى محمــــد حمزة .. نظر الملك الى الدكتور هشـــام وقال :

ـ انت عيان يا دكتور .. لكن الحمد لله عبد الحليم صحته لابأس بها .

وكان هشام على ابواب انفلونزا .. قال محمد حمزة بعد ان ابتعد عـــن الملك .. يظهـــر الملوك بيعرفوا كل حاجـــة .

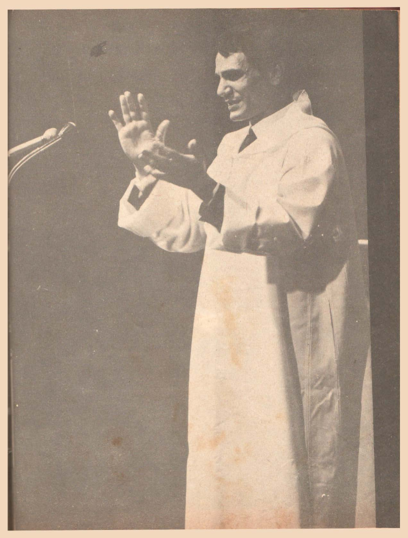
●

واختصنا الملك الحسن بالجلوس معه . عبد الوهاب وفريد الاطرش وانا وغنيت فى تلك الليلة مرتين . غنيت المرة الاولى عندما طلب منى الملك ان أغنى وفى المرة الثانية اقام للدكتور هشام ليقول :

ـ بما انك المسئول عن صحة عبد الحليم فانى استاذنك فى ان يغنى مرة ثانية لانى لم اشبع من غنائه بعد .

وغنيت بمنتهى الرضا .. هذا عيد ميلاد صديق قرر بينه وبين نفســه أن يضع الامكانيات لمواجهة مرضى .. وسهر الملك حتى الثانية صباحا على غير العادة .. قال الملك ان هناك خبرا فنيا سيســعد الجميع .. ان عبد الوهاب سيغنى مساء غد فى ثانى أيام الاحتفالات .. فهو لم يغن منذ مدة .. وطلب عبد الوهاب الاذن فى عدم حضور حفل الصباح ليستعد للغناء .. وكان متوترا غاية التوتر من اجل الوعد الذى قطعه على نفســه بالغناء .. كان يبـــدو قلقا





للغاية .. ولابد أن يجرى بروفات مع الفرقة الماســـــية وطلب منى الملك ان أتوجه الى الاذاعة فى الصباح لاجرى مونتاج الاغنية الجديدة التى أعددتهـــا لهذه المناسبة . وكان معنى ذلك أن انام بحرية لانى لاأطيق أن ادخل الاستديو لاجراء مونتـــاج اغنية الا بعد أن أكون فى غاية الراحة . لان مونتاج الاغنيـــة هو الصورة النهائية التى أوافق عليها ليظهر صوتى الى الجمهور .. لاأدرى لماذا أتذكر اثنين دائما كلما جاءت كلمة مونتاج أغنية .. نصرى عبد النـــور مهندس الصوت فى استديو مصر ، عبد العزيز قنديل كبير مهندسى التسجيلات فى الاذاعة المصرية .. كليهما يتقن عمله بدرجة تجعل المونتاج فنا كاملا .. كليهما يملك الاحساس بالمطرب وبالموسيقى وبالجمهور .

وكان المفروض ان استيقظ ايضا مبكرا لاحضر الحفل . وايقظتنى عاملة الفندق فى التاسعة وكنت احس اننى لم أرتح بعد . فخلعت فيشـــة التليفون ونمت حتى الحادية عشرة وقمت من النوم وأنا فى غاية الاستعجال . لبست قميصا اسود وبنطلونا وشرابا وحذاء اسود . لاأدرى لماذا أخترت هذا اللون ولم اكن اعرف ان له فائدة كبيرة جدا .. سألت عن عبد الوهاب اننى اخشى عليه من القلق .. استاذ .. اليوم يكاد يكون فى امتحان .. ميزة عبد الوهاب هو التلمذة الدائمة امام فنه .. انه رغم تمكنه من كل ما فى الموسيقى والغناء من اسرار الا انه يملك خوف العاشق الذى لمس الحب قلبه لاول مرة .. قالوا لى ان عبد الوهاب خرج الى الفندق الذى تنزل به الفرقة الماســـية ليجرى بروفات .. الرباط كلها مزدانة بالاعلام والزينات .. السيارات الملكية تنقل الضيوف الى قصر الصخيرات هناك حفل الصـــباح يحضره الدبلوماســـيون والساسة وضيوف الملك من مشاهير العالم .. هناك تذوب الرسميات ايضا حول حمام السباحة وكنت أعرف انه لاوقت لى لحضور هذا الحفل الصباحى .. خرجت بسرعة الى الاذاعة .. كان عبد الوهاب قد خرج من البروفات الى الهيلتون لينام استعدادا للغناء .. كنت الاحظ فى يده رعشة خفيفة .. رعشة الخوف من الغناء .. اننى احترم هذا الخوف الرائع .. دخلت فى الاســـتديو .. كنت أنا وهشام ومهندس الاستديو .. كنت قد قررت للمونتاج ســـاعة واحدة لذلك لم آخذ معى الدواء اللازم . عندما لاحظ د . هشام ان وقت المونتاج قد طال .. زاد عن الـــ ٤ ساعات استأذن د . هشام ليحضر لى الدواء من الفندق .. بعد خمس دقائق . وفجأة سمعت طلقات رصاص بعيدة . نبهنى مهندس الاستديو الى الرصاص ظننت أنها طريقة احتفال الناس هنا باطـــلاق الرصاص جاء الى ذاكرتى ما يحدث فى بيروت عندما ينطلق الرصاص تعبيرا عن الفرحة . ظل صوت الرصاص يقترب . يقترب أصبح الرصاص فى المبنى .

قلت للمهندس لننبطح على الأرض خلف آلات التسجيل . فجأة انطلق الرصاص على باب الاستديو . انفتح الباب ضرب الجندي الرصاص في كل اتجـــاه . طالبنا أن نقف وأن نرفع أيدينا . كنت أنا ومهندس التسجيل نواجه مدفعـــا رشاشا .. صراخ في الخارج ذعر انتشر في المكان .. الدمـــاء غطت بعض الملابس .. طلقات الرصاص هنا وهناك .. شريط سريع من الذكريات .. ليلى قصـــة الحب وهي على سرير الموت .. طفل صغير من الحلوات .. يقع على ساقي باب بيت قديم سريري في القاهرة .. د . هشام الذي خرج منذ دقائق ليحضر لي الدواء .. ما هذا الذي يحدث .. سمعت صـــوتا يقول همسا انقلاب عسكري .. ماذا يريدون بالضبط ؟

صورة الملك الحسن تطل بملابس الجولف .. الاعـــلام في الخارج . السعادة كانت في هذا الصباح في قصر الصخيرات .. العالم يضحك .. لماذا ينزف الان .. شيء غير مفهوم .. الكلمة التي كتبتها بالقلم الرصاص علـــى جدار حجرتي في منزلي بالقاهرة « ان الذي فرض عليك القـــرآن لرادك الى معـــاد » موقفي من الموت محدد جدا .. نأتي دون أن نختار نموت دون أن نعرف .. الجندي الذي امامي سحب طلقة من خزينة مدفعه الرشاش الطلقة الان في ماسورة المدفع .. ضغطة بسيطة على « التبتك » تخـــرج الطلقة .. نزيف من نوع آخر .. ابرة سد النزيف غريبة من الالمنيوم وتدخل من الفـــم الى المرىء واعلاها منظار وينظر فيها د . ماكبث ليحقن الدوالي التي تسبب النزيف .. الملك الحسن هو الذي اختار التحدي مع مرضي .. اين هو الان خوف حقيقي ينشب اظافره في قلبي .. لااحب الخيانة .. امامي كولنيل عبابو قابلني بالاحضان . قال انه يحبني . لاحظت أن كتفه اليمنى مصابة بالرصاص وضع قميصا على الجرح . كان يمسك مدفعه بيده اليسرى . عرفت فيمـــا بعد أنه الرجل الثاني في الانقلاب يطلب مني ان أذيع بيانا اعلن فيـــه للشعب المغربي خبر الانقلاب .. آخر ما كنت أتوقعه في حيـــاتي .. مطلوب مني أن أخون صديقي أو أموت .. الرصاصة في ماسورة المدفع الرشاش .. هنـــاك لحظة بعد الخوف .. يصبح العقل فيها نورانيا .. لم أصدق كلمات عبابو أن الملك قد اغتيل .. هدوء رائع أملكه الان في مواجهة هذا الرجل .. هدوء لم أكن أتوقعه لنفسي .. مطلوب مني ان آتخذ قرارا في ثوان قرارا اما ان أوافـــق على اذاعة بيان الانقلاب او هناك مدفع سريع الطلقات يمكن أن ينطلق في أي لحظة بأي داع .. الغضب .. الذعر .. مر في رأسي لمدة ثانية صورة المعلم صديق وهو يطالبني بأن اغني اغاني عبد الوهاب في بداية حياتي وأنا اقـــول لا .. قلت للكولونيل عبابو .. كلمات محددة . أذكر أن صوتي كان حساسا وهادئا .

— انا مصرى ولا أنتمى للبلد الذى تجرى به هذه الاحـداث ويمكن أن يساء فهم كل شيء عندما يذاع البيان بصوت مصرى .. انا فنان تعود الناس أن يسمعوه وهو يغنى لم يسمعونى ابدا القى بيانا سياسيا .. انا لا اجيد اللهجة المغربية وكنت أكذب فانا أعرفها .. وقلت أيضا .. لا أعرف اللغة الفرنسية .. ثم أنه أنقلاب ضد صديق يعرف العالم كله أننى صديق له وهو صديقى فماذا يقول العالم فى مطرب يلقى بيانا سياسيا عن انقلاب ضد أحد أصدقائه ، سيكون ذلك شيئا مثيرا .. ثم أننى لاأستطيع أن أقـول الا ما أحس به ولا أحب الخيانة .. وفجأة تحول عبابو الى وحش يصرخ وكان قد وصل الى درجة من النزيف بصورة لاحظ معها من معه أنه على وشك النهاية فأخذوه ليبحثوا له عن طبيب .

كنت اعرف أن تقديرى للموقف ينم على الاحساس .. مات بشر بطريق الخطأ أو طريق العمـد .. واتجه الجنود الى ملحن مغربى لايرى قرأوا عليه البيـان اكثر من مرة ليحفظه وليقوله .. وكان العسكرى يغز فى ظهره المدفع كى يحس ان الموت قريب جـدا .

وعندما أخطأ فى نطق احدى الكلمات أطلق بجانبه طلقـة للارهاب .. مضى صوت الملحن الاعمى يلعب دور شريط التسجيل .. اذاع الملحن نبـأ الانقلاب .. سـاعة .. ساعتين . الوقت يمر ببطء او بسرعة .. الطلقة مازالت فى ماسورة المدفع الرشاش .. « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » كتبتا على جـدار البيت . ماذا يفعل عبـد الوهاب فى الفندق ، كان خائفا من الغنـاء .. ماذا يفعل الان ؟ .. لابـد انه يقف الان حائرا فى الفندق .. صوت الرصاص فى الخارج ماذا سيقول الاصدقاء الان .. مجدى العمروسى الذى يبلغ وزنه ١٢٠ كيلو جرام وعلى الانسان أن يضرب هـذا الرقم فى عشرة مليون ، ليكون المجموع هو قدر وفاء مجدى . ماذا سـتفعل عائلتى .. اخوتى .. كمال الطويل .. بليغ .. أنا نفس الانسان .. الا اننى اشعر الان اننى لست وحيدا .. فكرت فى صديقى كمال ادهم .. من المؤكـد اننى سأقابله فور أن اغادر المغرب . كمال مستشار الملك فيصل .. زرت السعودية عام ١٩٥٦ بدعوة من الامير عبد الله الفيصل . خرجت من هـذه الرحلة بصداقة كمال ادهم .. لماذا أفكر فيه الان ؟ .. تعودت خلال الازمات أن التقى به .. مليىء بالذكاء مثقف الروح الثقافة عندما تتغلغل فى الانسـان يصبح كل سلوكه مثقفا . يعرف كيف يختار الكلمة الصادقة والدقيقة ، يعرف كيف يعلم من حوله بهدوء .. صداقتى معه على طول السنوات اصبحت غـير



عادية ٠٠دائما احس بها جديدة ٠٠ من المؤكد أنه قلق على الان ٠٠ كثيرا ما احسست انني مريض ٠٠ واعرف أنه كان مريضا فى نفس الوقت ٠٠ورغم بعد المسافة أحس اذا كان سعيدا ام لا قد يكون ذلك لان ظروف معاركنا فى الحياة متشابهة ٠٠ يملك دائما اصرار الاخلاص لما يعمل ٠

صوت الرصاص فى الخارج .. المعارك هدات للحظات .. واستؤنفت من جديد .. لماذا يقتل الانسان الانسان ؟ .. اعود مرة اخرى لافكر فى صديقى كمال ادهم .. تحليلنا لبعض المواقف يكاد يكون واحدا .. من المؤكد أنه قلق الان .. منذ عام لم التق به . طلبنى فى التليفون منذ شهر .. كمال احد الذين علمونى خبرة الحياة .. هو اول من اهدانى عربة وليس هذا مقياس الصداقة أننى اعتز بهذه الذكرى .. فى هذه العربة ركبت حبيبتى « ليلى » جرينا معـا بعيدا عن العيون .. هو اول من تمرد على فوضويتى فى اسـتعمال الملابس ٠٠ لقد كنت فوضويا جدا ٠٠ لكنى اذكر كلماته « اللبس مش ذوق بس ٠٠ ده تعبير عن شخصية الانسان ٠٠ الانسان يكون انيق لما يستعمل هدومه ٠٠ مش لما هدومه تستعمله ٠

انظر الان الى نفسى .. كان العرق قد اغرق جسـمى كله ،. تجمد العرق على جسمى لم آخذ الدواء .. تقدمت ناحية احد الضـباط طلبت ان اتصل بالفندق من المؤكد ان د . هشام عيسى يغلى .. اذكر ان نزيفا داهمنى فى العجمى . اذكر اننى كنت لائق فى مستشفيات الاسكندرية بعـد اصابتى بالصفراء .. تطوع احد اقارب هشام تتشابه فصيلتى مع فصيلته ونقل لى الدم .. من المؤكد ان الموجى سيفقد صوابه لانى لم اتصل بهم احسست ان هناك تليفون سيدق من اى مكان فى العالم وسيكون الصوت هو صوت كمال ادهم .. قلت لاحد الضباط اريد تليفون لانى مريض ويجب أن اتناول الدواء.

●

كانت الساعة قد بلغت التاسعة مساء .. اخيرا استطعت ان اقنع احد الضباط بان اتحدث فى التليفون ٠ تحدثت الى الفندق ٠٠ قلت لهم اننى بصحة لابأس بها لكنى لااجد مياها أشربها منذ الحادية عشرة صباحا حتى الان لااجد نقطة مياه .. اغلقت التليفون قلت بصوت هامس لاحد المهندسين . هـل تعرف كيف تقوم بأى عمل لتعطل الارسال من هنـا . همس المهندس « سأحاول » . قلت لمهندس التسجيل مارأيك فى ان نخـرج . فى السـاعة الحادية عشرة والنصف تم احتلال المبنى من جنود الملك ٠ لكن جنود الانقلاب كانوا حول المبنى الف جندى وخمسـمائة .. قررت ان ازحف أنا والمهندس

لنخرج . بدأنا الزحف قطعت مسافة اربعة امتار فى ساعة ونصف . كان الرصاص حولنا . الذى خدمنا تماما هى الملابس السوداء . دخلت احد المنازل . احتمينا فى جدار السلم المسنود الى جدار آخر . حاولنا ان ندق باب احدى الشقق . لم يفتح لنا احد . مر الليل كله وانا محبوس فى هذا المنزل .

فى الصباح تسللت الى الخارج . وجدت عربة اسعاف امام المنزل تجمع القتلى والجرحى قلت للسائق : انا عبد الحليم حافظ واخوتى فى الهيلتون وهم لايعرفون عنى اى شىء منذ امس .

قال : سأذهب بك فورا .

لكنى سمعت أنات الجرحى فى عربة الاسعاف . اصررت ان نتجه الى المستشفى أولا .. وذهبنا بالفعل الى المستشفى .. ثم رجعنا الى الهيلتون. فرحوا بنجاتى . عرفت ان الملك الحسن خطب فى التليفزيون وان الانقلاب سقط . وفوجئت ان المنزل الذى اختبأت فيه كان يقف فيه خمسون من جنود الانقلاب .

أعطانى د . هشام ابرتين منومتين لانام واقضى على الارهاق .

انتهى الانقلاب .. لخص لى هشام الموقف .. عرفوا نبأ الانقلاب من مجىء جراح مخ عالمى وهو من اقرب المقربين الى الملك عرفنا بعد ذلك بأيام أن مدبوح كان قد اتفق مع عبابو على الانقلاب السلمى .. لكن عبابو حوله الى الدم .. قتلوا حارس خزينة الملك .. قتلوا طبيب الملك د . بن عيش .. دخلوا من ملعب الجولف .. الغريب انهم لم يقتلوا اقوى رجل فى المغرب فى ذلك الوقت أوفقير الذى ثبت بعد ذلك أنه كان وراء هذه العمليات كلها — تعرف الجنود على الملك .. هتفوا باسمه .. انقذوه قالوا انهم جاءوا لحمايته .. خدعهم قوادهم قالوا لهم انهم مطلوبون لانقاذ الملك . وكان الامر فى حقيقته انقلابا ضد الملك .. مرت أيام فى المغرب .. قابلنا الملك بعدها لنهنئه بسلامة النجاة .. استقبلنا فى القصر كان مبتسما .. كان الصوت الذى سمعته بعد انتظام الحياة فى المغرب .. هو صوت كمال ادهم .. يطمئن على .. لاحدود لصداقتنا « ازاى صحتك » على لسانه أغرق فى بحر من الود .

●

جاء النزيف فى المغرب .. حدثت الغيبوبة ثلاثة ايام لاأتعرف فيها على احد .. كان هشام يصرخ .. انه على حد كلماته يعتمد على عاملين هامين فى الانتصار على كل نزيف .. ارادتى فى الشفاء وتفاؤلى نقلونى الى

مستشفى ابن سينا .. نقلونى من هناك الى لندن .. من لنــــدن الى باريس سلسلة العمليات المعروفة .. أحسست اننى امشى بعمرى على خيط رفيــع بين الحياة .. والموت الكل يعرف انى متمسك بالحياة من اجل هدفى ، الاغنية، الاغنية هى حبى الذى انقله الى الناس .. لم أعد فى هذه الايام الثـلاثة فى موقع قيادة شعورى .. تم نقل ١٨ زجاجة دم .. تسعة لترات .. معنى ذلك أن دمى تغــير مرتين .

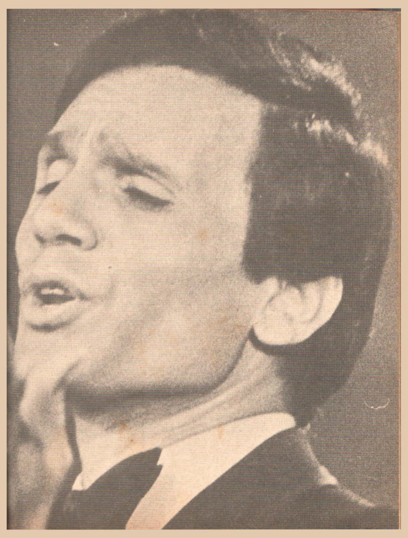
سألت من معى بعد الثلاثة ايام عن الكلام الذى قلته ولــم اتذكره .. قالوا لى :

ــ لقد كنت تعاتبهـــا .

من .. ؟

هــذه حكايــة اخــرى .





صداقتى
مع ٢٣ يوليو..

حـدث لى النزيف وأنا أغنى
فى ٢٣ يوليو ..
وفوجئت وأنا عـلى فراش
المرض بأن عبد الناصر أمامى
.. ليأمر بعلاجى فى الخارج.





كان الخريف يتسلل ببرودته الناعمة الى كل شىء ·
كان الزهق يملأ القاهرة ·
هناك اصابع مجهولة تخنق حب الحياة فى قلب الانسان العادى ·· وكان اليأس يعيش فى كل مكان ·· تنبت من اليأس ازهار يظنها الانسان جميلة ولها رائحة ·· لكن ما ان يقربها من أنفه حتى يفاجأ بنفسه وهو فى شبه اغماء · كان اليأس مخدرا كاملا تسلل حتى الى الزهور ·· وكانت شوارع القاهرة تكاد تلعن نفسها · وفجأة احرقت القاهرة نفسها · كان ذلك فى يناير ١٩٥٢ · وكنا شلة اصدقاء لا نفترق ليلا أو نهارا · نبحث فى هذا الخريف الذى يلف كل شىء ، نبحث فيه عن امل او شمس او دفء وكنا كلنا نشعر ان الامل قادم · وان الدفء على الابواب وان الشمس ستشق بطن الليل · شلة تسمى نفسها الصعاليك ·· يتزعمها كمال الطويل وتضم قائمة طويلة من الاصدقاء · كنا نعرف صديقا اسمه مصطفى هاشم الشريف شاب ثرى لكنه مثلنا يعيش رافضا لكل شىء · وكان يسكن فى فيللا اعلى عمارة « السعوديين » · كنا نرى القاهرة من هذه الفيللا ·· وكنا ككل سكان مصر نشعر ان

الهواء مســــموم • ولا احد يستطيع ان يتنفس • ولا احد يستطيع ان يمتنع ايضا عن التنفس • وكان معنا فى الشلة صديق •• محيى سالم • ضابط بوليس • فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ كنا على سطح الفيللا •• دق التليفون كان صوت محيى سالم على الخط يقول القاهرة تحترق • لا تخرجوا •

وكان معنى ذلك ان نظل كلنا معلقين بين السماء والارض . ان نجلس فى هذه الفيللا دون ان نخرج • والسنة النار تحلق فى الســـماء والضحى اصبح لون الغروب وانقلب الظهر الى جو من الغيوم • وكنا مثل كل الناس نشعر ان هناك شيئا يجب أن يحدث وكانت أيام عــرابى ماثلة فى الاذهان •• من يستطيع ان يتقدم ليقول للملك « لا » •

وعرفنا محيى سالم ضابط البوليس بشقيقه الصاغ صلاح سالم وكان صوت صلاح سالم يختلف عن صوتنا جميعا • انه صوت لا يعيش فى اليأس ولا يرى الخريف المنتشر ولا يملك ما نملك من الزهق • وكان صوته ينبىء دائما بانه واحد من هؤلاء الذين يصنعون الامل •

كيف ؟

متى ؟

لا احد يعرف •

كان صلاح سالم يحدثنا عن التاريخ • نسمع منه احوال مصر فى عهود مختلفة • كان صلاح سالم يتكلم عن الاستعمار كانه ورقة ســيطويها كتاب التاريخ كان صلاح سالم كنزا من الثقافة والمعرفة كان تفاؤله مليئا باصرار لا نعرف له سببا • كان واثقا كل الثقة مما يقول •

ويضحك عندما يسمع السؤال •

— متى يحدث ذلك ؟

كان يطلب لحظتها ان نسمع موسيقى كلاسيك ، وكانت دقات البيانو فى كونشرتو البيانو لتشايكوفسكى تطربه جدا • انها دقات غريبة بالفعل توحى بأن الامل قادم .

وفى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تحركت زهور كاكية تحمل لمصر الامل ، كان صوت النور يصل الينا من الاذاعة • الحرية جاءت • صـــوت انور السادات يحمل طيبة شعب وقدرة شعب على العنف . قال انور الســادات للجماهير كلمة جيش قال « لا نقبل القهر » ســطعت الشمس مرة اخرى • ولد الامل • انتهى الزهق ضــاعت من مصر كل ملامح الخريف » ، وظهر

لشلتنا أن صلاح سالم أحد الذين قاموا فى هذا الصباح المصرى الوجه ليقولوا للزيف « لا » واكتشفنا انه من الضباط الاحرار وعضو فى مجلس قيادة الثورة واصبح وزيرا للارشاد وكان كل شىء فى مصر يغلى بالرغبة فى التغيير وكان الفن يبحث له عن دور وهذا الدور يحتاج الى ترجمه فورية وكان لابد ان ياخذ الفن طريقه للتعبير عن هذا المولود الطازج للحرية .

وكنت اشق طريقى كمطرب جديد . أدقق فى كل ما اختاره من اغانى . كنت قد اعتمدت كمطرب فى الاذاعة وكنت أملك العناد لاتول لا وكنت لا اهتم بالنقود . لانى لم اكن اتخيل انى اغنى لاجمع ثروة . كنت اغنى لاعبر عن نفسى . وكان لابد ان اغنى للشمس الجديدة المصرية . كنت أحس اننى على ميعاد معها وان صوتى هو ابنها . وهذا ما اكده لى جمال عبد الناصر فى اول لقاء لنا .

●

صوت التليفون يدق فى بيت المنيل الذى كنت اسكنه . كان الصوت يطلبنى .

وعرفت من الحوار ان لى ميعادا مع ضباط الثورة وكان اللقاء فى نوفمبر ١٩٥٢ ذهبت الى الميعاد فى مبنى مجلس قيادة الثورة . استقبلنى د . حاتم . كان ضابطا مشتعلا بالنشاط ككل من معه فى مبنى قيادة الثورة .. واستقبلنى صلاح سالم بالاحضان وقدمنى الى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وانور السادات وبقية اعضاء مجلس قيادة الثورة . عرفت لحظتها ان اللواء محمد نجيب الذى كان يراس مجلس الثورة ليس هو مفجر الثورة وان جمال عبد الناصر هو الذى اختاره الضباط الأحرار قائدا هو وجههم الحقيقى .. لاحظت أن صلاح سالم يقدم لى جمال عبد الناصر ان عقل جمال عبد الناصر هو الميزان الذى عقله يوازن بين الاراء المختلفة ليحسب ايجابيات كل رأى ليخرج الرأى على اسانه اخيرا ويوافق عليه الجميع وأحسست أننى أملك ثلاث صداقات جديدة . صلاح سالم . أنور السادات . عبد الحكيم عامر . واحسست ان يد عبد الناصر وهى تصافحنى باننى امام شخصية جذابة جدا فيها سحر الاشعاع . انه يحيطك بعينيه فلا تستطيع ان تنظر الى عيونه وانه ككل الضباط الاحرار بسيط وهو خفيف الدم .. يعرف جيدا ما يقول . يعرف جيدا ما يفعل . كان اللقاء لمدة نصف ساعة . يتكلم كلمات محددة .. لهجته ليس فيها اوامر . لكن تشعر فورا انها اوامر . قال لى عن نفسى :

ـ انت ابن لهذه الفترة · فنان شاب ومخلص · انا اعرف ما حدث لك من بداية طريقك الفنى وانت فى الاسكندرية · ان الناس لا ترفضك وانت لست فاشلا ولكنك اسلوب جديد الاداء ·

وانتهت خمس دقائق من اللقاء ليبدا الكلام عن دور الفن ، تحدث عبد الناصر عن دور الفن فى بناء المجتمع وفى التعبير عن الثورة · واحسست من الحوار ان كلماته مفهومة ومقنعة لدرجة تجعل الانسان يتحمس لها للغاية وتصبح كلماته اقتناعا ·

●

وبدات اغنى للثورة . كانت اهداف الثورة تشد اعماق كل مصرى الى الامل ·· وكانت معارك ١٩٥٦ · واصبح عبد الناصر رمزا للثورة · وكانت المسافه بين انتخابه رئيسا للجمهورية وبين تاميمه للقناة هى اسابيع ·

وكان مرضى قد اتضح · وكان لابد ان اسافر الى انجلترا لاجراء جراحة استئصال جزء من المعدة والامعاء · وكانت شوارع لندن تخاف كلمة مصر ناصر · حكومة ايدن جعلت الشعب الانجليزى يتوهم ان تاميم القناة معناه قطع شريان القلب البريطانى ·

وبعد اجراء العملية الجراحية قلت « لازم ارفه عن نفسى » سافرت من لندن الى سان مورتز فى سويسرا · وكان معى اولاد المهندس سيد كريم احد الذين وقفوا بجوارى اثناء اجراء العملية فى عام ٥٦ ، وكانت سان مورتز تبدو كفتاة مستقيمة · يقطعون النور من الثامنة ويوقظوننا فى السادسة · والعمل مستمر طوال الوقت · وحاولت ان اطلب تاشيرة دخول الى لندن مرة اخرى · ذهبت الى السفارة البريطانية ·· وعلى غير العادة كانت الموظفة غير حسناء ·· قالت :

ـ اسمك ··

ـ عبد الحليم شبانه ·

قالت :

ـ انت عندك اسم ثانى ·· هو عبد الحليم حافظ ·

ـ نعم ··

ـ أنت تغنى لعبد الناصر وللثورة ·

ـ نعم ··

ـ يؤسفنى ان اقول انك لن تدخل انجلترا .

وفى مساء ذلك اليوم اذاعت هيئة الاذاعة البريطانية خبر موتى ·

وفوجئت بأن أهلي يطلبونني للاطمئنان علي · وسأل عني عبد الناصر وانور السادات وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم · واحسست ان الكل يملك الوفاء ·· احسست انني ارتبط بالحب بهؤلاء الناس · احسست ان قلوبهم معي ·

وكان الدكتور الذى يشرف على علاجى وقتها هو الدكتور زكى سويدان · وعرف انهم لا يسمحون لى بدخول لندن ·

وعلم د · تانر الطبيب الانجليزى المعالج لى بمسألة منعهم لى من دخول لندن ·

ثار واحتج واتصلت بى الموظفة غير الحسناء وقالت :

ـ تستطيع ان تحصل على تاشيرة دخول لندن مرة اخرى ·

اذكر انى دخلت لندن للعلاج · كنت اعرف ان الطبيب له ضميره العلمى · ولم اخف · وبعد العلاج والنقاهة خرجت الى الشارع · ورايت ملاءة اعجبتنى جدا · سألت عن ثمنها · كان الثمن مرتفعا للغاية · سألت البائعة عن سر غلاء الملاءة ·· قالت :

ـ انها من قطن مصرى ·

فرحت بقطن بلدى ··

واثناء عودتى الى مصر ·· كان قد تأكد للحكومة الانجليزية ان تأميم القناة هو اخر صفعة على وجه الاستعمار · وان عصر الاستعمار قد انتهى بالفعل · ورغم انى كنت اسمع اخبارا غير حقيقية عن مصر الا اننى كنت املك الاحساس الوحيد ان مصر تضربهم · مصر شابة من جديد ··

كلمات صلاح سالم تعود الى ذاكرتى · وكان قادة ثورة مصر هم أول من تحدثوا عن الاستعمار كأنه ورقة تاريخ امتلأت باستغلال الانسان للانسان · ويجب ان نقلب الصفحة نهائيا · لنبدأ صفحة جديدة ·

وقامت فى الدول العربية حملة لتسليح مصر بدأت انا بحملة فى الكويت كان عبد الله المبارك وزير الداخلية والدفاع فى الكويت فى ذلك الوقت قد قدم بمفرده شيكا بربع مليون دينار · وكان شعب الكويت يندفع بكل ما يملك ليشاركنا المعركة · اذكر انى جمعت فى تلك الفترة ٢٫٥ مليون دينار كويتى ولم تكن النقود الا تعبيرا عن مشاعر الناس · وسجلت لصوت العرب يوميات المعركة من هناك ·· والذى كان يثير فخرى هو مقاطعة الشعب الكويتى لكل البضائع الانجليزية والفرنسية ·





يتخيل البعض اننى كنت صديقا شخصيا لعبد الناصر • واننى كنت اراه كثيرا • وكنت اتمنى ككل عربى ان يكون ذلك حقيقة • لكن الحقيقة ان جمال عبد الناصر كان مشغولا ورفاقه فى معارك مصر • فلم اكن اراه او اراهم الا فى المناسبات •

كانت معاركنا دائمـا كبيرة • ومعاركنا الان اكبر • لكن كنت احس دائما انه قريب منى يتتبع اخبارى • يعرف ما يدور حـــولى • اذنه عـلى نبض ، وكلماتى كما هى على نبض وكلمات كل مصرى • وكنت اعرف منذ لقائى الاول به انه قوى وانه سياسى شهد العالم كله بكفاءته •

وكانت المناسبات دائما هى عيد الثورة •

قلنا حا نبنى وادى احنا بنينا السد العالى ، يا استعمار بانيناه بايدينا السد العالى •

وكان من عادة عبد الناصر ان يدعونا الى مائدة العشاء فى كل عيد للثورة • جلس عبد الناصر وكان يسال كلا منا عن احواله واخباره •

وكنت افرح بلقاء الاصدقاء • انهم اصدقاء مستقبل مصر وقادته • كنت اغنى بحماس الامل •

وفى عام ١٩٦٢ كنت اغنى كعادتى فى عيد الثورة •• وجاء العشاء • جلســت بجانب أم كلثوم وعبد الوهاب والمغفور له عبد الحكيم عامر •• وكنت بجانبه • وقمت من مكانى وقلت لعبد الناصر :

ــ غير معقول نبقى عايشين فى عصر فيه معجزتان فنيتان ام كلثوم وعبد الوهاب انا باتصور ان سيادتك تصدر قرارا جمهوريا علشـــــــان عبد الوهاب يلحن لام كلثوم ، والاثنـــــان عمالقة ولابـــد يعملوا عمـــــل مشترك ••

ضحك عبد الناصر قائلا :

ــ لو كان الفن بيتعمل بالاوامر كنت اصــــدرت أمرا بالحكاية دى من زمان •

قال عبد الوهاب :

ــ اعتبر الامر صدر يا افندم •

قالت ام كلثوم :

ــ قـــوى ــ قـــوى ••

قلت :

ــ خلاص اهو الكل شاهدين عليكم •

وبدأت بروفات « انت عمرى » ·· اول اغنية لام كلثوم وعبد الوهاب ·
وقبل ذلك بشـــهور ·· كان بينى وبين عبد الناصر لقاء لم يعلن عنه · طلبت مقابلة عبد الناصر من المشير عبد الحكيم عامر والاستاذ محمد حسنين هيكل وتحدد اللقاء فى صباح احد ايام الاربعاء ·· الساعة العاشرة صباحا ·· كان سبب المقابلة هو ضرائب الفنانين · كان عبد الناصر بسيطا فى اللقاء ·· وكان معى الاستاذ عبد الوهاب · وكانت أول مرة ارى عبد الناصر عن قرب منذ اللقاء الاول فى مجلس قيادة الثورة ·· هذا غير لقاءات المناسبات · كان كل شىء تحدد حوله : اصبح زعيما له مكانته الشـــعبية ليس فى مصر وحدها ولكن فى الامة العربية كلها · كانت عيون عبد الناصر ولهجته وطريقة استقباله تؤكد انه انسان مفتوح الذراعين يستقبل الانسان ويسمعه ·
قلت له :
ـ ان مصلحة الضرائب تعامل الفنان كما تعامل التاجر المستغل · تأخذ منه ضرائب باهظة · رغم ان الفنان لا يستغل احدا · انه يعطى من نفسه · والفنان فى مصر لا يولد وفى فمه ملعقة ذهبية · كلنا أولاد اسر متوســـطة او فقيرة · والفنان له مسئوليات نحو اسرته وعائلته واقاربه ·· والفنان عمره الفنى مهما طال قصير ولا يمكن ان يحدث ان تسمح الثورة ان يموت الفنان من الجوع · والفنان عندما ينتج فيلما ·· فهو لا يستغل الناس · ان الســـينما من الكماليات · لا احد يدخل السينما الا ليرفه عن نفســـه · الفنان لا يمسك مدفعا رشاشا ليجبر الناس على شراء تذاكر الســـينما او اسطوانة ·· اذا لماذا الضرائب الباهظة ؟ · ان نقود الفنان ودخله ليست له · انها لاهله ومظهره ·

قال عبد الناصر :
ـ والله كلنا كده ·· ده انا المرتب بتاعى بأوزع جزءا منه على اهلى ·· طيب حاكتب مذكرة وحا اعرضها على مجلس الوزراء وانا مقتنع بكلامك ·
وودعنا حتى الباب وكان الاستاذ عبد الوهاب قد جلس صامتا طوال مدة اللقاء قال عبد الناصر بخفة دمه الطيبة :
ـ انت اتكلمت كتير قوى يا استاذ عبد الوهاب · انت تعبت نفســـك قـــوى ·
وضحكنا معا ·
كان وجهه مقتنعا بما قلت ·· واصدر اوامره باعفاء الفنان من ٢٥ ٪ من دخله من الضرائب ·

ومازلت اذكر ايضا .. اللقاء الذى تم بينى وبين عبد الناصر يوم غنيت اغنية المسئولية .. أثناء العشاء قال لى عبد الناصر .

ــ انت تعبان ولازم تستريح .

وكنت عائدا من الجزائر .. كنت اغنى فى احتفالاتهــــا بأول عيد للاستقلال .

قال عبد الحكيم عامر لعبد الناصر :

ــ حقيقى مفيش فى الجزائر حب قد حب الناس لك ولعبد الحليم .

وخجلت . كنت قد دخلت فى الاســــتاد الرياضى بالجزائر وكان عبد الحكيم عامر جالســـا بجانب قادة ثورة الجزائر .. وهتف الناس لى وايقظونى مرة فى منتصف الليل لاغنى فى احد الاحتفالات الشـــعبية ورغم عدم وجود فرقة موسيقية .. غنيت بالعود فقط وعلى تصفيق الجمهور وغنائه معى .

قال عبد الناصر :

ــ انت لازم تستريح بقى وتحافظ على صحتك . و

وغنيت ليلتها « المسئولية » وحدث النزيف اثناء الغناء .. وحملونى الى المنزل .. بعد أن أنتهيت من الدم فوجئت بأن عبد الناصر يزورنى . جلس معى عشر دقائق ليطمئن على صحتى وقال :

ــ انشاء الله اول ما تلم نفسك وتتحسن صحتك شوية تسافر اى حته فى العالم تشوف علاج للمرض ده .

اما كيف دخل العمارة دون ان يصحبه احد . فهذا ما لا اعرفه . لقــد نزل من عربته ببساطة وصعد .. ونزل ايضا . دون ان يشعر احد .

●

وكان عبد الناصر قد كشف فى احد اعياد الثورة عن صفقة اسلحة بين المانيا الغربية واسرائيل وقال يومها للناس . اذا كانوا عايزين معارك .. فيا اهلا بالمعارك .. رغم ان المعارك صعبة وشاقة ومريرة .

وكتب صلاح جاهين اغنية يا اهلا بالمعارك . ولحنها كمال الطويل .. وكان المفروض ان نقدمهـــا فى عيد الثورة .. لكن ام كلثوم اصرت فى ذلك العام ان تغنى وحدها .. ونظر عبد الناصر الى عبد الحكيم عامر فى وسط الاحتفال وقال :

ــ امال فين عبد الحليم ؟

قال عبد الحكيم عامر :

ـ ده تعبان وراقد فى البيت ·

فنادى جمال عبد الناصر على الوزير محمد احمد وقال له :

ـ يا محمد هات لى عبد الحليم بسرعة ·

وجاء محمد احمد الى منزلى ونزلت الى الحفل ·· جلست فى الصف الثالث بجانب حسن عباس زكى ومحمود رياض الذى كان وزيرا للخارجية · اثناء الاستراحة ·· ادار عبد الناصر عيونه بين الصفوف ·· ورآنى واخترق الصفوف الى حيث كنت اجلس تقدمت لاسلم · كانت كلماته تسبق سلامه ·

ـ ازيك · كويس · يوم ٢٦ يوليو انا حاسمعك فى الاسكندرية · كلمات الاغنية رائعة ·· واللحن قطعا حا يكون كويس ·· كل سنة وانت طيب ما تضايقش ·

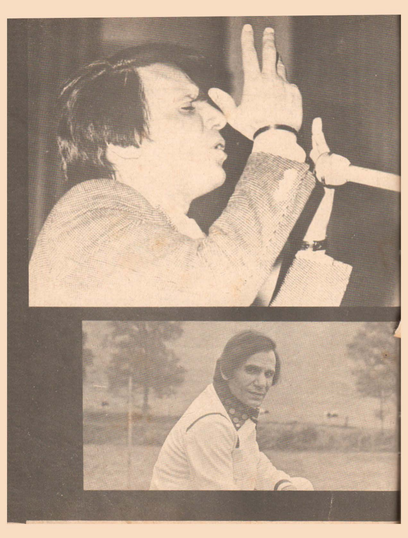
واقيم لاول مرة حفل بالاسكندرية يوم ٢٦ يوليو وغنيت يا اهلا بالمعارك ·· وحضر عبد الناصر وصلتى الغنائية وبعد ان انتهيت من الغناء خرج من الحفل وترك ابناءه يستكملون الليلة فى بقية وصلات الحفل ·

●

وجاء اليوم الاسود · يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ · كنت اغنى للامل فى النصر ·· اضرب ·· لجل الولاد ·

« يا بركان الغضب فور على الجبال ·
« انذار ·· انذار ··
« باحلف بسماها وبترابها ·

وكانت الكلمات تحمل امل كل انسان مصرى فى النصر · وكان يزعجنى اننى وانا اسجل هذه الكلمات فى الاذاعة · وكنت اقرأ اخبارا متناقضة على شريط التيكرز · كانت الآلاف تموت فى الصحراء · كانت الهزيمة قاسية · كان يوم ٩ يونيو خرج الناس ليعلن كل واحد منهم انه مسئول عن جزء مما حدث واعلن عبد الناصر انه يتحمل مسئولية كل ما حدث ·· مات الامل وبقى الاصرار فى ان نعيد البناء · غنيت « موال للنهار » ·· وبلدنا على الترعة بتغسل شعرها ·· جانا نهار ماقدرش يدفع مهرها ، يا هل ترى الليل الحزين ، ابو الغناوى المجروحين ، يقدر ينسيها الحنين · أبدا بلدنا للنهار بتحب موال النهار ·· لما يعدى فى الدروب ويغنى قدام كل دار ·



فى الخارج سافرت رأيت كيف ان احد الصـــحفيين تتبع من الطائرة بعض العائدين من سيناء وهم يموتون عطشا ٠

من المسئول عن ذلك ٠ اختلط المشهد فى رأسى بالامل ٠
« من كلمة حلوة للقمة حلوة ٠
وبيت وكسوة وناس عايشين ٠
صناعة كبرى ٠٠ ملاعب خضرا ٠
دى مش امانى وكلام اغانى ٠
ده بر تانى قصدنا قريب ٠

لا ينكر احد اننا كنا نخون انفســنا قبل ســنوات النكسة ٠ لم نكن نسعى جادين لتحقيق الامل ٠ ولست مفكرا سياسيا لكنى انسان املك الرؤية العادية لمواطن يعيش فى تلك الفترة الزاعقة بالالم ٠ كان الالم يمـــزق كل مصرى ٠ سيناء عارنا جميعا ٠ كنت اقرأ اخبار عبد الناصر فى الصحف ٠٠ وكنت اعرف من اطبائه ان كل المحاولات العلمية تبـذل لتخفيض نســبة السكر من دمه بلا فائدة ٠

مات عبد الحكيم عامر : كانت الهزيمة قاســية ، غرقنا جميعا من دم القتلى والموتى ٠ ان عبد الناصر لم يذق طعم الطعام خمسة ايام ٠

●

٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ الخريف تسلل ببرودته التقليدية الناعمة الى كل شىء ٠٠ الزهق كان قد وصل الى الروح من اقتتال الاردن والفدائيين ٠٠ اصابع مجهولة تخنق حب الحياة فى كل قلب ٠

كنت فى العجمى وكان من عادتى ان اقوم متأخرا من النوم ٠

بعد ساعات كان القرآن يملأ الراديو والتليفزيون ٠ كنت اسير بالعربة فى طريق العجمى ٠ جاءنى هاجس بأن عبد الناصر مات ٠

قال المذيع : السيد انور السادات يعلن بيانا هاما ٠٠ وبصوت الحزن اعلن انور السادات : حكمة الله الخالدة ٠ مات عبد الناصر كأى انســـان بموت ٠ نفس مطمئنة عادت الى ربهـــا ٠ كنت أكاد اصرخ مصر ٠٠ مر فى رأسى شريط طـــويل ، اللقاء الاول فى مجلس الثورة ٠ لقاء عبد الناصر مـــع الملك فيصل ايام كان الملك اميرا وقدم الامير فيصل لمصر كل ما يملك اظنها عشرة ملايين جنيه استرلينى ٠ الكل اراد لمصر ان تكون دائما قائدة وفى المقدمة ٠٠ عبد الناصر الانســان ٠ كان حلما بالفرحة ٠ فى حفل زفاف ابنته يطلبنى

عبد الناصر لاجلس خلفه . كان يعرف ان الناس التى ستحضر تتملكهم رهبة حضور حفل شبه رسمى . والمناسبة فرح .

وكان يعرف اننى اعيش فى كل وقت على طبيعتى ارفض جمهـــور الحفلات واقوم بتكسير ثلوج الرهبة . وســـمعته يدندن مع ام كلثوم وكان صوته الهامس صافيا رقراقا . نفس الصوت الهادر .

مات عبد الناصر . وصلت الى منزلى ووصل النزيف . ونقلونى الى المستشفى وحدث نقل الدم الخطأ وكانت الاصابة بالصفراء .

●

تولى مصر رفيق طريق عبد الناصر ، انور الســـادات . من حمـــل لشـــعب مصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صوت الامل ، لتسطع شمس الثورة ، كان صوته يحمل طيبة شعب وقدرة شعب على العنف . كشف انور السادات للجماهير عن اسلوبه الحنون والحازم فى ادارة شئون مصر . لقد كان دائما فى موقع الســـلطة قريبا من الجماهير . فى مجلس الامة مع هموم الامة . وفى موقع القيادة حيث تدور معارك مصر .. يواجه تركة هائلة ويتعاون مع الجميع ليزيل اثار الالم الطويل الممتد من ٥ يونيو ١٩٦٧ حتى الان .

●

الثورة فى حياة كل مصرى ليست فردا . دائما فوق الافراد . وشعب مصر كرم الابطال .. مصطفى كامل . عرابى . وكرم عبد الناصر .

فى رحاب الله ذهب عبد الناصر .

وليفرش النور طريق انور السادات .





هذه رحلتى
مع
بليغ حمدى

بليغ حمدى يعيش قصة حب
فى أكثر من اتجاه .. يحب
الموسيقى ويفضل عليها
وردة الجزائرية .
ويحب وردة الجزائرية
ويفضل عليها السهر ..
الموسيقى تتخانق معه ..
ووردة أيضا ..





هناك لحظة فى الحياة ينطلق الاحساس كضوء كشاف باهر من بين الضجيج صوتا أو لحنا أو انسانا .

وأنا أرى الضجيج كالظلام وأخاف أحيانا من هذا الضجيج لانه يزيد من التشتت . وفى عام ١٩٥٥ كان معهد الموسيقى هو المكان الممتلىء بالضجيج نهرب منه ونعود اليه . والشلة كمال الطويل والموجى وانا نجلس معا .. يرى كل منا الاخر فى مرآته . الموجى يعرض لحنه على كمال .. فيسمعه بشغف .. يقول « الله » .. أو يقول « دى لا » وكمال يعرض الحانه على الموجى فيسمعه بمنتهى الحب .. يقول (الله) أو يقول « دى لا » وكانت جلستنا فى هذا المساء فى معهد الموسيقى محاطة بالضجيج .. وفى لحظة .. تقدم منى شاب سمين عيونه تبرق بشدة . يختلط فى صوته الاسى والفرح والطيبة والدهشة انطلق الاحساس داخلى كضوء كشاف باهر ، لحظة سمعت صاحب الصوت يقول :

— أنا بليغ حمدى .. باغنى فى ركن الهواة لكن أنا عندى أغانى كويسة وبالحن كمان ..

كانت كلماته ساذجة .. محددة .. لا تعرف خبث المناورة أو دهاء

الحسابات . وكنت أستعد للسفر .. فقلت له :

— أنا مسافر لندن . وأول ما ارجع نقعد سوا .

أحسست ان ردى لم يريحه .. ان الانسان عندما يرى انسانا آخر ويريد ان يعرض عليه مشروعا فان العقل يرتب كل شىء والقلب يصبح ساحة من الاحلام وأى تأجيل لهذا اللقاء يعنى ان تقع الاحلام فوق بعضها ويصاب الانسان بغصة حزن غامضة .. انا اعرف ذلك جيدا لذلك لا احب ان اترك هذه الغصة فى قلب أحد .. قلت لبليغ :

— انت من عيلة حمدى .

وفى حوار هادىء عرفت ان هناك صلة قرابة تربطنى بـه .. وكان وداعنا فى هذا اللقاء هادئا ليس فيه اى ازمة نفسية لانسان يحلم ويفشل انما فيه امل لانسان يحلم حلما وسيجد للحلم طريقا .

سافرت .. وعاد بليغ حمدى الى عالمه .. وكان عالم بليغ حمـدى يتأجج بين كلية الحقوق فى سنة ثالثة وبين معهد الموسيقى .. ومن المؤكد أن أسرته كانت تضع يدها على قلبها فهو ابن رجل عالم واسرة مترابطة .. فيها ليلة كل اسبوع للفن . وفيها بيانو يجيد العزف عليه أكثر من فـرد فى الاسرة . ومن المؤكد ان الاسرة لعنت البيانو والعود وكافة الالات الموسيقية لانها شغلت الابن عن السير فى الطريق الطبيعى للحياة أن يتخرج من الجامعة بدلا من أن يضيع وقته مع فرقة ساعة لقلبك : كانوا زملاؤه فى الكلية لكنهم مشهورون وهو حائر .. هل هو مطرب .. هل هو ملحن .. ومحمد فوزى كان مؤسسا لشركة اسطوانات مصرفون .. وبليغ معه ليل نهار ويحاول ان يجد طريقا ويمشى فى كل الاتجاهات ويعيش كل القلق ويدرس جيدا الحان الشيخ سيد درويش ويتعلم كتابة النوتة الموسيقية ويجيد العزف على البيانو ويقول لنفسه آخر كل نهار « سبع صنايع وبخت ضايع » لكن البخت لـم يضع . البخت كان على الابواب وفى كل الاتجاهات فمنذ أن انســحب كمال الطويل من عالم التلحين بدأت الحان بليغ تحتل كل الاصوات بداية من أم كلثوم حتى عفاف راضى .

ولماذا اسرح بعيدا .. اننى احكى عن علاقتى ببليغ حمدى .. واحيانا والانسان يحكى عن انسان آخر تتسرب اليه طريقة تفكير من يحكى عنه .. وطريقة تفكير بليغ او اسلوب حياته . يتركز فى أن يعيش كل شىء فى نفس اللحظة . النجاح والفشل والسعادة والشقاء . انه ينتشر فى كل الحيـاة

ويريدها ان تاتيه فى لحظة واحدة . ولما كان مايطلبه بليغ هو المستحيل . لذلك نجده فوضويا . يقلب النهار على الليل ويخلط الظهر بالصباح بالعصر بالمغرب الاوقات عنده خاضعة لمزاجه ومزاجه حائر لا يستقر ، وهكذا ننتقل الى حالة بليغ حمدى وانا اكتب عنه . ولكن لاحاول الان ان اضع علاقتى ببليغ تحت الميكروسكوب .

سافرت الى لندن لاجراء العملية الجراحية الخطيرة التى استأصلت فيها جزءا من معدتى وعدت الى القاهرة لاجد رمسيس نجيب منتج فيلم الوسادة الخالية يقول لى بطريقته الدعائية المقنعة كانه عثر على اكتشاف خطير .. قال :

— فيه شاب اسمه بليغ حمدى عامل لحن لاسماعيل الحبروك .. انما هايل .

للحظة فكرت فى اسماعيل الحبروك .. هذا الصديق الطيب النقى .. الحساس .. الذى تتمتع الكلمة فى أذنه بايقاع غريب .. بسيط ونادر .. وله أحساس حاضر الصدق دائما . لايخفى صدقه أبدا .. ان صدقه فاضح كانه الحقيقة الوحيدة فيه . واعتقد انه مات ايضا من فرط صدقه مع نفسه ومع الاخرين ..

كان اللحن هو « تخونوه .. وعمره ما خانكم » .. سمعت اللحن .. فى اليوم الثانى بدانا البروفات عليها وتم تسجيلها لفيلم الوسادة الخالية .. وكان اللحن ناجحا . وبعد ذلك غنيت من الحانه أغنية « خسارة ، خسارة فراقك يا جارة » .. وتنقطع الصلة بينى وبينه . ولا اعرف السبب . ارى فيه ملحنا له مستقبل كبير ولكنه فجاة يظهر وفجاة يختفى .. وكان ابطال الجزائر الذين خطفتهم فرنسا خرجوا من السجن وجاءوا الى القاهرة وظهر بليغ حمدى فى الافق ليلحن اغنية «قضبان حديد انكسرت» وغنيتها للمناضلين الجزائريين فى نفس اليوم .. واختفى بليغ حمدى فى اليوم الثانى وتباعدت الايام . أبحث عن بليغ فلا أجده .. ومن يبحث عنه لا يجده دائما انه يرفرف بعيدا .. رغم انه كان « تخين جدا » واسمع انه يعيش قصة حب غريبة .. وضعفى فى الحياة امام كلمة « الحب » لا أعرف له سببا . كان الله خلق الانسان ليحب .. الرجل ليحب المرأة .. المرأة لتحب الرجل .. الاثنان ينجبان اطفالا .. الكل يعيش على الارض . الدفاع عن الارض هو دفاع عن الحب .. اصل الحياة كلمة حب .. وكان بليغ حمدى غارقا فى حب واحدة

من بنات الاسكندرية .. كانت تتحمل نزواته وترد عليها . وانعكس عليها تردده . انه يحب لكنه خائف من الزواج . هناك عدم ثقة فى ان الفنان قادر على الابداع وهو متزوج ، وهكذا كان بليغ فى هذه الفترة . لم يكن قد استقر له قرار او اسلوب فى التلحين . وكان عالم التلحين على ابواب خسارة عظيمة . هى قرار كمال الطويل الصامت بالانسحاب من عالم التلحين . وكان القرار خسارة كبيرة .. وكثيرا ما ناقشت كمال .. لكن كان هناك رفض حقيقى لتأليف الموسيقى : انه وصل من خلال تلحينه ومن خلال سماعه لموسيقى العالم ومن خلال رغبته فى الجديد .. وصل فى كل ذلك الى قرار هو ان المطلوب موسيقى عظيمة جدا .. علمية للغاية .. تلمس احاسيس الناس .. لقد تدخل عقله فى معركة مع عالم الموسيقى ووقف قلبه مشاهدا لهذه المعركة وكانت حيرته نبيلة وكبيرة .. وعلى الرغم من ان الحان كمال تتميز بالتماسك بالدقة الشديدة فى اختيار الجملة الموسيقية وما يتركه كمال من جمل موسيقية يرى انها لا تفيد بناء اللحن ، ما يتركه كمال من هذه الجمل كفيل بأن يجعل موسيقيين آخرين يؤلفون عشرات الاغانى . ولكن لا فائدة من اقناع كمال الطويل .. كان قراره اكيدا .. لفترة ست سنوات .

وفى بداية هذا القرار .. قدم لى من جديد بليغ حمدى .. وقال :

— بليغ فنان موهوب .. وهو الموهبة القادمة .

وبدانا رحلة العمل الجديدة معا .. فى ١٩٦٦ .. اغنية « انا كل ما اقول التوبة » .. كانت هى بداية العودة الى الفلكلور واعادة صياغته بشكل جديد . ونزف الفلكلور المصرى اغانى كثيرة بعضها ناجح وبعضها غير ناجح وبعضها يعبر عن الناس فعلا وبعضه ركيك ويثير مشاعر الانزعاج .. المهم بدأت فترة من الغناء جديدة وكان بليغ حمدى على قمتها . وكانت قصة حبه فى نهايتها . كانت صديقته تطالبه بالزواج وهو يلاحظ انها لم تعد تتحمل البوهيمى فيه . كان هناك شىء يئن ويتألم من هذا الحب . وكان نجاحه يصحبه جراح فى القلب . وتزوج حبيبته فى الثالثة صباحا . ايقظها من النوم ليتزوجها . كان يتصرف كأنه انسان شقى يفعل عكس ما يريد .. كان فى الحقيقة لحظة ان تزوجها يتمنى ان يطلقها . ان تنقطع علاقته بها الى الابد . وكنت كصديق احاول ان اكون معه .. انه دائما يجمع حوله من يقول له على كل حركة من حركاته . « هايل . عظيم . يجنن » وعندما يبدأ هو عملا فانه يقول « انا لحنت لحن يجنن . يكسر الدنيا » وكنت اضحك . لم اكن قد تعودت على ذلك . لم اسمع هذه الكلمة من عبد الوهاب او محمد الموجى او كمال

الطويل كل واحد منهم يظل قلقا من اجل اللحن .. لكن بليغ يخفى قلقه باعلان نتيجة النجاح .. وكنت اعرف ان ذلك هو قمة القلق .. وكما هو اسلوبى فى الحياة قررت ان اعرف بليغ حمدى اكثر .. العلاقة بينى وبينه مليئة بالفجوات ويجب ان اسافر معه . حتى اعرفه اكثر . وكان قد خرج من قصة الزواج بطلاق .. وكان قلبه الدامى يلهو فى اكثر من مجال فى اكثر من علاقة وكانت رحلتنا الى لندن . دخلنا معا احد المحلات وكلما قاس بدلة او قميصا كان لا يجد ما يليق عليه . وكنت اختلف عنه فى هذه المسألة . كلما اردت شيئا من الملابس وجدته يليق على . المسألة هى انه « تخين » وانا نحيف . والصعوبة البالغة فى الاناقة أن يكون الانسان سمينا .. وقال بليغ حمدى للبائعة :

— أرجوك احجزى لى ما يناسب ٦٥ كيلو وبالفعل مضت ستون يوما واصبح بليغ حمدى رفيعا .. رشيقا .. لدرجة ان اصدقاءه الذين لم يروه من مدة أصبحوا لا يعرفونه . وعرفت مدى قوة ارادته . انه عنيد حتى مع نفسه . استطاع بالرجيم القاسى ودون معاونة اى ادوية ان يخفض وزنه بصورة رهيبة ، وذهب الى البائعة .. وقال لها :

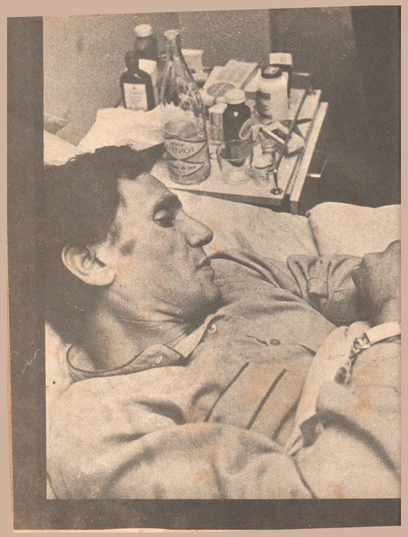
— انا الذى زرتك من شهرين وطلبت منك ان تحجزى لى ملابس تناسبنى بعد أن خفضت وزنى .

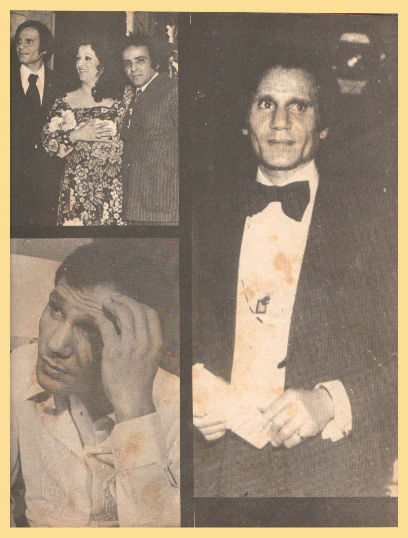
واندهشت البائعة بالفعل .. واصبح من اشيك الناس .

ومن خلال السفر .. تعدت علاقتنا حدود القرابة البعيدة . وتعدت حدود مطرب وملحن وتعدت حدود اثنين من الاصدقاء واصبحنا تقريبا اخوة تماما كما حدث بينى وبين كمال الطويل وكما حدث بينى وبين عبد الوهاب . الذى تعدت علاقتى به ايضا كل المراحل حتى وصلت الى درجة الشريك فى العمل .. والاب والابن فى الحياة .

وعرفت من خلال الرحلة ان بليغ لا يستطيع ان يحيا بنظام او بتركيز او بتقاليد فقد اكون مريضا هنا فى القاهرة ولايسال عنى .. ولو سمع انى مريض وانا بالخارج فانا اجده فوق راسى بعد ساعات من ابلاغه بمرضى . اما عبد الوهاب وكمال الطويل فهما يسألان عنى يوميا سواء كنت فى القاهرة . او فى اى مكان فى العالم ليس هذا عيبا فى بليغ حمدى ولكنه يتصرف تبع احساسه فى هذه اللحظة .

واحساسه طوال ست سنوات كان يدارى به قصة حب قد بدات ..





ولا يعرف لها نهاية ، قصة حبه مع وردة الجزائرية .. انها بعيدة فى الجزائر وهو هنا فى القاهرة . وكل دقيقة يخدع نفسه بأنه وقع فى حب جديد .. لدرجة اننى كنت أشك فى كل مغامراته قبل الزواج لان الانسان لا يحب كما يشرب القهوة .. الحب مسألة حياة وكنت أعانى من هذه المشاكل العاطفية التى يهرب اليها من العمل .. او يهرب اليها من الحب الحقيقى .. او يهرب اليها من المنافسة.

ان علاقة بليغ حمدى بالمنافسة ايضا غريبة .. انها تحركه .. « وتصد نفسه » فى ذات الوقت . عندما يظهر لحن رائع لاحد الملحنين .. تجد بليغ قد تحول الى شعلة حماس . ويحس ان مكانته يجب ان تتأكد على اكبر ساحة فى آذان المستمعين وقلوبهم ويبدأ فى التلحين .. وهذا ما اخشى منه على بليغ حمدى .. انه يجب أن يتروى لان الاندفاع دائما يحمل خطر القضاء عليه وليس على منافسيه .

ان عاطفته لايجب أن تقوده دائما .. وأنا أقول دائما :

— يا بليغ العواطف حصان لا يعرف طريق السباق .. انه قد يبدأ قويا وينتهى قبل نهاية السباق .. مطلوب تنظيم العاطفة .

وهو يسمع الكلام ببعض الضيق . انه يكره كل القيود . لكن فى الصداقة صداقتى به .. فهو لا يستطيع ان يهاجم هذه الصداقة ولا يقدر عاطفيا على الاستغناء عنها .. بصرف النظر عن مطرب وملحن . وبصرف النظر عن معرفته الجيدة . ان المطرب يستطيع أن يرفع اللحن والكلمات الى آذان المستمعين وقلوبهم والمطرب ايضا قد يستطيع عكس ذلك . ان مسألة النجاح لها علاقة احساس بمن يؤدى هذا اللحن وتلك الكلمات .. بصرف النظر عن ذلك فعلاقتى ببليغ هامة جدا بالنسبة له .. لانه يعرف أننى صريح جدا وواضح جدا .. وقاس جدا فى الوقت الذى تصبح فيه القسوة لازمة . قلت له عندما حكى لى ثلاث قصص حب مختلفة فى ثلاثة اسابيع .

— القلب ليس كرة من المطاط تلقيه بمضرب لتتلقاه واحدة .. ليعود اليك مجروحا .. القلب يحتاج الى صيانة من العواطف المبعثرة .

وكاد يبكى .

انه لا يعرف ماذا يريد .. انه يريد فرحة دائمة .. وهو يبحث عن هذه الفرحة فى السفر .. ان جواز سفر بليغ حمدى تعب من كثرة السفر . انه

قد يكون موعد حفل لام كلثوم ·· موعد اذاعة لحنه لاول مرة وتجده في الطريق الى مطار القاهرة بعد نهاية آخر بروفة ومن هناك على بيروت أو المغرب أو لندن أو باريس وهو من أعظم عشاق المشى · يمشى · ويمشى دون تعب ويدرس خلال رحلته كل الجديد وعندما يجلس مع نفسه تتجسد امامه الحان سيد درويش انه المنبع ·· أنه يحاول أن يستفيد من دراسته لهذا العملاق ·· وفى مرة قال :

ــ أنا أريد اعتزال التلحين وان أسافر الى موسكو لادرس الموسيقى من البداية .

وكان هذا هو اعلان عن رغبته فى تجديد نفسه وتحديد المسار الذى يجب أن يسير فيه واعلان ايضا عن عطشه الدائم لمعرفة الجديد .. تماما كاحساسه بعد أن يرى فى باريس أو لندن فيلما موسيقيا أو يحضر حفل كونسير او حفلا استعراضيا . انه يمضى فى الحديث عن المسرح الغنائى .. لكن هناك اغنية تسرقه من المسرح الغنائى .. يتصرف فى الفن كما يتصرف فى حياته .. يعطى مثلا ميعادا لصديق ولا يحضر .. لانه قد يكون قد فكر أثناء ذهابه الى الميعاد فى السفر . فيجرى الى المطار ويسافر . انه يحافظ على تذكرة السفر الدائمة حفاظه على بطاقة تحقيق الشخصية ·

عندما قرر بليغ حمدى ان يعلن انه عثر على حبه الحقيقى فى وردة الجزائرية عرفت ان رحلة من المتاعب اللذيذة ستسبق خبر الزواج .. لانه متردد .. لا يجيد الحسم ويعيش داخل قوقعة بليغ حمدى .. ومحاط بمن يقول له « عظيم .. الله .. كل ما تفعله رائع » .. ولا يلجأ الى الاصدقاء الحقيقيين الا فى لحظة الخطر .. وكانت وردة تعرفه جيدا .. تحفظه عن ظهر قلب وحنانها اتسع لهذا القلق الكبير .. القلق الذى يبدو ساذجا ... لكنه غير ذلك .

واعتقد بعض الناس ان هذا الزواج ليس التصرف الذكى لانه تحديد لألحانه فى صوت واحد ·· ولكن بليغ حمدى بصرف النظر عن قصة الحب الطويلة كان ذكيا للغاية .. فهو يعرف الحقيقة الواضحة .. ان الملحن فى حاجة الى اصوات جميلة تؤدى اعماله .

وصوت وردة حلو .. يخدم الحان بليغ .

ووردة كصوت جميل تحتاج الى الحان جميلة تخدم صوتها ·· وهى

ذكية .. لانها لا تتدخل ابدا فى الحانه .. لا تقول له .. « اللحن ده عاجبنى اغنيه انا » انها لا تاخذ منه لحنا اعده لاحد غيرها .. رغم أن هذا من حقها لكنها لا تقول ذلك ابدا .. مثلما تفعل بعض الفنانات مع ازواجهن .. انهـا تعرف أن حبها له لا يجب ان يقتل فيه انتشاره بين كل الاصوات التى تغنى .

نقطة اخيرة ورائعة فى صداقتنا .

انه لا يحب أن يرى صديقا له فى حاجة ما ولا يساعد اصدقاءه بداعى التفاخر انما بالعكس .. لانه يشعر أن صديقا ما يحتاج .

ان ذلك من صفاتنا المشتركة . التى اعتقد انها صفة اصيلة فيه ولـم يكتسبها بطول العشرة معى او مع كمال الطويل .. انها اخلاق تجعل الانسان يشعر امامها بانه امام انسان طيب .





إلى صديقي في سجن غزة

عندما بدأت حرب أكتوبر ..
كنت أحس أن أنور السادات
قرر أن يغسل أعماق كل
مصري من حزن طويل بدأ من
١٩٦٧ .. قررت يومها أن
أكتب رسالة الى انسان
فلسطيني وراء أسوار السجن
الاسرائيلي .





فجاة يشعر الانسان أن من حقه أن يحب ومن حقه أن يمشي ومن حقه أن ينظر الى النيل من جديد • ويعود للمشاعر الانسانية نقاؤها •• ويختفى من الهواء هذا الاحساس بان كل شيء عجوز وقديم • وموجات الفرح تتدفق فى القلب لكن الانسان يحتار للحظات أمام هذه الموجات الفرحة • تبدو كشموع نخشى عليها فنحتضنها • وتتوالى البيانات العسكرية ويظهر فى الشوارع مصرى آخر غير الذى كنا نعرفه قبل ٦ أكتوبر • ويظهر للكرة الارضية كلها جنود مصر وهم غير الجنود الذين كانوا فى ٥ يونيو • لست مفكرا سياسيا• وحياتى التى أرويها • هى حياة انسان ضمن هذه الملايين الكبيرة التى تعبت من كثرة الحلم بتحرير سيناء والارض المحتلة •

فلم نعد نتحدث عن الارض الا وتختنق الكلمات بأشواك اليأس • ست سنوات غريبة . هى الجنون بعينه .. كل ما فيها يبدو باهتا وكل ماأضافته لنا مزيدا من المرارة .. ولكن النضج فى مصر كان ينمو وسط هذا اليأس . نضج ينمو بهدوء ودون أن يعلم أحد • وفجأة ينفجر نضج مصر • نعبر القناة• سينا لم تعد حلما . أصبحت أرض قتال . الاسرى فى التليفزيون .. الكرامة

المصرية غير التكير الاسرائيلى . بين الخطابات التى تصلنى خطاب وصلنى منذ اسابيع .. لم اكن أعرف كيف أرد عليه . خطاب جاءنى بواسطة الصليب الاحمر من سجن غزة المركزى .. كلماته تقول :

بسم اللـه الرحمن الرحيم .

الرجا الرد بسرعة .

تحية طيبة واشواق قلبية ابعثها لكم من صميم قلب انسـان ينبض بالحياة الحـرة .

اخى العزيز ابعث لك ولجميع الاخوة الف سلام من وراء قضبان الحديد وبعد أن حكم على بالسجن لمدة ١٥ عاما . سلامى اليكم والى جميع الاخوة عندكم الف سلام . كما أرجو واطلب من سيادتكم اغنية تعبر عنـا . ويجب أن نكون رجالا .. واننا رجال خلقتنا الطبيعة ولله الفضل أن اتم رجولتنا .. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللـه عليه . ونحن رجال صدقنا فيمـا عاهدنا اللـه عليـه .

اخوكم .. عبد اللـه

وضعت هـذا الخطاب امامى منـذ سبعة اسابيع وانا لااعرف كيف ارد عليه . ولا كيف انفذ ما يطلبـه .

هل اقول لصاحبه أننى غنيت فى لندن « على ارضها طبع المسيح قدمه ، على ارضها نزف المسيح المه » .. هل اقول اننى غنيت عدى النهار .. هـل اقول له اننى غنيت كثيرا وان الانتصار لاتصنعه اغان ولكن يصنعه المقاتلون مثـله . ؟

كلما وجدت هذا الخطاب امام عيونى .. اجد معدتى تنقبض ويعلو فيها الضجيج الغريب . انها معدة تبدو مزدحمة بالالام الصغيرة المتقطعة المنهكة . وآخذ الدواء . وأهرب من غرفة المكتب ويظل هذا الخطاب امامى، فى عيونى .. فى كل مكان اراه .. أنا وغـيرى من الالاف والملايين نمشى فى الشوارع .. نسافر . نتحرك .. لكن هذا الانسان السجين اكثر حرية منا . لقد وضع الكلمة جانبا واستخدم المدفع ومن المؤكد انه استطاع بشكل أو بآخر ان يجعل العدو يجز على اسنانه وهو يتساءل . ؟ .. اليس هذا احد المهزومين فى يونيو ١٩٦٧ .

يونيو ١٩٦٧ .. كانت هزيمة بلا قتـال .

كنت أكاد أكون شبه مقيم فى الاذاعة .. أغنى وأغنى وانا اقرأ عـلى التيكرز أنباء الهزيمة وأغني كأن الاغنيات وحدها ستحارب . لكن الواقـع

يقول أن الاغنية تعبر عن المحاربين تقود احساس المحاربين .. وعندما لايوجد من يقاتل تصبح الاغنية كلاما يعبر عن احساس لم يتحقق . وهكذا كانت كل اغنيات ١٩٦٧ .. احساس لم يتحقق . كنت أنزل فى الظلام الدامى . الغارات على القاهرة . أقود عربتى لاحمل النوتة الموسيقية لتكون أمام العازفين . وكنت اقول لنفسى يجب أن نفعل شيئا .. ولكن هل يستطيع انسان ان يفعل شيئا بمفرده .. ؟

فى سنة ١٩٦٧ كان كل انسان منا بمفرده .. كنا نجلس معا ونعيش معا ونضحك معا .. ولكن كل واحد منا بمفرده .. كنت الاحظ احيانا فى اى شلة او اى مجتمع ان الكل يعيش منفصلا عن الاخر . كل واحد يحاول ان يصنع بمفرده كل شيء . كان هناك نوع من نمو الفردية والانانية يقتل روح العمل .. لم يغسلنى من هذا الاحساس الا زيارة للسد العالى .. حيث كان الجبل قطعة من النور .. وحيث كان المصرى . يملك قدرة رائعة على ان ينجز اخطر اعمال بناء الحياة . وكان عدوان ١٩٦٧ يهزم هذا الكذب الذى كان فى الضحكات والغرور الذى نما فى كل فرد .. وكان هناك من لايتقن حرفته ويعلن انه سيدها .. كان ذلك على مستويات المجتمع . الفهلوة والادعاء وتسلل العدو من خلال عيوبنا . وكانت هزيمة بلا قتال .

وفى اكتوبر .. كنت قد قررت ان اسافر الى الكويت والاردن ولندن .. وكان الهدف هو ان نجمع تبرعات للمساعدة فى ازالة آثار العدوان . وصادفت العقبات . لم أتعب فى حياتى قدر ما تعبت من اجل ان استاذن لكل الموسيقيين ولاعضاء فرقة رضا بالسفر الى الخارج .. كأنى كنت سأسافر لنفسى . لم يكن احد منا يطلب شيئا لنفسه . حتى فى بدل السفر .. قالوا ليس هناك نقود اكثر من اثنين جنيه استرلينى فى اليوم لكل فرد ، ووافق أفراد الفرقة الموسيقية وأعضاء فرقة رضا.. وقامت الكويت باستضافتنا . وكان العرب كما هم دائما فى لحظة المحنه . التعاون الى اقصى حد ، لكن فى العيون عتاب ، دائما مصر فى المقدمة .. ومصر لايجب أن تهزم . وكانت عيوننا تقول اننا لم نهزم . لاننا لم نحارب . وكان الغرور الاسرائيلى يملا كل مكان . كدنا نحن ان نصدق كل اكاذيبه حول نفسه . وكان المفروض ان نسافر الى الاردن بعد الكويت . لكن الملك حسين قال ان الظرف غير مناسب وقرر أن يرسل معنا الى لندن فرقة شعبية اردنية .. واقيم احتفال فى « البرت هول » فى لندن . كان كل من حولنا يهدد . وكانت العيون تنظر الينا بنوع من الشفقة وكنا نرفض الشفقة . كان هناك فى القلب

احساس يرفض كل شيء كانت ليلة « البرت هول » غريبة .

« ياكلمتى لفى لفى الدنيا طولها وعرضها
فتحى عيون البشر للى حصل على أرضها
على ارضها طبع المسيح قدمه
على ارضها نزف المسيح المه .
فى القدس .
فى الخليل .
فى طريق الآلام
رنت ترانيل الكنايس فى الخلا
وصبح الوجود قنديل على ارضها
تاج الشوك فوق جبينه
وفوق كتفه الصليب .
صلبوه نفس اليهود
ابنكيا قدس زى المسيح
لازم يعود على ارضها .

وكانت القاعة مزدحمة وكان الكل يريد ان يصدق العالم الحقيقة . اليهود يصلبون العرب وهذا اجراء غير انسانى . لكن البشرية على ظهر هذه الكرة الارضية لاتصدق الا بالرصاص والقنابل ، ولاأريد أن أحكى كيف ضاعت تسجيلات الاحتفال .. ولا اريد أن احكى كيف أن اعضاء الفرقة الموسيقية نزلوا فى فندق رخيص بلا تدفئة لان بدل السفر جنيهان فقط . يجب ان ياكل الواحد منهم فى اليوم بجنيه وينام بالجنيه الاخر . فكل شيء مهما كانت متاعبه فليست هناك متاعب قدر متاعب الجنود فى ١٩٦٧ .. هؤلاء الذين قالوا لهم انكم هزمتم وهم لم يحاربوا .. هزيمة بغير قتال .

ذهبت الى الجبهة مرة .. قال لى ضابط فى الثالثة والعشرين لم يشهد حرب يونيو .

— قالوا حرب الايام الستة السوداء .. سيكون اليوم السابع الاسود هو ان يخرجوا من هذه الارض بلا قتال .

كان مايخافه الجنود الا تتاح لهم فرصة ان يقولوا للعالم انهم محاربون وان التفوق التكنولوجى أن لم يسنده ايمان هو مجرد خرافة . وكانت زيارتى للجبهة فى فترات متباعدة .. لكن فى كل مرة كنت أشعر ان فى الصدور كلاما لايقال ، كلاما كثيرا يغلى ، اننى اعرف حكايات كثيرة عن الرجال الذين

كلفـــوا بمهـــام عسكرية صغيرة . لكن الرجال الذين ذهبوا الى المهام كانوا عطشانين الى ان يقولوا رايهم فى العدو .. وقالوه كثيرا بالرصاص . حكايات كثيرة سيكون لهـــا دور فى التـــاريخ عندما سيكتب . لن يكون هناك مكان الا لهـــؤلاء الابطـــال .

اذكـــر فى لقاء مع الملك الحسن الذى تحارب قواته الان فى ســوريا . والذى نقلت الاخبـــار أنه ألغى رحلات الطيران لتحمـــل الطائرات مزيدا من الجنـــود ليشاركوا فى المعركة .. اذكر أنه ألغى رحلة كان مقررا له ان يزور فيهـــا امريكا .. قال ان العرب على حق .. والسلاح الامريكى باطل فى يد العـــــدو . فماذا يمكن ان اقـــول .

ـــ اذكـــر انه قـــال اكثر من مـــرة .

ـــ ان فى المغرب يهـــودا .. لكنهم مغاربة يعيشون بيننا دون كراهية ، انهـــا اكذوبة ان تقوم دولة على اساس الدين . هل يستطيع احد ان يصدق ان يعيش انسان مزدوج الجنسية . ان الولاء للارض الاصلية للانســـــــان فـــوق كـــل شيء .

هذه الايام .. كان مفروضـا ان اسافر الى لنـــدن . هنـــاك سلسلة من العمليات يجب ان اجريهـــا .. حقن الشعيرات الدموية المعرضة للانفجار . هـــذا الميعاد تأجل اكثر من مرة . كل مرة يكون هناك سبب للتأجيل . وكان الطبيب د . ماكبث قد أرسل أنذارا بأن حضورى الى لندن يجب الا يتجاوز ١١ اكتوبر . وأرسلت له تلغرافا .. أقول فيه : اسمح لى أن أشـــهد النصر المصرى .

مرة اخـــرى اقرا خطاب د . ماكبث الغاضب

« مستر حليم .

ان أردت أن تظل تحت اشرافى .. فلا يجب أن تتاخر . لايجب لان هناك مواعيد كثيرة لمرضى كثيرين ، ولايمكن أن أكون فى انتظارك كل هذا الوقت . اننى أقول لك أن الميعاد قد يتأجل سنة كاملة .. ان كنت ساقبل الاشراف على علاجك .

عزيزى د . ماكبث . .

ان مصر تنتصر .. اسمح لى ان اشهد النصر .

عزيزى الفدائى عبد اللـــه .. الموجود بسجن غزة المركزى ..

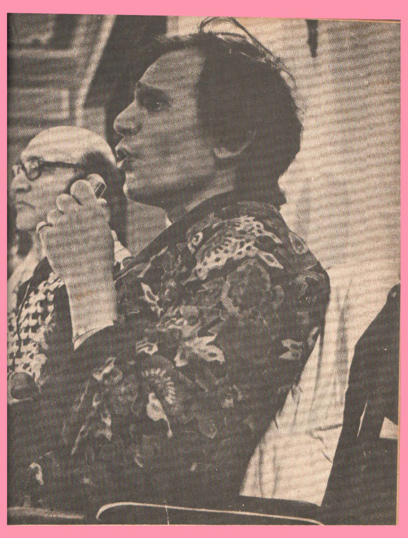
ماذا اقـــول لك ؟

ان الرصاص والمدافع وخطوات الجنود .. تصـــدق وعدها معك .. عزيزى الفـــدائى حريتك جاءت .

الاسرى الاسرائيليون بالمئـــات .
حريتك جاءت مــع حــرية الارض .
صدقت فى عهــدك مــع اللــــه ..
وصدق الرجــال فى عهــدهم مــع اللــــه .
اســمح لى أن أهديك كلمــات الاغنية التى سبقها انتصار الجنــود'.

عاش اللى قــال الكلمــة
بحكمــة فى الوقت المناسب
واخوانه جنبــه فى الطــريق
اتحــولوا مليـــون محــارب
محــلا اللى عاش سنين الصبر
يتعــلم ما يتــألم
وحــول من ليـــالى الصمت
بالحكمــة مارد بيكلم .
عاش اللى قــال للرجال عــــدوا
القتــــال
عاش اللى حول صبرنا حـــرب
ونضــــال
عاش اللى قال يا مصرنا مافيش
محـــــال
عاش ليــك ابنــك
عاش اللى حبــك
رد اعتبـــارك
خللى نهـــارك
نصر .. يا مصر





أهم كراسة يحتفظ بها عبد الوهاب

في بيت عبد الوهاب كراسة يعتبرها تضم أخطر الاسرار ان فيها ثروته الحقيقية .





اخطو الان الى عالم عبد الوهاب فى حياتى وهو عالم مرتب جدا . يسير دائما الى الامام وهو كالوالد الذى يحافظ على صداقة الابن لانه والد متطور العقل والذكاء وفى قلبى هناك مشاهد اعرفها لانها ترسم امامى اطار هذا الصديق الكبير الذى يتربع على عرش الموسيقى نصف قرن من الزمان . ووجهة مليىء بالمجاملة . مجاملة لاتسامح فيها لو حاول احد ان يعلو فوق قدر نفسه ولاتسمح ابدا بان يعتدى احد على وقت الفن . والفن فى حياة عبد الوهاب يبدأ من الشيخ رفعت حيث كان يقلده وهو صغير . وسلامه حجازى وسيد درويش .

ان هناك اسئلة لا تنتهى فى عقل عبد الوهاب وفى قلبه .

وعبد الوهاب فى حياتى هو احد العمالقة الذين استطعت ان احتفظ بصداقتهم .. وصداقتنا تنمو دائما كل منا يشعر أنه « مرتاح » فى هذه الصداقة .

وصداقتى مع عبد الوهاب هى رحلة سفر .. قامت من محطة الكبرياء ومرت على عقود أفلام نفذتها بعد ان نجحت امام الجمهور .. وعند صوت

الفن كنت انا الذى أعرض الفكرة .. ثم أنا وهو نتخذ القرار .. وفى رحلاتنا الى الخارج كانت الحكايات من فم عبد الوهاب تنساب كنهر من الذهب الذى يبرق .. لانه ذهب الذكاء اللامع المتقد الذى يجعل من معه يكشف نفسه .. ولايمكنني أن الخص صداقتي معه في كلمات .. إنما لابد أن أحكي بعضـــا من اسرار هذه الصداقة .

اسمحوا لى أن أعود الى يوم بكيت فيه بعد ان قابلت عبد الوهاب . فى عام ١٩٥١ . غنيت فى الاسكندرية امام الجمهور . لم يتقبلنى الجمهور .. خرجت من عربة مجدى العمروسى الى فيلا عبد الوهاب . كان لابد ان ارى الرجل الذى يطالبنى الجمهور ان اغنى اغنياته وان اقف امامه لاحكى له او لاسمع منه . وعندما بدأ يسمعنى . لا ادرى كيف فهمنى لحظتها .. لكنـــه كان خاطىء الفهم أخرج من جيبه ورقة نقود لا أعرف قيمتها ووضعها فى يدى القيتها على الارض وقلت بصوت جامد .

ـ استاذ عبد الوهاب .. انا جاى علشان تسمعنى مش طـــالب فلـــوس .

كان جيبى خاليا من النقود . لكنى لم اكن اقبل هذا الوضع . قد يكون قمة وقد اكون فى السفح . لكنى لا احب ان تكون علاقتى بأحد فيها شفقة . كنت اعرف اننى لون جديد فى الاداء . كنت افهم ان فى اعماقى شيئا يجب ان يصل الى الناس . هذا الشىء لن يصل ابدا لو اننى قبلت نقود عبد الوهاب .

عبد الوهاب الذى عاش على مصروف يد ثلاثة مليم يأخذها من والده . الى خمسة قروش يشترى بها حلاوة . الى العمل فى سيرك يتجول فى الدلتا يغنى فيه اثناء استراحة الاسد والنمر الى احتضان امير الشعراء احمـــد شوقى الذى علمه الفرنسية كلمة كلمة . الى الاستفادة الكاملة من حياة سيد درويش الذى كان موهوبا يقفز بموهبته فوق تطريز الموسيقى الى التعبير عن حياة الناس . وكانت رحلة سيد درويش مليئة بالفن وبالاندفاع وبعـــدم الحرص على الحياة والخضوع التام لسلطان المزاج . كان سيد درويش سيدا فى فنه ومدمرا لحياته . ومن هنا كان حرص عبد الوهاب . أنه يعرف قيمـــة النظام فى الحياة . .

كنت يوما اريد ان اقف امام عبد الوهاب لاعرف السر فى أنه صـــعد الى عرش الفن خمسين عاما بلا منافس . ولكن عبد الوهاب فى هذا اللقـاء لم يفهمنى . وخرجت من بيته فى جليم الى عربة مجدى العمروسى . وكانت

رحلة من الدموع . لم تتوقف الا عندما جاءني صوت أعماقي يقول :

ـ ليست دموع الفشل الا خطوة فى طريق النجاح .

ولم أر عبد الوهاب منذ ذلك التاريخ الا يوم أن استدعاني الى مكتبه فى شارع توفيق وغنيت على ضوء اباجورة قديمة كان معى محمد الموجي .. ووقعنا عقد فيلمين واسطوانات وغيرت شروط العقد كلها ووافق عبد الوهاب ومثلت الفيلمين بنفس الاجر الاول الذى وقعته مع عبد الوهاب . رغم أن أجري كان قد ارتفع عن هذا الاجر كثيرا . عندما ضمن عبد الوهاب نجاحي طالبني ان امثل الافلام ولم اعارض ولم اطلب رفع الاجر . وغنيت من الحانه ومن الحان جيلي .. وكان هناك موقف محدد .

ـ انا لا يحتكرني احد .. لانى لا احتكر احدا .

ومن خلال ذلك شعر عبد الوهاب انني احبه جدا . لان فيه ما أجده فى نفسي . الحرص على العمل . الاحساس بذلك . قدرته الهائلة على الاستماع لمن حوله .. انا ايضا أملك قدرة الاستماع . على خريطة نجاح عبد الوهاب كنت ارى طريقي للنجاح . لا اقلده .. ولكن من يدعى انه بلا استاذ فليرحل من عالم الفن فالموهبة تجبر كل من حولها على أن يعترف بها والموهبة أيضا تملك دائما التواضع أمام من تتعلم منه ولقد تعلمت من عبد الوهاب دون ان اقلده .. ويوم أن قال لى :

ـ تعرف يا عبد الحليم انا باشوف فيك نفسي وانا صغير .. وانا قررت أني ما أغنيش وأى لحن حلو حا أعمله .. حا أخليك تغنيه .

قلت يومها بهدوء :

ـ يا استاذ عبد الوهاب ده يشرفني .. لكن انا بأحب اسمع عبد الوهاب يغني بنفسه . ليه تقول انك مش حاتغنى .

وقلت يومها لنفسي .. الفنان احيانا لا يعرف ماذا يريد بالضبط .. احيانا يتمنى أكثر من شيء فى وقت واحد . يثق فى صديق جدا .. يحكى له هما صغيرا .

وهموم عبد الوهاب لا يقولها لاحد . انه ابو الهموم .. لكنه عندما قال لى ذلك . احسست أنه يواجه مشكلة ما .. من لحن ما .. او مشكلة ما مع مطرب أو مطربة .. ان عبد الوهاب يعرف أن اللحن الذى يخرج من يديه يجب أن يكون ممتازا . ويكره تماما ان « يغتال » احد المطربين هذا اللحن . ان عبد الوهاب هو انتقال من عصر التخت الى عصر الاوركسترا .. وهو خلاصة هذا التطوير وهذه الرحلة يزعجه فيها أن المواهب احيانا تكون بلا علم

والعلم احيانا يكون بلا موهبة . والفنـــــان يجب أن يحترم نفسه بالعلم . . وعندما يقع اللحن فى صوت موهوب لا يحس او لا يستفيد باللحن يكون الضيق قد علا روح محمد عبد الوهاب ويوم ان قال لى ذلك . . كان هو اليوم الذى أقنعته فيه أن يغنى فى عيد الثورة ، أن يقف على المسرح وأن يواجه الجمهور كما كان يفعل قديما وأن ينطلق صوته العذب الى كل اذن ، يومها كان طلبة معهد الموسيقى والكورال ليسوا فى مستوى الاحساس بكلام الاغنية . يومها كان لابد من الهدوء قليلا . وان يتدرب الطلبة جيدا على الاداء . . واستراح عبد الوهاب . . لحظة ان واجه الجمهور .

●

لو قلت لى : هل تعرف فلانا ؟ . . فاننى سأسألك هل سافرت معه ؟ ان قلت لى نعم . سأقول لك انا اعرفه . وان لم اكن قد سافرت معه فاننى سأقول لك : لا اعرفه . لان الانسان فى السفر يكون على طبيعته . يصـــبح مغتربا . . والمغترب يفتح قلبه وعقله . . تصبح حياته ملكا لمن معه . . وقد سافرت مع عبد الوهاب .

والرحلة مع عبد الوهاب عالم من المتعة العذبة . انه من اخف الناس دما . . وعندما تسأله يرد عليك الرد غير المتوقع . رد ذكى دائما ولامع دائما ويا ويل من يقلده عبد الوهاب . انه يملك موهبة تقليد الاخرين بصورة رهيبة ويقول النكتة كأنه يلقى اليك خبرا بسيطا ، يترك لك الضحك وحدك ويضحك معك . . انه ليس من النوع الذى يقتل نكتته بأن يضحك أولا . . انــه يترك شحنة الضحك تتفجر فيك أولا ويضحك هو بعد ذلك . . وقد كان يفعل ذلك اثناء لحظات « البال الرائق » .

واذن عبد الوهاب جسر فنى غاية فى الخطورة . انه يستفيد من حفيف الشجر ويجد فيه جملة موسيقية ويستفيد من صوت مياه النهر . ويدخل كل الاماكن التى فيها الموسيقى . . يسمع . . ويسمع . . ويسمع . . ولـــــو كان هناك أحد بينه وبين عبد الوهاب خلاف وانتج هذا الواحد فنا جيدا . . فان عبد الوهاب يعترف بالفن الجيد .

فى احدى الرحلات على المركب طبعا . . لان المركب فيها قارب نجاة والطائرة ليس فيها براشوت لكل راكب ، بدأ عبد الوهاب يحكى عن الحب الحب عند عبد الوهاب هو الموسيقى . قوام المراة المتناسق اساسى جـــدا عند عبد الوهاب ، فالقوام هو اللحن الاساسى للجمال ، فلا فائدة فى الوجه

الجميل فقط ان لم يكن على قوام رائع .. ويحكى عبد الوهاب عن أول حب كان فى السادسة عشرة وكان اخوه الشيخ حسن قد اقتنع اخيرا انه لا مفر من الرضوخ لموهبة عبد الوهاب والاعتراف بها . وكانت جارته أرملة حسناء دعته الى منزلها ليرى البيانو الجديد الذى اشترته ويعزف عليه .. وعندما ذهب اليها بدأ فى العزف على البيانو وظلت تسمع .. وعندما ذهب اليها فى المرة الثانية متسللا بهدوء عرف أنها تصاحب احداً آخر لا يعزف على البيانو لذلك جرى من البيت كطفل صغير .. وهناك حب آخر على المركب . كان فى رحلة مع امير الشعراء احمد شوقى والتقى بواحدة عرف انه الحب . ولم يجرؤ على الاعتراف بقصة حبه لامير الشعراء وكتم فى قلبه دموع الفراق .

والحب الان فى حياة عبد الوهاب يتلخص فى ان يسمع اسمه الذى تناديه به زوجته السيدة نهلة القدسى .

— بيبى .

ويناديها حياتى .

وبين بيبى وحياتى رحلة حب ومشاركة وفهم وزواج ناجح ، اذكر ان قالت السيدة نهلة :

— يجب أن تتزوج يا حليم ضحكت .

— فين العروسة اللى تشاركنى رحلة العمر ..

قالت : كتير .

— ايدى على كتفك ..

وما زالت يدى على كتفها معنويا . لانى اتمنى ان تكون هناك انسانة يمكننى ان اقول انها تصنع معى رحلة عمر سعيدة . ان المرض على أبواب النهاية وانتهى السبب الذى يجعلنى هاربا من الزواج . لست الان فى موقف الهارب من الزواج لانى لم اكن اريد ان ازعج واحدة أحبها بنوبات النزيف . وبالسقوط فى المرض .. الان المرض قارب ان يرحل نهائيا .. ومن المؤكد أن احساس الوحدة قاتل . هذا الاحساس الذى يذكرنى دائما بخوف عبد الوهاب القديم عندما كان فى العاشرة من العمر وهرب من المنزل مع سيرك يدور فى الارياف . وكان عبد الوهاب يحلم بأن يجد جمهورا وكان لا يعلم أن النوم فى خيمة السيرك يعنى أن يعيش الانسان قريبا من مخلب الاسد أو النمر أو حتى الدب .. والليل لا يمر عليه فى تلك الليالى والخوف يجمد ملامحه .. أن الوحدة هى مخلب أسد ونمر ودب فى آن واحد وزوجة الفنان لا يجب ان تحبه فقط .. ولكن عليها ان تحب فنه ايضا .. فالحب ليس



هدفنا فى حد ذاته .. انه ان يشعر الانسان ان معه انسانة يمكنها مثلا ان تعيش هذا الموقف .. أن تسمع كل ليلة تسجيل اغنيات الفنان .. اننى أنام كل ليلة على اغنياتى قد يظن اى احد ان ذلك انانية منى او مزيد من الحب لنفسى .. لكن الحقيقة غير ذلك .. الحقيقة اننى اريد دائما ان اكتشف اوجه النقص فى نفسى وأن احاول استكمالها ولو سمعت قبل ان انام اغنية من اى احد غيرى فان مسام عقلى تتفتح كلها لاعرف اسرار الجمال واوجه النقص . معنى ذلك اننى ساظل اقيم كل ليلة محكمة خاصة لاصوات الاخرين ومعنى ذلك اننى ساتولى الدفاع عنهم او كشف اوجه النقص فيهم .. وهذا مالا احبه قبل ان انام .. اننى احب ان اتوكل على الله وانام .

وما ألذ ان أقرأ فى المصحف .. ان كلمات الله تصقل فى قلب الانسان الحب .. تجعله يحب كل الناس وتجعله يحب الحياة بشجاعة وعبد الوهاب ايضا يحب كلمات الله .

ــ لقد بدأت مقلدا الصوت الشيخ محمد رفعت قبل أن أقلد سلامة حجازى وعبده الحامولى .

وفى مرة قلت له :

ــ وكيف عشت فى عصر فيه « ارخى الستارة اللى فى رحينا » وانقذت نفسك من غناء مثل هذا الكلام .

صمت عبد الوهاب ونظر الى جبل لبنان ..

ــ هناك على البعد صخرة لا تنبت وبجانبها شجرة ارز .. واعلى الجبل يوجد ثلوج واسفل الجبل هناك جدول مياه وبجانب الجدول اشجار فاكهة . انك أن ركزت بصرك على شىء فاتك جمال الصورة كله وفاتتك أيضا عيوبها . لكن لو استطعت أن ترى كل التفاصيل الصغيرة فى الصورة وان ترى ايضا فى نفس الوقت الصورة كلها شاملة فهذا يعنى أنك مخلص الرؤية جدا ... وانا لم افكر فى انقاذ نفسى من براثن كلمات الاغانى التافهة او التى لا تعبر عن مشاعر انسانية .

لقد وزنت ما أغنى باحساسى وعقلى .. اننى اخترت من اغنى لهم ، ليسوا السكارى وليسوا الباحثين عن المتعة فقط . انهم باحثون عن احساسهم بالحب . وكان بجانبى شوقى بك وبجانبى خاصة المثقفين فى كل عصر . ولم اترك الوقت يمر فى الدخول فى معارك مع اعداء وهميين انما كان على ان اقرأ وان اسافر وان اعيش حياتى بكل مافيها . وكنت اختار دائما ما هو فى صالح

الفن • وبرتاح ضميرى جدا كلما اتممت قراءة القرآن •• أن أبى هو شيخ جامع سيدى الشعرانى الذى تنتسب اليه عائلتى .. والدين موجود فى أعماقى •

كان عبد الوهاب يتحدث وفى عقلى نفس شريط الحياة عيونه كانت على سيد درويش يتعلم منه وعيونى كانت عليه .. لم يقلد سيد درويش ولم اقلده . اختار من يغنى لهم واحترم الثقافة وقد فعلت ذلك . تفصلنا أعوام العمر ويجمعنا نفس منهج الحياة ولكن مع اختلاف الظروف مع حرص كل منا ان يكون نفسه مع اختلاف التاريخ .. ولكن هناك اشياء لم استطع أن اطبقها فى حياتى .. مثل النظام الشديد والصارم فى الحياة . انا تعودت ان أنام معظم النهار لانى اخاف الليل وهو يحب ان ينام بنظام وان يحدد لكل شىء وقتا .. انا لا احدد اى وقت ومواعيدى مضطربة الا امام الفن .. هنا يصبح قلبى فى عقلى وعقلى فى قلبى واتجمع كشحنة احساس واحدة اغوص فى اللحن وافهم كل معنى يمكن ان تذهب اليه الكلمة واسافر فى الشجن واخيرا مع الانغام •

اننى اعرف ان اللحن قد يكون جيدا بنسبة ٦٠٪ والكلمات قد تكون جيدة بنسبة ٤٠٪ ولكن المغنى يستطيع ان يرفع مستوى اللحن الى ٢٠٠٪ ويرفع الكلام الى ٢٠٠٪ اذا استطاع ان يخلص لما يؤديه وان يعطيه كل ما عنده من موهبة . واحيانا يكون اللحن ١٠٠٪ ويهبط به المغنى الى صفر من المائة .. واحيانا تكون الكلمات جيدة وممتازة ويهبط بها اللحن .

— انت عارف انا باحبك ليه .. لانك مخلص جدا مع نفسك ومع فنك .. واعتبرت هذه شهادة . افرح بها واحاول دائما ان اكون فى مستواها .. اننى لست ممن يلقون بثقة الاخرين بعيدا عنهم .. اننى احب ثقة الاخرين فى فنى واقف برهبة أمام هذه الثقة وأحاول كل مرة أن أكسبها من جديد •

عبد الوهاب فى حياتى ايضا لم يكن انبهارا فقط .. انه استاذ وليس معنى كلمة الاستاذ ان يكون نسخة طبق الاصل . هذا ما ذكرته من البداية ولم يكن هدفى ان احطم عبدالوهاب ولكن كان هدفى أن احتفظ لنفسى بشخصيتى وان احتفظ ايضا بشخصية كل جيلى معى .. محمد الموجى . كمال الطويل اننى رفضت أن يحتكرنى الاستاذ حتى لا اخون جيلى .. وتعلمت من الاستاذ حتى يعرف جيلى كيف يعمل التلميذ ليحفظ شخصيته دون أن تذوب منه .



نعم أحببت سعاد حسنى ولكن..!

الذى كان بينى وبين سعاد حسنى هو الحنان ..
انها عاشت مثلى طفولة غاية فى القسوة وعلمتها كيف تختار حياتها ..
وعندما تمردت على صداقتى أحسست انها نضجت .



كانت شمس ذلك اليوم هادئة ·· وكانت صحتى جيدة ، وكان النور يدخل الى الحجرة بدفء غريب ، وكان التفاؤل يملأ النفس بهذا الاشراق الخاص الذى يدفع الانسان الى الابتسام ، وخرجت الى الشرفة · نظرت الى وردة تنمو فى حوض صغير للورد · كان الحوض المعلق فى شرفتى من الصينى المنقوش · حاول من صنعه أن يودعه سرا من اسرار الحياة · وكانت الوردة التى فى هذا الحوض وحيدة ونضرة ، وكانت أشواكها قوية · امتدت يدى الى أشواك الوردة الجميلة وجدتها هشة جدا ·· حزنت للحظة ·· ان هذه الوردة لا تجيد الدفاع عن نفسها ·· ان شوكها ليس قويا قويا كما يجب ·

امتدت يدى الى جرائد الصباح ، وجدت صورة لفتاة جميلة اسمها سعاد حسنى · عملت فى السينما فى فيلم واحد اسمه « حسن ونعمية » من تأليف وانتاج واخراج رجل يبدو كمخزن للفن وضحكته تحوى مأساة ما · اسمه عبد الرحمن الخميسى · وحاولت ان اعرف عنها اكثر · عرفت انها اخت نجآة الصغيرة · أدرت عيونى الى الوردة مرة اخرى · لا أدرى لماذا

ارتبطت سعاد حسنى بتلك الوردة • انها فى حوض زهور • ســألت : لماذا لا تعمل سعاد فى السينما ؟ •• وقابلنى سيل من الاتهامات على لسان من اسأله : « انها تحتاج الى اعادة تصوير المشهد اكثر من مرة • انها لا تجيد الوقوف أمام الكاميرا • انها •• انها » احسست ان هذا كله مجرد حواجز لابد من ازالتها • حواجز كسل من المخرج • عدم صبر من المنتج • الرغبة فى سلق كل شىء •• تلك الرغبة التى تنتاب السينما المصرية كثيرا •• فلا يفكر من يعمل فى السينما المصرية فى الانسان الذى سيشاهد •• انما يفكر فى شــــكل الاوراق المالية وحركتهـــا ، ويظـــل يجمع ويطرح ويضرب ويحســـب ما مكسبه أو خسارته •• لذلك يفقد القـــدرة عـــلى الرغبـــة فى الاجـــادة وتكون النتيجة عملية حســـابية بســـيطة يجيد حلها تلميذ ابتدائى ولا تســـعد المتفرجين • وعنـــدما دخلـــت ميدان الانتـــاج السينمائى قلت لنفسى : هذا الاسلوب من العمل مرفوض • وانا دخلت ميدان الانتاج لا من اجل مزيد من النقود •• فالغناء وحده يكفينى •• لكنى كنت أريد أن أتحرر من سجن عمليات الحساب البسيطة هذه ، وانا لا افكر فى شكل الاوراق المالية الا عندما أصرفها وليست النقود هى كل الحياة • والممثل والمغنى والفنان لا يفكر فى النقود الا بالقدر الذى يضمن حياته فى مستوى جيد ويفكر قبل ذلك فى سبب وجود هذه النقود • انه الانسان الذى يتعب ويكدح ويشقى ويدخل اخيرا السينما أو يستمع الى الغناء ليرفه عن نفسه • ليغسل احلامه من الارهاق • بهذا المنطق دخلت شركة صوت الفن الى مجال الانتاج فى السينما •• وكان الفيلم هو البنات والصيف • ورشح المخرج زيزى البدراوى للبطولة •• وكان الدور الثانى هو الذى رشحت أنا فيـــه سعاد حسنى • وبدأ التصوير • زيزى البدراوى تمثل بسهولة فنانة جيدة • وسعاد حسنى يعيدون لها المشهد اكثر من مرة • يصفقون لزيزى البدراوى وهى تمثل ، ويجبرون سعاد على أن تعيد المشهد • كنت اشـــعر أن هناك من يغيظنى باعادة التصوير لسعاد • كنت اصفق لها عندما تجيـــده • أحسست يومها برائحة صداقة جميلة تولد •• ومن كثرة الاتهامات التى وجهها الناس الى الوسط الفنى انحصر تفكير العامة من ابناء هذا الوسط بأن المعنى الوحيد لكلمة الصداقة هو استغلال الرجل للمرأة واعلان ملكيته لها بكل ما فى هذا المعنى من حقارة • وان صداقة المرأة بالرجل فى الوسط الفنى فيها ضحك على عقل الرجل واستغلاله بكل ما فى ذلك من حقارة • وكنت لا أرى الصداقة بهذا المنظار ولم تكن سعاد تنظر اليها بتلك العيـــون • كانت ظروفها القاسية تجعلها تشعر بالوحدة وان الصداقة انقاذ من الوحدة •

وكانت ظروف مرضى تجعلنى احب الحياة اكثر • تزيد من الرغبة فى القضاء على كل متاعب الحياة بالنسبة لى أو بالنسبة الى غيرى • وكانت صداقتى بها منبعها ثقتى التى لا حد لها بأنها موهبه ذات ذكاء فطرى وأن المطلوب هو صيانة هذه الموهبة من كل ما يحيط بها • تماما كما هو مطلوب لى أن اهزم المرض الذى يفتت بآلامه معدتى ويجرح رغبتى فى الصحة بالنزيف الذى يهددنى •

وأنا اعرف معنى التشتت فى الطفولة • اعرف معنى عدم وجود استقرار فى بيت واحد • اعرف معنى الغربة فى الوجود فى منازل الآخرين • حكاية معروفة • طفل يتيم • فقد الام والاب • تربى عند الخال • رفض شفقة الآخرين • طلب الصداقة مع الناس • حاول أن يقدم لهم احلى ما عنده • كان صوتى هو احلى ما عندى • قدمته للناس وهزيت به من تلال الاحزان التى تحيطنى •

وأنا اعرف ايضا معنى التشتت فى طفولة سعاد • الاب طلق الام • الام لها زوج قاس • الاب له ابناء صغار • الكل يبحث لنفسه عن النجاة • ونجاة الصغيرة تحزمأمرها مع الغناء وتكفل علىقدر طاقتها الرعاية للاسرة • ونجاة قوية الشخصية الى الحد الذى تستطيع به أن تمنع احدا من استغلالها • وذكاء سعاد يكشف لها من يستغلونها لكنها أطيب من أن تقول لا • تتعرض الى الاستغلال وهى تفهم أنه لابد من نهاية • يجرحها أن يستغلها أحد وتنزف الدموع فى صمت وتضحك عندما تلتقى بصديق وينام فى اعماقها ايمان بأن لكل شىء نهاية ولابد أن يكون هناك حل • وابتسامتها تضىء وجهها وعيونها تبرق بالامل ، وتمثل بانطلاق • موهبة حقيقية •

وبدأت أدير دفة الصداقة فى مواجهة المشاكل التى تتعرض لها سعاد • كان المستقبل امامها فسيحا وتتأثر باى اشاعة وتتعلق باقرب ذراع يمتد اليها لينقذها من المتاعب • وقالوا عنها انها « خفيفة » وانها « مندفعة » • وكنت أحس انها صادقة ونقية وتريد أن تتعلم أن الحياة هى غابة الايام •

بدأت اقدم لها الكتب • سلامة موسى هو الرجل العاشق البسيط للعلم • يريد أن يقدمه فى جملة سهلة •

وكان هذا هو أول نافذة فتحتها سعاد حسنى فى تفكيرها لتطل على جمل سلامة موسى السلسة السهلة • وبدأت تقرأ بشهوة المعرفة • انها تريد أن تشغل نفسها •• اندفعت الى كتب سلامة موسى قرأتها • اندفعت الى كتب مصطفى محمود • عرفت ما فيها • عندما يستعصى عليها شىء تسأل • انها

تملك جراة السؤال ولا تدعى التعالى ومعرفة كل شيء • ان ذلك لا يجرحها بل يزيد من تساله تقديرا لها • وكانت تسال كامل الشناوى واحسان عبد القدوس وتسالنى • وكنا نقول لها ما تريد أن تعرفه •

ولاحظت أنها تعيش بفوضى • والفوضى فى الفن يمكن أن تقتل الفنان • والفوضى فى الحياة يمكن أن تنعكس على عمل الفنان • والفوضى فى طريقة الملبس يمكن ان تجعل الفنان غير انيق رغم انه يلبس اغلى الملابس •

وكنت احاول ان اكون معها • اننى وحيد • ان حبيبتى ليلى التى حكيت حكايتها كانت تذوب من مرض الموت ، وليلى كانت منتهى الذوق • انها علمتنى كيف يمكن ان تكون المرأة جميلة ببساطة بلا كلفة • بلا دندشة • وبدأت انظر الى سعاد بعيون ليلى • بدأت اختار معها الوان الفساتين • بدأت اناقش معها الموضة • ما يناسبها وما لا يناسبها وميزة سعاد تتالق فى مناقشة • انها لا ترفض ما تحس انه يفيدها • انها تسعد بمن يقول لها رأيا مفيدا وتنفذ رأيه • انها لا تعتبر ذلك ضعف شخصية • بل هو احد مصادر قوتها وهذه صفة نادرة فى امراة تلمع بسرعة الشهب لترتقى الى مصاف النجوم •

وكانت سعاد تتصرف بتلقائية • وتلقائيتها تسيء اليها • وبدأت أتدخل فى حياتها بالقدر الذى تسمح لى به الظروف • كنت اريد حمايتها من نفسها • احيانا كنت انجح فافرح • احيانا كنت افشل فاحزن •

وكانت شكواها الدائمة التى لا تنطقها هى الخوف • انها خائفة من الفشل • خائفة من الوحدة • لذلك فالتليفون دائما كان مشغولا • سعاد تحاول أن تتصل بالعالم • أن تقطع الوقت ، ان تقتل الوحدة • كنت احيانا أزورها بعد منتصف الليل • فى الرابعة صباحا • لأن هناك مشكلة تريد أن نناقشها ، وكانت تزعجها دائما الشرور التى يطلقها الآخرون حولها فى شكل اشاعات وفى شكل محاولات لقتلها وفى شكل محاولات لاستغلالها بشتى الطرق والوسائل ، وكنت انا اكثر الناس قسوة عليها عندما بدأت تندفع ناحية تمثيل اى فيلم •

وبدأت اقرأ معها السيناريوهات التى تعرض عليها • تعترض احيانا لحجم الدور • تعترض احيانا على الدور الصغير • عقدة كل الممثلات انها لا تريد الا أن تكون النجمة الاولى ، وبدأنا نتشاجر • وبدأت تقتنع أن المهم فى الممثل أن يؤدى الدور والا يخنق نفسه فى قالب ما •

وكانت رحلة المغرب الشهيرة • الرحلة الوحيدة التى سافرت فيها مع

سعاد • كانت صداقتنا قوية وبلا حدود • احترام لا حد له وتعاطف لا حد له • لكن كلمة الحب لم تأت سيرتها • لم تدخل حتى حوارنا • كلمة الحب تسللت فى الاشاعات • بدأ الوسط الفنى يشغى بدبابير الكلمات •

وكنت أفكر بينى وبين نفسى أن هذه الاشـــاعات قد تفيد سعاد وقد تضرها •• لكنها لن تفيدنى ولن تضرنى • ووقفت بكل قوتى ضد الاشاعات حماية لسعاد •

●

أعصاب سعاد حسنى خفيفة •• يمكن أن تثار بسرعة • بسرعة تفرح •• بسرعة تغضب قلبها يعلو بالسرور أو يدق بالغضب والمسافة بين الاثنيــــن بسيطة • تسعد بأقل لمسة •• وتشقى بأقل بادرة اهمال • وكنت احيانا اراها غاضبة بلا سبب • أكاد أقول اننى وحدى الذى يفهم هذا الاحساس • أن يكون الانسان موجودا وسط آخرين ويملؤه الاحساس بالوحدة •• أن تنمو وسط الخيال أحاسيس قديمة مؤلمة •• اقتربت مرة منها وسألتها :

مالك •

جاء صوتها من قالب الاسى :

ــ أبدا •• الواحدة بتفتكر ايام زمان •

ــ ايام زمان مالها ماهى كويسة خالص •

ضحكت ••

ــ كويسة جدا •• جدا •• تصور ايام زمان كانت كويسة قد ايه •• كنت أروح المحكمة علشان احضر القضايا المرفوعة بين بابا وماما كل واحد يطلب منى انى اقول للقاضى كلام وكنت أوافقهم هما الاتنين •• واقف قدام القاضى وانا خايفه جدا •• وجو المحكمة نفســـــه كئيب • ووجه القاضى المستعجل الى عايز ينهى القضايا الى قدامه •• وعندما اقف أمام القاضى •• فانا أقول الحقيقة • اقول ما أحس به وهى غير ما قـــاله لى بابا •• أو قالته لى ماما •• وتكون النتيجة علقة ساخنة •

وعندما كنت اعمل فى برامج بابا شارو •• كنت افرح بالعمـــل لانه سيريح ماما من الجلوس امام ماكينة الخياطة •

ماتشعر به سعاد قاس بالفعل • الماضى احيانا ينشب اظافره فى عنق الحاضر فيلغى الاحساس بالسعادة •

ــ ايه ياعبد الحليم •• هو انت صحفى •

وأسال سعاد •• عما تحلم به •• فتضحك •


professional



— ابدا بس نفسى اعمل اى حاجة تعجبك ٠ "

كانت صداقتى بها تسمح لى بأن أقول لها ذلك دون أن يحدث أى التباس فى رأسها ٠ الصداقة احيانا تكون مليئة بالحنان ٠

تقول سعاد :

— أبدا كان نفسى اعيش وأنا صغيرة فى هدوء ٠٠ وطبعا مستحيل أرجع صغيرة تانى واختار حياتى تانى ٠

وتصمت سعاد ٠٠ وتجرى على التليفون لتسأل عن اخوتها ٠ ان فيها ميزة رائعة هى الوفاء لاسرتها ٠ انها تحاول ان تغسل من اعماق الاخوة هذا الاحساس القديم ٠٠ عندما وقع الطلاق بين الاب والام اصبح على الاخوة أن ينتقلوا من بيت الاب الى بيت الام على حسب آخر حكم قضائى حصل عليه الاب أو الام ٠٠ وكانت سعاد تميل الى ان تعيش مع امها ٠ لكن الوالدة تخرج فى الصباح من منزل صغير فى باب الشعرية لتمارس عملها كخياطة ملابس باليومية وعلى سعاد ان تجلس هى واخوتها فى المنزل فى انتظار عودة الام ٠٠ وعندما تعود الام تسهر طول الليل فى العمل فى انهاء خياطة الفساتين التى لم تنته ٠ واحيانا كانت الام تأخذ سعاد واخوتها ويتكوم الثلاثة : سعاد ، كوثر ، صباح ، فى ركن الحجرة التى تعمل فيها الام ولا ينطق احدهم بكلمة ٠

وعندما يستصدر الوالد حكما قضائيا بضم الاولاد يأخذهم الى بيته ٠ تزوج كثيرا ٠٠ خلف كثيرا ٠ عدد ابنائه ١١ ابنا ٠٠ مسألة مثيرة ٠ تلعب سعاد مع أخوتها ٠ يبدأ الاب فى ضرب الاطفال جميعا لاى خطأ يقع من أى واحد منهم ٠

وأروع ما فى سعاد حسنى انها لاتنكر ذلك ، واستفادت من هذه التجارب ٠ واستطاعت أن تعوض اسرتها كلها عن الحنان المفقود ٠ قامت برعاية الام والاخوة ٠ كانت تهتم بهم كانها هى الام ٠ وكان ذلك يثير الاعجاب والاحترام والتقدير ٠

وفجأة فى أحد أيام اغسطس عام ١٩٦٥ ٠ خرجت اختها صباح لتسافر الى الاسكندرية ووقع لها حادث فى الطريق ٠ ماتت ٠ بكت سعاد ٠ صرخت انها تكره الموت ٠ انها لم تكن قد وضعت فى حسابها ان أحدا من الذين عاشوا الشقاء يمكن ان يموت قبل أن يستمتع بحياته ٠ واصبحت تخاف من المنزل ٠

واحيانا كانت تأتي لتنام مع بنات اسرتي • واحيانا كانت تنـــام في منزلها وتضيء كل الحجرات • وآلمني في هذه الفترة ازدياد اشاعة اننا غارقان في قصة حب •

انسانة رقيقة تنمو • وانا انسان يفهم جيدا معنى ان يتعذب الانســـــان بتاريخ حياته •

مازلت أذكرهذا الحوار بيني وبين حبيبتي ليلى عندما قالت لي « سعاد بنت دمها خفيف تقدر تسعدك » وكان الجمال يذوي من ليلى • وكان المرض يفترسها وكنت لا أفكر في امرأة أخرى غير ليلى • في هذه اللحظـــات كنت اتمنى ان ادفع كل ما املك أي ما يملك العالم كله لتعود ليلى بصحة جيـــدة لنكمل مشوار الحياة • حاولت ان ابتسم في وجه ليلى لاقـــول لها حاضر • وكانت معنى كلمة حاضر غريبة على اذني • للمرة الاولى التي أقول فيهـــا كلمة اتعجب لاني قلتها •

لحظتها فكرت فعلا في سعاد حسني كزوجة •• أنا احتاج الى انسانة كسعاد • يكون احساسها بالوحدة أقل من احساس سعاد • تكون أقـــل انشغالا من سعاد • أن سعاد أمامها المستقبل وأنا قلبي مجروح بليلى التي تفارقني بلا سبب •• لم أكن استطيع أن اصدر قرارا لقلبي أن أحول صداقتي لسعاد الى حب كان شاهد هذه الصـــداقة بيني وبين سعاد حسني •• الفنان عدلي فهيم •• صديقي •• وصديقها •

بدأت سعاد تستقل بآرائها •

بدأت سعاد تختار لنفسها الافلام •

بدأت اشواك الوردة تقوى وتحمي نفسها بنفسها •

بدأت سعاد تعرف من تصادق ومن لا تصادق •

وكنت ســـعيدا •

أحسست أن سعاد بدأت تقلل من اتصالاتها بي • لم اتعجب • تلـــك سنة الحياة •• أحسست انها تتمرد على صداقتنا • لم اندهش • أن باب قلبي مفتوح للصداقة يدخل منه من يريد • يخرج منه من يريد •

مضت ثماني سنوات لم ار فيها سعاد حسني • حدث أن رأيتها اثنـــاء تسجيل احدى اغنيات وردة • كان « خلي بالك من زوزو » قد حطم الارقام القياسية العادية للفيلم المصري •

كان قد وصل الى عدد من الاسابيع يساوي عدد الاسابيع التى قضاها «ابىفوق الشجرة» شعرت ان سعاد أصبح يشوبها شيء من التكلف • شيءمن عدم البساطة • حزنت •• تمنيت الا يكون لقاؤنا في ذلك اليوم قد تم •

دخلت في ذلك اليوم الى شرفتي • أعدت النظر الى حوض الـــورد • وجدت ساقا قوية وخشنة والوردة مقطوفة • وجدت حوض الورد نفســـه مشروخا • ناديت عبد الرحيم الذى يشرف على تنظيف هذا المكان •• وصرخت فيه :

ـ لماذا لم تخلع هذه الساق •• ولماذا لم يتم اصلاح هذا الحوض •

وقال عبد الرحيم :

ـ حاضر •

ولم يكن عبد الرحيم يعلم ان للوردة الوحيدة التى نمت فى هذا الحوض قصة فى حياتى •




INNOVATION

كلوديا كاردينالى تتحدّانى فى الحب والسياسة

عندما جمعت حقائبى لاسافر الى لندن للعلاج ·· قررت ان اتصل بكلوديا كاردينالى ·· لأنها أخرجت لى لسانها مرة ·· وانا اريد ان أخرج لها لسانى مرة آخرى لقد انتصرنا ··





الحب هدف الانسان من الحياة • والجنة ايضا فى الاخرة يدخلها من يعرف قيمة الحب • وهناك خيال فى قلبى هو أن الله خلق الإنسان ليعلمه الحب • وهذا الاحساس بأن هناك آخر يهتم بك وانت تهتم به هو الذى يجعل للحياة معنى ويجعلك تنتظر الصباح وتنتظر الغروب وتملأ ساعات النهار حركة • والحب ليس هو الاحساس الغامر بأنك مشتاق لاحد فقط ، ولكن هو المدرسة الحقيقية التى يتعلم فيها الانسان كل شىء لدرجة أنه يخيل الى أن الاشرار بطبيعتهم لم يعرفوا الحب ولم يتعلموا منه وانهم انكسروا عاطفيا ولم يعلمهم هذا الانكسار سوى الحقد مع أن انكسار الحب فى اى قلب قد يجعل القلب رحبا وكبيرا ويحلم بسعادة الآخرين •

لماذا اكتب ذلك الآن ؟

اكتب لانى دخلت على خالتى هذه السيدة الطيبة الباقية لى من رائحة أمى سمعتها تدعو لى •

لقد سمعت من ابنتها فردوس اننى استعد للسفر لاجلس فى المستشفى واجرى عملية حقن الشعيرات الثالثة • وحقن بقية الشعيرات الدموية التى

يهددها النزيف ٠ واخجل من القول اننى اعيش طوال الشهر الاخير وانا فى منطقة الخطر ٠ فقد فات ميعاد حقن الشعيرات بأكثر من خمسة واربعين يوما لكن هل يتخيل مصرى واحد ان يسافر ليجرى عملية جراحية احافظ بها على حياتى ومصر كلها تعبر والرجال ترفع العلم والرجال تستشهد والرجال تزيل أحاسيس المهانة التى علقت بنا جميعا من ايام يونيو ١٩٦٧ ٠

لقد سافرت بعد يونيو ١٩٦٧ الى أوربا ووجدت أن فى العيون شيئا هو الرثاء ٠ هو الشفقة ٠ هو احساس الآخرين باننا متطفلون على الحياة ٠ لم يكن احد يستطيع أن يسمع الكلمات ٠ كانت كل الكلمات تقريبا متشابهة ٠ تقريبا فارغة ٠ كان كل شيء أصبح باهتا وكان لابد من حل ٠ كان الحياة نفسها كانت تتأجل ٠ أذكر اللقاء الخاطف بينى وبين كلوديا كاردينالى كنت أدخل أحد المسارح فى باريس ٠ الليدو ٠ الشانزليزيه ٠ هناك ثمانية من انهار الضوء فى هذا الشارع ٠

كانت تعرفنى جيدا ٠ كنت أعرفها جيدا ٠ منذ عدوان الخامس من يونيو وانا لا أقتحم احدا فى الخارج ٠ كنت قبل ذلك اسلم على من أعرف ٠ أسأل على من أعرف ٠ أنا أحب الناس ٠ هذه حقيقه ٠ وانا واثق فى أن من يحب الناس يحبه الناس ٠ لا ادرى سر ذلك الخجل الذى كان يغطى النظرة وملمس اليد وهى تصافح ٠ كان هناك من فرض على الانسان ان يعتذر بلا سبب ٠ كان لقائى بكلوديا كاردينالى هذه الفتاة الجميلة العفوية التى تعرف جيدا ان الانسان العادى يحلم بالحب وبالوجبة الدافئة وبالحياة السهلة وباجازة عطلة الاسبوع دون تكدير ٠ ولكن التكدير فى كل مكان ٠ وعلى حد كلماتها : « لماذا تبدو الارض وكأنها كئيبة لا تحس ان سكانها يطلبون الحب وكلهم عطاش للحنان ٠ اننى لا افهم ٠ ولانها لاتفهم ولأنها جميلة ولأنها حائرة اصبحت معبودة الشاب العادى فى أوربا ٠

والتقت عيوننا ٠

أحسست انها تقول لى : « الم نلتق فى فينسيا » ؟ ٠ بالفعل التقينا هناك ٠ اتجهت نحوها ٠ سلمت بحرارة ٠ قالت :

ــ أهلا بصوت السويس ٠

أحببت الكلمة ٠ السويس وسام من ينال هذا الشرف ٠؟ كأنى سافرت لحظتها من باريس الى السويس ٠ جبل عتاقة يلون الافق بالوان زرقاء وبنفسجية ورمادية وحمراء وبيضاء ٠ يبدو كل شيء حقيقيا تماما فى هذه

المدينة . وجوه الناس . مصانع تكرير البترول . المباني . القناة . البحر . الكبائن . بيوت بور توفيق . ذهبت هناك اغني للجنود . كانت عيونهم تقول أن ١٩٦٧ يونيو كانت فخا . تآمر العالم كله على طيبة الانسان المصرى استطاعت اسرائيل ان تضخم كذبها . الارقام التى اعلنوها فى باريس أن اسرائيل حشدت اضعاف ارقام الجيش المصرى . الحقائق اعلنوها فى باريس انهم استخدموا العقول الالكترونية فى رسم الهجوم على القوات المسلحة المصرية . كان لى صديق فى العريش عندما وصله أمر الانسحاب احس انه أمر مغشوش . فظل يقاتل ويقاتل ولم يستطع احد ان يقتله . واستطاع أن يعود وكان يحكى عن هجومهم ويقول : « انه فخ » .. كان صديقى المقاتل يجلس فى الصفوف عندما كنت اغني للجنود . قلت لكلوديا :

ــ أهلا . متى تزورين مصر ؟

قالت :

ــ انني ازورها الان على الورق . انني احاول ان افهم سر المرأة المصرية الجميلة . انهم يقولون انها جذابة وجميلة للغاية . وأنا اقرأ عن فن التجميل عند المرأة المصرية القديمة انها بالفعل رشيقة فى رسوم جدران المعابد . ان كل من زار المتحف المصرى يحكى عن جمال الألوان التى استعملتها المرأة المصرية للميكياج . ثم الرشاقة .

ضحكت قائلا :

ــ تقصدين ان المصرية تجيد فن الاغراء ؟

قالت بجدية وطفولة :

ــ ان المصرية لا تدرس الاغراء كفن . لانه جزء من طبيعتها . انها أخذت من النهر خصوبته ان الطمى يغذى الارض . حسنا . انا أومن أن ما يغذى الارض يغذى الانسان ايضا . والمرأة اخذت من الطبيعة سحرها . ويقال ان الطبيعة عندكم دافئة جدا . كما ان أخطر الوان الاغراء هو الذى يبدو عفويا . ويقال ان هذا ايضا موجود فى المرأة المصرية . كما أنها أول من اكتشف ان البرقان كالانغام يثير انتباه القلب وينعش الاحاسيس بالدفء وانها أول امرأة استخدمت البرقان . وهى ايضا أول من عرفت أن ما يناسب جمالها لا يناسب غيرها وانه لم توجد انسانة مصرية تقلد انسانة اخرى فى الجمال . انها وصلت الى السر الخالد بان لكل امرأة شخصية .





احسست ان كلوديا تحاول أن تبتعد عن الاحساس الجارح ، وهـــو الوضع فى هذه المنطقه الحساسه من العالم • أحسست انها تحاول ان تحصرنى فى موضوع ضيق • كانت الاذاعات والتليفزيونات الاوربيه كلها تتحـــدث عن عبقرية العسكرية الاسرائيلية • كانت هناك معركة بينهم وبيننا • وكعادتهم يقلبون كل شيء • كانت معركة شدوان ترسم طاقة الانسان المصرى على التحدى • وكانوا يقولون العكس • وكان كل شيء فى اوروبا يحاول أن يجعلنا نعتذر عن كل شيء • وكان ذلك قاتلا للاعصاب • قلت لكلوديا :

ــ والانسان المصرى يفهم تماما الجمال لانه يحب الحياة • ويعـــرف الدفاع عنهــا •

علا وجه هذه الفنانة الضيق وقالت :

ــ انت تريد ان تقول لى ان المصريين محاربون والاسرائيليين يمـــلاون الدنيا ضجيجا بأنهم محاربون وانا أصدق أن مصر ذات حضارة عظيمة واصدق أيضا أن السلام يجب أن ينتشر فى العالم • لا يهمنى من انتصر ومن انهزم •• يهمنى أن يعيش الكل فى سلام •

وقلت :

ــ هل تستطيعين الحياة فى سلام واحد جيرانك يريد أن يلوى ذراعك كل صباح قبل أن تخرجى من منزلك ؟

صرخت :

ــ هذا فتوة ويجب أن استدعى له البوليس •

قلت :

ــ واذا كان البوليس متفقا مع الفتوة ؟!

ــ الانتحار أفضـــل •

قلت :

ــ وان تضربيه على رأسه حتى يفيق فهذا أفضل من الانتحار •

قالت :

ــ ولكن ذلك مستحيل لانى ضعيفة ولا أقوى على أن أضربه بمفردى •

قلت :

ــ ولكن مصر ليست وحدها ان معها بقية الجيران •• الامة العربية •

قالت :

ــ هذه هى الكلمات التى تتردد عندكم ولكن الواقع مختلف •• الواقع ان كل واحد يبحث عن مصلحته •

قلت :

– أنا كما تعرفين مطرب ، ولقد غنيت في كل بلاد العـــرب ، مصر ، المغرب ، السعودية ، اليمن ، الكويت ، العراق ، دمشق ، بيروت ، ليبيا الجزائر ، تونس ، غنيت في كل العواصم العربية ، وعندما اغني للحـــرب واغني للانتصار فانهم يستمعون بنفس الحرارة التي يســـمعون بها اغاني الحب ، وهو موقف مختلف تماما ، تصـــوري هناك افكار في أوروبا عن الوحدة الاوربية ، ولكن لا أحد هنا يجد مشاعر متدفقة حول موضوع واحد . قد ينفعل كل الاوروبيين بأغنية حب لكن لاتوجد أية انفعالات أوربية نحو أمل أوروبي ، ونحن اذا كنا نضع أهدافنا في مستوى الحب في حياتنا فنحن اذن نملك القدرة على الوحدة .

قالت :

– الكلام مقنع .. ولكن .

واقترب من كلوديا صحفي باريسي وكان الحديث بينهما عن ميكانيكا الحياة ، كيف تحول كل شيء الى صناعة وكيف ان الرشاقة نفسها اصبحت صناعة وأن لقاء الحب أصبح مهنة لها متخصصون .. وأن كل شيء فسد وان المطلوب للانسان هو لحظة عفوية يعيش فيها حرا بعيدا عن سجون الاعـــلان وسجون التجارة وسجون البضـــائع ، وكانت كلوديا تتكلم كنائرة جميلة صغيرة سن تريد أن تقول ان الحياة لابد أن تكون اكثر جمالا مما هي الان .

وكنت أفكر في الكلمة الاخيرة من كلماتها :

– الكلام مقنع .. ولكن .

مضت سنوات على هذا الكلام ، والآن قد حدث التنفيذ ، أريد أن أرى أوروبا الان .. ماذا ستقول كلوديا كاردينالي ! ماذا سيقول الانسان الاوروبي العادي ، ماذا ستقول المرضة حين التي كانت تقول :

– لماذا لاتسمع الكلام ايها المصري؟ ان حجرتك مزدحمة بالضيوف وانت محتاج الى الراحة ، لماذا لا تسمع الكلام ؟!

وسمعت صوتها وهي تقول لزميلة لها :

– انهم من كل بلاد العرب يحضرون هنا ويتكلمون كثيرا في السياسة . متى سيذهبون الى عصر صناعة السياسة بدلا من الكلام في السياسة .

ولم استطع أن ارد عليها ، كنت في غاية الالم لان هناك انسانا عربيا فاقد البصر حضر من آخر انجلترا وجاء يقول انه يعرض على أن يتنازل عن كبده حتى يضمن لي الشفاء ، وكان يتكلم بمنتهى الجدية والهدوء ، وكنت

مشدود الاعصاب • غارق فى مشاعر كرم هذا الانسان الذى لايرى ويريد أن ينقذ انسانا آخر • قلت له اننى عاجز عن شكره واننى اتمنى أن اسعد كـــل الناس • واننى لا اجد كلمات اعبر بها عن احساسى برغبته فى التضحية من أجلى وبكيت • بكيت تأثرا • هنا دخلت جين فقلت لها : سمعت ما يقوله هذا الانسان العربى • انه يريد ان يضحى بكبده من أجل انسان آخر عربى مثله فما بالك عندما تطلب منه أمته أن يعطى • سيعطى الكثير • وهذا العطاء هـــو الذى يصنع السياسة • ونحن نتكلم فى السياســـة ولكننا قادرون على أن نصنعها •

احمر وجه « جين » وقالت : « آسفة » • قلت لها •• انا الذى اتأسف لك لانك كنت تتكلمين بصوت عال جدا مع زميلتك ولم اكن استطيع أن اسد أذنى عن سماعك •

ماذا تقول جين الآن ؟

منذ السبت ٦ اكتوبر • كان المفروض ان اسافر يوم ١٠ أكتوبر وكان المفروض ان اكون فى المستشفى لاجرى الفحوص • لكن القوات المصرية قامت باجراء أخطر عملية جراحية لنا جميعا • استطاعت ان تستأصل اليأس من كل النفوس وان تعيد الامل لكل انسان •

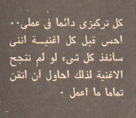
لقد عشت هذه الاسابيع وانا انتقل بين استديوهات الاذاعة وبين المنزل واجتمع مع مؤلفى الاغانى واناقش كمال الطويل والموجى وبليغ فى الالحان • واجد نفسى غارقا فى مناقشات سياسية • لقد أصبح للكلمات معنى آخر • أصبح كل شىء كما كنا نحلم به • أصبح كل شىء كما كنا نتمناه •





..وهذه هى
أدق
أسرار حياتى





كل تركيزى دائما فى عملى..
احس قبل كل اغنيـــة اننى
سأنفذ كل شىء لو لم تنجح
الاغنية لذلك احاول أن اتقن
تماما ما اعمل .



عندما يسالنى انسان ٠٠
ـ من أنت ٠٠

فللحظة واحدة ٠٠ احتار قليلا ٠٠ قد أفكر فى ان أقدم له بطاقة شخصيتى ٠ قد أتساءل للحظة ٠٠ ألم يعرفنى طوال هذه المدة التى حاولت فيها أن أقدم أحلى ما عندى ٠٠ الغناء ٠ لكن ٠٠ لماذا سالت أنا نفسى هذا السؤال ؟

لقد ألح على سؤال فى اعماقى ٠ يزورنى كل عيد ميلاد لى ٠٠ يزورنى قبل بداية الدخول الى المستشفى للعلاج ٠٠ يزورنى كلما هاجمنى النزيف يسيطر على عندما أفكر فى الحب ٠
ـ من أنا ٠

وحاولت أن أجيب على هذا السؤال بكتابة تاريخ حياتى ٠٠ ولكنى لم استطع بعد أن أضع كل الحقيقة ٠٠ الملامح الكاملة لكلمة « حياتى » ٠٠ وليس هذا انشغالا بنفسى عما يدور فى العالم ٠٠ فالحقيقة أن الانسـان جزء من العالم ٠٠ الى النهاية ٠٠ ولكن اثناء هذه الرحلة يحب الانسان دائما أن يقف

أمام المرآة واخطر مرآة حقيقية هى الورق والقلم عندما يكتب عن نفسه ٠

وكنت اقرأ منذ أسابيع مخطوط رواية لاحد الاصدقاء عن طبيب نفسى يحاول أن يتعرف على شخصيته ٠٠ يحاول ان يجيب على السؤال الصعب « من انا » ٠٠ وجاء فى الرواية العلمية اختبار تحترمه ابحاث علماء النفس فى أوروبا وأمريكا وروسيا ٠٠ يحترمه العلماء فى كل مكان اسمه « اختبار الشخصية لدراسة الشخصية المتعدد الاوجه » ٠٠ والذى وضع هذا الاختبار اثنان من كبار علماء النفس فى العالم هما « س ٠ ر ٠ هاثوه ى » و « ج ٠ ش ٠ ماكفلى » ٠٠ وترجمه الى العربية ثلاثة من العقول المصرية التى علمت اجيالا وهم جميعا من علماء النفس ٠٠ هم الاستاذ الدكتور عطية هنا ، الاستاذ الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل ٠ والاستاذ الدكتور لويس كامل مليكه ٠٠ الاختبار مكون من ٥٦٦ عبارة تحاول هذه العبارات أن تساعدك على التعبير عن فكرتك عن نفسك ٠٠ والمطلوب هو أن تجيب على كل الاسئلة والعبارات ٠

والآن الى هذه العبارات والاسئلة التى ترسم معالم فكرة الانسان عن نفسه ٠ واجابتى عليها ٠

١ – أحب قراءة المقالات المتعلقة بالميكانيكا ؟

• لا ٠٠ حتى السيارة التى أقودها ٠٠ أحبها سهلة القيادة ٠٠ وأحذر تماما وأنا أقود السيارة لانى لاأحب أن أقع فى حادثة ٠٠ لا خوفا على نفسى فقط ولكن لان أى حادثة قد تصيب انسانا اخر له احلام وامال فى الحياة ٠

٢ – شهيتى للطعام جيدة ٠

• قديما كنت آكل كل شىء ٠ كنت استمتع بالطعام ٠٠ الآن اتناول الطعام بمنتهى الحرص أقل كمية من الطعام تكفينى ٠٠ اننى اتذكر الان تلك الليلة التى كنت اتناول فيها العشاء فى احتفال الملك الحسن بعيد ميلاده ٠٠ وكنت فرحا وسعيدا ٠٠ وفجأة اشتهيت تناول قطعة لحم صغيرة بالصلصة المغربية ٠ مليئة بالشطة اصابتنى بالحموضة ٠٠ نسيت كل الحموضة من فرحتى بالليلة ٠٠ لم اكن اعرف أن هذه القطعة من اللحم ستكون هى النقطة الحاسمة التى بدأ عندها النزيف الخطر الذى نقل لى فيه تسعة لترات من الدم ٠٠ أى تغير دمى مرتين ٠٠ بعد ذلك أصبحت حذرا من الطعام لا اتناول الا ما هو مقرر لى ٠

٣ – استيقظ فى معظم الايام نشيطا ٠

• أحيانا٠٠ عندما انام مبكرا ويكون كل شيء على مايرام ٠٠ خصوصا بعد أي حفلة أغني فيها للناس ٠٠ هناك لحظة اتصال بالناس تجعل لكل حياتي بريقا محببا عندما اسعد آخرين ٠

٤ ـ افضل ان اعمل كامين مكتبة ٠

• لا ٠٠ لكني احب أن اقرا ٠٠ واتضايق جدا من بعض الادوية التي تسبب لي « زغللة » في العين تمنعني أحيانا من القراءة ٠

٥ ـ من السهل أن توقظني الاصوات من نومي ٠

• من السهل جدا ان توقظني الاصوات من نومي ٠٠ لان نومي خفيف للغاية وأوامر الاطباء تقرر انه لا داعي أن يوقظني أحد من النوم ٠٠ أقوم من النوم بمفردي عندما يعلن جسمي انه اخذ حقه من الراحة ٠٠ لكني املك القدرة على أن أقوم من النوم في الوقت الذي احدده لنفسي ٠

٦ ـ احب أن اقرأ قصص الجرائم ٠

• احيانا ولا ادري السبب ٠٠ ولكني احب أن أرى أسباب الجرائم التي ترتكب ٠٠ انها اسباب تافهة جدا ٠٠ واحيانا تكون هناك دوافع لارتكاب اكبر الجرائم ولكن لا ترتكب ٠

٧ ـ يداي وقدماي دافئة في العادة ٠

• يداي فقط هي الدافئة ٠

٨ ـ حياتي اليومية مليئة بما يثير اهتمامي ٠

• جدا ٠٠ حياتي مليئة جدا بما يثير اهتمامي ٠٠ في الدرجة الاولى شغلي ٠٠ والجمال ايضا ٠٠ الجمال يثير اهتمامي ٠٠ المرأة الجميلة ٠ السلوك الجميل الذي بلانفاق ٠٠ طبيعة الانسان عندما يفعل أي شيء جميل لكن لا أعرف لماذا تبدو الدنيا مليئة بالمشاكل لدرجة أجد نفسي مستثارا وعصبيا ٠٠ ثم في الاول والآخر مشاكل بلدي تثير اهتمامي ٠

٩ ـ قدرتي على العمل لم تتغير عما كانت عليه من قبل ٠

• زادت قدرتي على العمل ٠٠ خصوصا في النوع ٠٠ اعتقد أن طريقة الاداء أعمق ٠ لأن الحياة تعطي المخلص لعمله كثيرا من الخبرة وتزيد من قدرة الانسان على حب العمل ٠

١٠ ـ اشعر كان شيئا يقف في حلقي « اشعر بغصة » معظم الوقت ٠

• احيانا تمر امامي مشاهد اشعر بالاختناق امامها ٠٠ لحظة عناد بين

عاشقين يموت فيها الحب مختنقا ٠٠ لحظة نفاق يقدمها أحد لاحـــد وينسى المنافق ان من أمامه انسان مثله خلقهما الله متساويين فى الكرامة لكن واحدا يتنازل عن كرامته والاخر يقبل هذا التنازل ٠٠ وأنا من الناس الذين لايبكون أمام الموت ٠٠ لكن من الممكن ان ابكى عندما أجد لحظة حب صادقة ٠٠ الحب لحظة تبدو الحياة فيها جديدة نقية ، الانتصار العام لوطن كالحب ٠٠ لحظـة صادقة تبدو الحياة كلها جديدة ٠٠ ولا أخاف من الموت لان هناك احداثا مقررة فى كل الحياة ٠٠ الانسان يولد والانسان يموت وما بين الميـــــلاد والموت الانسان يختار الحياة ٠

١١ ـ يجب أن يحاول الشخص ان يفهم احلامه وان يتخذ منها دليلا يرشده أو نذيرا يحذره ٠

٠ احلام النوم أنا لا اعاملها بهذه الطريقة اننى أعرف أنها نتيجة ارهاق أو نتيجة معارك بين الانسان ونفسه أو نتيجة رغبات يتمنى تحقيقها وعلى هذا الاساس لاأدع الاحلام تتدخل فى حياتى ٠٠ ان هذه طريقة متخلفة فى تفسير الحياة ٠٠ ونحن فى عصر علمي متطور لا يجب ان نقتل حياتنا بجزء لا واع فى حياة كل انسان ٠٠ لذلك لا أعامل أحلام النوم بهذا الاسلوب ٠

١٢ ـ استمتع بقراءة الروايات البوليسية ٠

٠ نعم ٠٠ لانها علمتنى القراءة وكانت وسيلة أقضى بها الوقت وأتعرف بها على عالم الخير والشر وهى علمتنى ان الشر لايمكن أن ينتصر مهما بلغت حيله وذكاؤه ٠

١٣ ـ عندما أقوم بعملى أكون فى حالة توتر شديد ٠

٠ جدا ، لانى أضع كل تركيزى فى عملى ٠ تكون أذنى مع كـــل آلة موسيقية تعزف ٠٠ مع كلمات الاغنية التى اغنيها مع الجملة الموسيقية فى انسيابها مع اللحن ككل ٠٠ مع الجمهور الذى يسمعنى ٠٠ أكون ككتلة من الاحساس تريد أن تحقق ما هو مطلوب منها بشكل جميل ومليء بالحياة ٠٠ لذلك أكون خائفا جدا قبل بداية العمل ٠٠ لكن انسى الخوف واندمج فى الغناء وفى هذه اللحظات المليئة بالحيوية لانها لحظات عطاء جميلة ٠٠ ومعلوم تماما انه مطلوب منى طبيا ألا انفعل خوفا من النزيف ٠٠ لكن الصدق يعنى الانفعال وانا لا أضع ضوابط على نفسى وانا اغنى وأترك الأطباء يضعـــــون أيديهم على قلوبهم وأنا أضع اتكالى كله على الله واخلص لما أفعل ٠

١٤ ـ أصاب بالاسهال مرة فى الشهر أو اكثر ٠

لا أتذكر ذلك • لان ذلك عندما يحدث فالطبيب يقرر لماذا حدث والتحليل يكشف السبب والعلاج يتم •

١٥ ـ أفكر من حين لاخر في اشياء هي من القبح بحيث لا يمكـــن التحدث عنها •

• احيانا يحدث ذلك ومن ينكر هذا لايستطيع ان يكون انسانا •• ان كل ابن آدم في داخله قابيل وهابيل •

١٦ ـ لاشك في انني مظلوم في هذه الحياة •

• لا •• أنا غير مظلوم •• انا متوازن • الله يأخـــذ من هنا ويعطي من هنـا •

١٧ ـ والدي رجل طيب •

• أنا لم اره •• لكنني أثق انه انسان طيب •• أذكر ما قالوه لي أنه كان حزينا للغاية لان أمي ماتت لحظة ميلادي وأنه كان يبحث عني عندما يجلس للطعام لاكون معه واحيانا لايجدني •• فكان يمشي في حواري القرية ليجدني أزحف الى بيت عمتي زينب التي كانت ترضعني •• انني اتخيله طيبا لاننـــا نحن الاخوة نحب بعضنا جدا وهذا الترابط الاسري لاينتج الا في اسرة والدها طيب •

١٨ ـ قليلا ما اصاب بالامساك •

• لا احد يراقب نفسه الى هذه الدرجة الا الذي لايفكر الا في نفســـه فقط ولست من هذا النوع لذلك لا اعرف له اجابة •

١٩ ـ عندما اتسلم عملا جديدا احب ان اعرف من هو الشخص الذي ألبه في المركز •

• لا •• أنا احب أن اتعرف على كمية العمل وعلى نوعيته •• وهـــل هذا العمل يناسبني أم لا وهل سيظهر فيه مجهودي أم لا •• انني لم افكر في أن اخلف عبد الوهاب في الغناء •• لكنني كنت اتعلم من عبـــد الوهاب ومن الموسيقيين واتعلم كل لحظة ، أن التعلم صفة أساسية لكل انســـان يريد أن ينجـــح •

٢٠ ـ انني قانع بحياتي الجنسية كما هي الان :

• مسألة الجنس عندي تتشكل حسب الظروف النفسية احيانا أكون مندفعا بالرغبة والحب وأحيانا أصاب بالقرف ، وأنا مقتنع بحياتي الجنسية



التى تتراوح بين العطاء والشفافية وبين القرف والزهد ، أحب الانسان أكره الحيوان ، هذا ردى باختصار •

٢١ ـ احيانا تعاودنى رغبة شديدة فى أن اترك اسرتى وابتعد عنها •

• لا • لأن كلا منا تربى وفى قلبه حلم ان نجتمع لنعيش معا ، أهلى جزء من حياتى وانا جزء من حياتهم وكل واحد فينا شعر انه مسئول عن الاخرين هكذا نشأنا •

٢٢ ـ تنتابنى احيانا نوبات من الضحك والبكاء لا استطيع مقاومتها •

• لا • • لابد أن يكون هناك سبب •

٢٣ ـ اصاب أحيانا بنوبات من الغثيان •

• بحكم المرض يحدث ذلك ، واكرهه لانه بداية النزيف لكنى استطيع أن اتصرف لحظتها بمنتهى الهدوء حتى لا ازعج احدا ، اننى اتصل بسرعة بالطبيب وافكر فى الوسائل التى يمكن أن توقف النزيف •

٢٤ ـ يبدو انه لايوجد من يفهمنى •

• بالعكس انا واضح بالنسبة لكل من اتعامـــل معهم لا أحب أن اخفى شيئا فى داخلى •

٢٥ ـ اود أن اكون مغنيا •

• نعم كنت اود ذلك والحمد لله نجحت •

٢٦ ـ اشعر ، عندما اكون فى مأزق ، أن من الافضل لى الا اتكلم •

• احيانا افضل الا اتكلم ، اترك عملى يتحدث عنى أو اترك ســـلوكى يتحدث عنى ، واحيانا افضل أن اتكلم حسب الظروف وحسب احساس من حولى بى •

٢٧ ـ تسيطر على روح الشر فى بعض الاحيان •

• ليس هناك انسان تخلو روحه من افكار الشر ، الشطارة هى كيـــف يتغلب الانسان على تلك الافكار •

٢٨ ـ عندما يسيىء الى احد اشعر بأن من الواجب ان ارد الاساءة •

• أشعر أن هذا الشخص لايستحق منى أى شىء حتى ولا الاســـاءة ، مادمت انا لم أفعل له أى شىء فلماذا اجعله يستريح باساءتى له ، اننى اتركه يختنق باساءته لكن لو تمادى فانى أواجهه وأوقفه عند حده •

٢٩ ـ اصاب بحموضة المعدة بدرجة تضايقنى عدة أيام كل اسبوع •

الصفحة الأخيرة من هذا الفصل مفقودة

.. لم أعترض طريق أحد



كثيرا ما يقول المطرب الناشىء عبد الحليم يعترض طريقى .. وأنا اقول .. لا أحد يستطيع أن يعترض طريق موهبة حقيقية .



التفاصيل الصغيرة التى تحدث فى حياة الانسان لا يتذكرها جيدا • لابد ان تدق الاسئلة الكثيرة عقل الانسان حتى يفتح باب الذكريات •• انني احاول أن اتعرف على نفسى • كل انسان يريد ان يفعل ذلك •• وطوال رحلة كتابة مذكراتى كنت اشعر دائما ان هناك شيئا ناقصا •

بعض التفاصيل الصغيرة لا اعرفها عن نفسى • وعندما وجدت اختبارا من اختبارات دراسة الشخصية من كافة الوجوه فرحت به • أنه يضم اسئلة وعبارات يجيب عليها الانسان • يكمل بها معرفته لنفسه •

لماذا لا تمسك انت يا صديقى القلم والورق لتجيب انت أيضا على هذه الاسئلة والعبارات • لماذا لا تحاول أن تتعرف على صورتك فى مرآة من الكلمات ؟

هذه هى محاولتى انا •• أجيب فيها على الاسئلة والعبارات التى ترسم لى صورة حقيقية دون أى خداع •

• أفضل أن اتجاهل اصدقاء المدرسة أو المعارف الذين لم ارهم منـذ مدة طويلة الا اذا بادرونى هم بالكلام •

– لا •• بالعكس •• أنا الذى اسعى اليهم •• لان هذه الايام دائمـا لاتعوض •• من منا لايحلم أن يعود طفلا رغم صعوبة ايام طفولتى •

• ان معظم الذين يعرفوننى يحبوننى •

– تقريبا • اننى المس حبهم لى وافرح بهذا الحب •

• لاتكاد تنتابنى اية آلام فى القلب أو فى الصدر •

– الحمد لله •• لم يحدث ذلك ويكفينى ما أتحمله من أعباء المعـدة والكبـد •

• عندما كنت صغيرا فصلت من المدرسة •

– لا •• لم يحدث ذلك •• اننى كنت أحب التمثيل والغناء والمدرسة كانت تتيح لى أن اغنى وان امثل فكيف اسمح لنفسى بالتقصير فى واجبهـا لدرجة أن يفصلنى الناظر أو المدرسة كنت اخاف ذلك جدا •

• اننى سهل الاختلاط بالناس •

– نعم أنا احب الاختلاط بالناس جدا لانى احبهم واحب « العشرة » •

• اعتقد أن كل شىء يحدث وفقا لما ذكره الانبياء والرسل •

– الانبياء هم النور الذى دخل البشرية فى وقت كانت البشرية فيـه محتاجة الى الهداية ومن يعرف تاريخ الانبياء والرسل ويستفيد من اخلاقهـم ويطورها لتصبح صالحة لهذا العصر الذى نعيش فيه يستطيع أن يحقـق معجزات جديدة •

• غالبا ما اضطر الى أن اتلقى الاوامر ممن هو أقل منى معرفة •

– لا •• ليست المسألة مسألة أوامر ••لكنى مسـتعد ان اتلقى أى رأى يتعلق بعملى من أى نوع من الناس •

• لا اقرأ كل مقال افتتاحى فى الجريدة اليومية •

– فى البداية كنت لا اقرأ المقالات الافتتاحية لكن منذ ١٩٥٦ أحسست اننى كفنان يجب أن اكون مطلعا على كل شىء •

• لم اعش الحياة السليمة التى كان يجب أن اعيشها •

– لا أعرف الحياة التى كان لابد أن احياها •• أن حياتى التى عشتها أحبهـا ••

• كثيرا ما اشعر في بعض اجزاء جسـمي بما يشـبه الاحتراق أو القشعريرة أو التنميل أو التخدير •
ـ لا •• لا اشعر بذلك الا في فترات المرض •
• أثابر أحيانا على القيام بعمل ما الى ان يفقد الآخرون صبرهم معي •

ـ ممكن جدا ان يفقد من يعمل معي صبره واعصـابه • لانى أحب أن يكون العمل كاملا • قد لا اتحمل كلمة من أحد في وقت ما •• لكن بالنسبة للعمل فانا هادىء جدا •• صبور جدا •
• احب والدى •
ـ املك لابى وامى حنين الانسان الذى لم ير احدا منهما •

• ارى حولى اشياء وحيوانات وأناسا لايراهم غيرى •
ـ هذا سـؤال يسـأل لانسـان فاقد لعقله او واحد مكشوف عنه الحجاب ولست من هذا النوع أو ذلك النوع •
• اتمنى لو كنت سـعيدا كما يبدو الآخرون •

ـ كل انسان يتمنى السعادة • لكنى لا افكر في أن اكون سـعيدا كأحد أمامى •• ان معظم الوان السعادة تبدو كاذبة •
• لم يحدث لى تقريبا أن شعرت بألم في خلف عنقى •
ـ حدث ذلك اثناء مرضى الاخير وكنت في مسـتشفى اوكلانـد في اكسـفورد •

• افضل دائما ان اكون مع افراد من نفس جنسى •
ـ برضه كمان لما تبقى فيه ستات القعدة تحلو •
• أحب أن اجتذب افراد الجنس الآخر •
ـ لا أعرف • اصل المسألة ليست في أنى أحب ذلك • كل انسـان يحب ذلك تماما كما يحب كل انسان ان يملك مائة مليار جنيه • المهـم أن تكون عند الانسان القدرة على جذب من حوله عموما •
• اعتقد أن كثيرا من الناس يبالغون في تصوير سوء حظهم كي ينالوا عطف الآخرين ومساعداتهم •
ـ اعتقد ذلك •

• تنتابنى آلام في المعدة كل بضعة ايام قلائل •
ـ أحيانا •• رغم انى أتناول كثيرا من الدواء لعلاج المعدة •





• اعتقد انني شخص مهم •

— في أي مجال • في السياسة مثلا لا أساوي شيئا في الفن أعتقد انى أؤدى رسالة كاملة • مســـألة انســـان مهم وغير مهم تأتي من الناس الذين اتعامل معهم •

• كثيرا ماوددت أن اكون بنتا .

— لا • • كنت اتمنى ان تكون لى أخت ثانية حتى لاتشعر اختى انهـــا وحيدة على اخوة رجال • كان لابد أن ترتاح هى من عبء رعايتنا جميعا كـــان يجب أن يتوزع الجهد على اثنتين •

• ينتابنى الغضب أحيانا •

— طبعا . أكثر حاجة تضايقنى ان يهين قوى أمامى احد الضـعفاء .

• أشعر بالحزن والانقباض فى معظم الاوقات •

— من لايشعر بالحزن ليس انسانا . . الحـــزن فيه شـــفافية أكثر من الفرح . الحزن فيه خلود . الحياة لابد لهـــا من شجن رقيق يغلفها . امـــا التمادى فى الحزن فهو ردىء .

• احب القصص الغرامية •

— احبها جدا •

• أحب الشعر •

— أحب الشعر الحلو والبسيط •

• ليس من السهل ان يجرح احد شعورى •

— هذا أسهل ما يمكن •

• اعاكس الحيوانات أحيانا •

— لو كان عند أحد اصدقائى كلب اعاكســه والعب مع القطط

• أميل الى الاعمال الخشنة • • كالعمل فى الحقول أو البرارى •

— لا •

• من السهل أن أهزم فى مناقشة •

— لا . . لكن من الممكن ان اقتنع .

• اعتقد أن هناك فرصة للنجاح أمام كل شخص يستطيع أن يعمـــل بجد ويرغب فى ذلك •

— طبعـا •

• أجد من الصعب على فى هذه الايام أن اظل محتفظا بأملى فى اننى سأرتقى •
ــ ارتقى فى ماذا ؟ •• فى عملى ؟ لايمكن لان الانسان المخلص لايجد صعوبة فى عمله • أما من ناحية النقود فهى مستورة والحمد لله والنقود وسيلة لتجميل الحياة •

• أعجب اعجابا شديدا فى بعض الاحيان بالممتلكات الشخصية للآخرين كالاحذية والقفازاتوغيرها لدرجة انى ارغب فى العبث بها أو سرقتها بالرغم من أنها لاتصلح لى •
ــ عندما أعجب بشىء اشترى مثله •

• من المؤكد اننى قليل الثقة بنفسى •
ــ لا ••
• أحب ان اكون بائع زهور •
ــ أحب الزهور لكنى لم اخلق لبيعها •
• أشعر عموما ان الحياة لها قيمة •
ــ جــدا •

• اقناع الناس بالصواب يتطلب مجهودا كبيرا •
ــ جــدا •
• اؤجل الى الغد احيانا ما يجب ان اعمله اليوم •
ــ احيــانا •
• لايضيرنى أن اكون موضوع مزاح •
ــ بين أصدقائى واخوتى اسمح بذلك لكن لو تكرر ذلك اتضايق •
• أحب أن اشتغل بالتمريض •
ــ انها انبل وظيفة ولو لم اكن فنانا لتمنيت أن أكون طبيبا •

• اعتقد ان معظم الناس مستعدون ان يكذبوا فى سبيل التفوق على غيرهم •
ــ نعم هناك كثير يفعل ذلك خصوصا فى هذا الزمان الذى نعيشه •
• اعمل اشياء كثيرة اندم عليها فيما بعد •
ــ مش كثير قوى •
• أتردد على اماكن العبادة كل أسبوع تقريبا •

ـ لا ٠٠
• مشاجراتى مع أفراد عائلتى قليلة ٠
ـ نادرا جدا بل لم يحدث ذلك لاننا أصدقاء ٠
• ينتابنى احيانا رغبة جامحة فى القيام بعمل يضر الاخرين أو يصدمهم ٠
ـ لا ٠٠
• اعتقد فى مجىء المهدى المنتظر ٠
ـ ممكن ولكن بشكل يناسب العصر الذى سياتى فيه ٠
• أحب أن أذهب الى الحفلات أو الاجتماعات الاخرى التى يوجد فيها الكثير من اللهو والصخب ٠
ـ احيانا مرة فى السنة .
• قابلت مشكلات لم استطع أن اقرر شيئا بشانها لكثرة ما كان لها من حلول ٠
ـ ليس هناك الا حل واحد لاى مشكلة ٠
• اعتقد انه يجب أن يكون للمراة من الحب مثل ما للرجل ٠
ـ انا ريفى والمسئولية مطلوبة فى الحرية للرجل والمراة ٠ ويجب أن تكون هناك مساواة بين الرجل والمراة ٠٠ متساوين فى كل شىء ٠

أشد المعارك عندى هى المعركة بينى وبين نفسى
ـ أحاسب نفسى بهدوء شديد ٠
• لاأشكو تقلصا فى العضلات وان شكوت فنادرا ٠
ـ قديما كنت لاأشكو ٠٠ لان البرد يجعلنى أعانى منه وفى الحر أصاب بالزهق ٠
• يبدو انى لااهتم بما حدث لى ٠
ـ أنا أهتم بما يحدث للناس أكثر مما أهتم بما يحدث لى ٠
• يضايقنى أحيانا أن تسوء صحتى ٠
ـ عشت مع سوء الصحة زمنا طويلا ولابد أن اقبل نفسى واقاوم المرض ٠

• أشعر فى بعض الاحيان انى ارتكبت خطأ أو شرا ٠
ـ الشر ليس من طباعى ولكن لو ارتكب أحد ضدى شرا فانا أرد عليه ٠

• أشعر بالسعادة فى معظم الوقت •

— هذا نادر جدا .. لكن اشعر بالسعادة عندما اغنى أو عندما أرى انسانا عزيزا على •

• أشعر معظم الوقت بأن رأسى على وشك الانفجار •

— الصداع أحيانا وصراع الأفكار أحيانا يجعلنى أشعر بذلك •

• بعض الناس يصل حبهم للسيطرة الى درجه أشعر معها برغبة فى مخالفتهم حتى ولــو كانوا على حق •

— نعم هذا صحيح •

• بعض الناس يضمر لى فى نفسه شيئا

— أحس ذلك •• وأكاد أعرف ماذا يضمر لى •• أنا لو قرأت خبرا فى الصحافة أعرف من كتبه •

• لم أقم بعمل فيه خطر لمجرد الاثارة التى تترتب على ذلك •

— أنا مسالم جدا الا فى الفن فأنا أحب أن أقوم بمخاطرات كبيرة •

• غالبا أجد من الضرورى أن أدافع عن الصواب •

— طبعا •

• أعتقد انه من الواجب أن تفرض القوانين على الناس فرضا •

— لابد من ذلك لتنظيم الحياة •

• أشعر غالبا بضغط شديد حول رأسى •

— لا •

• أعتقد فى الحياة الاخرى •

— قديما كنت أحتار .. الآن أنا مؤمن بذلك •

• يزداد استمتاعى بالمسابقات أو المباريات عندما أراهن عليها •

— سواء بالرهان أو عدم الرهان فأنا أستمتع بذلك •

• أعتقد ان الناس أمناء لخوفهم أن يكتشف أمرهم •

— الامناء •• أمناء لتربيتهم ولظروفهم والعكس صحيح •

• كنت أحول للناظر أحيانا بسبب تغيبى من المدرسة

— لا •

• لم يتغير صوتى عما كان عليه •• فلم يعد أسرع أو أبطأ أو أحسن من ذى قبل •

— تغير وأصبح أكثر خبرة



• لا أهتم بمراعاة آداب المائدة فى منزلى كما أهتم بها خارج المنزل •
– أنا طبيعى فى الاكل •• لأهتم بآداب المائدة عموما •
• أعتقد ان هناك مؤامرة تدبر ضدى •
– الموهبة لأحد يستطيع أن يتآمر عليها •
• يبدو أننى لاأقل نباهة أو قدرة عن معظم الناس المحيطين بى •
– أصدقائى يقولون انى ذكى ولكن أنا أعتقد اننى انسان حساس •
• أعتقد ان هناك من يتتبعنى •
– لا •
• معظم الناس يستخدمون وسائل ملتوية للحصـــول على كسب أو منفعة بدلا من أن يتركوا الفرصة تضيع عليهم •
– أعرف عددا لاباس به يحاول الوصول بأى طريقة •
• كثيرا ماتتعبنى معدتى •
– قلت نعم أكثر من مرة •
• أحب الروايات العاطفية العنيفة •
– نعم والحياة نفسها رواية عاطفية •
• اننى أعرف من هو المسئول عن معظم متاعبى •
– نعم • فقر الريف المصرى والجهل •• انهما السبب فى البلهارسيا
• رؤية الدم لاتسبب لى الرعب •
– أنا عندى عقدة من الدم •• انه يسبب لى الرعب بشكل فظيع •
• لاأستطيع ان أرى فى أغلب الأحيان ســـببا لغضـــبى أو نقمتى على الحياة •
– أنا غير ناقم على الحياة .. أنا احب الحياة لانها حلوة .
• لم يحدث أن تقيأت دما أو سعلت دما
– حدث أن تقيأت دما لكنى لم أسعل دما
• لاتقلقنى فكرة الاصابة بالمرض •
– طبعا يقلقنى ذلك •
• أحب جمع الزهور وتربية النباتات المنزلية •
– أحب الزهور لكنى لاأعرف كيف أربيها اننى أشتريها •
• لم يحدث أن انغمست فى عادة من العادات الجنسية الشاذة •
– لا
• تتوارد الافكار فى ذهنى أحيانا باسرع مما أستطيع أن أعبر به

— ساعات أفكاري تسبق كتابتي فعندما أراجع خطابا كتبته أجد بعض الالفاظ ناقصة .

• من الجائز أن أدخل السينما دون أن أدفع ثمن التذكرة اذا تأكدت من أن أحدا لن يراني .

— زمان وأنا صغير .. اما الآن فأنا ادخل السينما ببلاش .

• غالبا ماأتساءل عن الاسباب الخفية التي تدفع الآخرين الى معونتي .

— أنا أسأل فقط هل هذه المعونة من صديق فأقبلها فورا وان كانت من انسان غير صديق فأنا أرفضها .

• أعتقد أن حياتي المنزلية سعيدة كمعظم حياة من أعرفهم .

— حياتي المنزلية كويسة جدا .

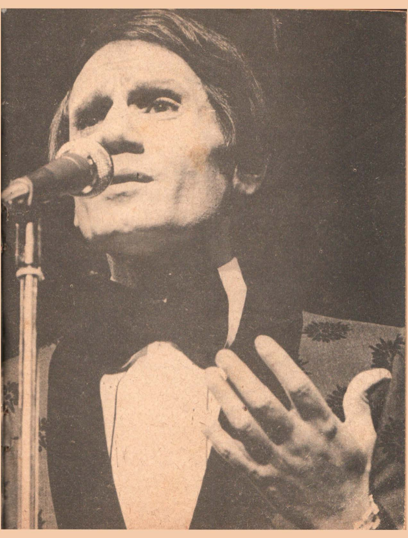
• أشعر في معظم الاوقات بآلام في جميع أجزاء رأسي .

— لا أشعر أحيانا بصداع ، وعندما يأتي النزيف وينقلون لي الدم ، بعدما تنتهي هذه العملية أصرخ من الصداع لدرجة أن د . ياسين عبد الغفار و د . هشام عيسى، في آخر مرة وقفا بجانبي ليمنعاني من تناول أي مسكن ضد الصداع لخطورة ذلك على الكبد وظللت أصرخ ، وقال د . هشام للدكتور ياسين «هل يمكن» وقبل أن يكمل رغبته كصديق في تهدئة الصداع قال د . ياسين «لايمكن أن يأخذ أي مهدئ» واستمر الصداع أياما واستمر الزعيق ، زعيقي من الالم أياما لدرجة أن سيدة من المريضات العرب في المستشفى دخلت حجرتي وربطت رأسي بشال أتت به من المدينة المنورة وقرأت عليه بعض آيات من القرآن ، واخذت انا اقرأ القرآن ليضيع الصداع ، وطاقة الايمان فعلا تهزم آلام المرض أو تقوى الانسان على تحمله ، الله يأخذ من هنا ويعطي من هنا .

• لاأقول الصدق دائما .

— لايوجد من يقول الصدق دائما





ثروتى..
كم مليون
إنســان؟

يحسبون دائما ثروتى بالملايين
وانـا احسـب ثروتى بحب
الناس لى ·



هذا هو نهاية الشارع ، الذى مشيت فيه بالكلمات لاقول أهم مافى حياتى ، الآن أحس أن الكلمات كانت صديقة تكشف لى أعماقى .

ها هى علبة تقف امامى .. علبة شقيقتى التى تعرف ماذا يمكن أن تعطى لتسعدنى .. ولسانها دائما ملىء بالدعوات ، والحب يطل من عيونها وأحس انى طفل صغير أعود مرة أخرى الى الحلوات .

الحلوات الآن ليست كما كانت قديما .

قلت فيها نسبة البلهارسيا عن الايام الاولى .

البلهارسيا هذا الخطر الذى يبدا صغيرا ثم يكبر ليصبح دوالى فى المعدة وارهاقا للكبد .. قد يكون من حسن حظى اننى مرضت واستطعت أن أعالج نفسى وأن أجد من يهتم بى .

هناك مئات من المرضى فى مثل حالتى ، لاأحد يعرفهم . قد لايعرفون هم طبيعة مرضهم ، كل مايعرفونه ان لقمة الطعام تقف فى فم المعدة ، لم يجد أحد منهم الفرصة ليعرف أن هنا يمكن أن تكون دوالى فى المعدة ويمكن أن يكون النزيف .

الجهل يادكتور ماكبث خطأ صغيرارتكب ضد مصر عندما أقفلوا المدارس في عهد سعيد باشا الخديوى القديم .

وتصحيح الخطأ ليس سهلا ، انه صعب للغاية ، يبدأ في حيــــاتي من اللحظة التي تسلقت فيها شجرة لاسمع عبد الوهاب البلبل الحيران ويستمر تصحيح هذا الخطأ ويأتي اليوم الذى أسمع فيه اغنية لام كلثـوم من تلحين عبد الوهاب .

افرح لأني استطعت أن أقنع كلا منهما انه من الظلم الا تغنى ام كلثوم من ألحان عبد الوهاب .

أفرح كلما غنت ام كلثوم على موسيقى عبد الوهاب لان هذا كان اقتناع اثنين من العمالقة برأى بسيط اقترحته أنا . كنت احلم به وانا طفل احضر المولد في الحلوات وأحس أن مشوار الحياة طيب ورائع رغـم ماكان فيه من صعوبات ، لانى انا الذى هربت من جو الاطفال في شــوارع الزقازيق لانى يتيم وصادقت أطفال الملجأ لانهم مثلى لا أب لهم ولا ام وان كان احدهما موجودا — الاب والام — فكلاهما استقال من مهمته وترك تربية الابن للقسـوة .

أشعر انني وقفت ضد هذه القسوة عنـدما وقفت أغنى في الزقازيق وجمعنا تبرعات وصلت الى الوف الجنيهات لتبدأ اول جامعة في الزقازيق لن يكون باب الجامعة كباب الملجأ مليئا بخرابيش الاطفال لن يخرج طفل ليعزف الموسيقى ويعده زوج أمه بان يأكل حلاوة لو اتقن العزف . لن يهرب احـد من المدرسة لانه يخاف من التعليم ستوجد في الزقازيق هذا العام أول كلية للطب وستوجد كلية للمعلمين ، وسينتشر العلم ، وسيكون طفل الزقازيق غير حائر ، لايقف على أتوبيس بالساعات ليأتي متأخرا وتستقبله العصا عـلى الباب كما كان يحدث معى أحيانا وكنت احبس الدموع وامد يدى الى المدرس الذى يطلب أن يفرد كل تلميذ يده وكنت أقول «مش أنا اللى اتأخــرت ده الاوتوبيس اتأخر» . وكان خالى معى ينقذنى من براثن هذه المسطرة ، وكنت اتحسس جيبى فأجده خاليا ، ليس فيه نقود ، وامشي في الشارع لانتظر خالى لأجرؤ على أن أطلب منه نقودا ، فليس من المعقول أن يكفل رعايتى أنا وأختى علية ثم أطلب مصروفا .. كنت اكره وضع الضيف في اسرة خالى واكـره تشتت اخوتى كل واحد في مكان ، محمد في الخدمات الطبية بالجيش واسماعيل بمعامل وزارة الصحة ، وافرح يوم ان اصل الى شارع سلامة حجازى ببركة الفيل ، سأستطيع أن أعيش مع اسماعيل وسأتعلم الموسيقى ويصبح معهد الموسيقى هو مكان الدراسة . ولا أدرى كيف استطاعت الثلاثة جنيهات أن



تتسع لطعامي وطعام اسماعيل وأن نشتري منها هدايا لعلية . مازلت أحاول ان استعيد معلومات الحساب البسيطة التي يمكن ان احسب بها هذه الجنيهات الثلاثة فلا أعرف ، ولأن المسألة كانت تسير بهذا الاسلوب ، لذلك لم تصبح النقود مهمة في حياتي ، وتأتي لحظة في حياتي يمكن أن اقول فيها «لا» لكل نقود الكرة الارضية ، لان من يدفعها يريد أن يتدخل دون أن يفهم فيما ينتجه الفنان ، حدث لى ذلك مع شركة كايروفون ، حاولوا أن يحددوا من يلحن لى ومن يكتب كلمات الاغنية حاولوا ان يتدخلوا في كل صغيرة وكبيرة في الاغاني التي أغنيها . يومها قلت لعبد الوهاب وكان من كبار المساهمين في شركة كايروفون .

ــ انا لن أعمل مع شركة كايروفون .

وعرف عبد الوهاب أن قراري لا رجعة فيه ، لم أتخذ القرار لاني عنيد ولكن لاني اكتشفت انهم لايمكن أن يفهموا كيف أن الفنان شحنة احساس، وعرضت على عبد الوهاب ان نكون معا شركة اسطوانات ، وكان هذا القرار غريبا . لم أتعود أن أكون صاحب مشاريع اقتصادية ، لكن أصبح ذلك الامر ضروريا حتى لا اسمح لمن لايفهم بان يتدخل في عملي ، لاحظ الصديق الشيخ عبدالله المبارك انني في حالة ضيق ، عرض علي أن يعطيني ضمانات اقتصادية لبداية تكوين شركة صوت الفن . وكانت بداية تكوين الشركة .. وكانت أول اسطوانة نطبعها هي اسطوانة الوطن الاكبر ، وكان عبدالوهاب مترددا في بداية تكوين الشركة . قال :

ــ هل نملك الوقت لنذهب الى مكاتب وندير أعمال شركة ؟

قلت : لن نذهب الى المكاتب ، ونحن لنا صديق نثق فيه نحن الاثنان هو مجدي العمروسي . وهو مدير ناجح .

وبعد فترة انضم للشركة الحاج وحيد فريد وبدأنا ننتج الافلام .

النقود ليست هي هدف الانسان في الحياة أن وظيفتها محددة هي أن تستر حاجات الانسان هذه حقيقة قد يجهلها البعض . ممن يقتلون احيانا مواهبهم من أجل تجميع أكبر عدد من الجنيهات . أذكر الآن تلك المسرحية التي قرأتها في عام ١٩٦٤ وشاهدتها على المسرح في باريس . اسمها «المتوحشة» ألفها الكاتب الفرنسي جان نوى . ولد فقيرا واستطاع عن طريق الفن أن يكون غنيا ، وعندما اشترى سيارة مكشوفة أخذ يتجول بها في باريس انه يريد



أن يعلن للناس انه فرحان بالحرية الشخصية التى أتاحتها له السيارة ،وكتب مسرحيته المتوحشة وهى عن المال فى حياة الانســـــان فنان غنى عازف على البيانو يحب فتاة من أسرة فقيرة ، أسرة الفتاة تعتبره صيدا هائلا ، والفتاة نفسها تظل ترفض فكرة الزواج لانها تساوى فكرة الاستغلال ، انها تشعر بالوحدة فى هذا البيت الفخم الذى يدعوها اليه . انها تشعر بخصام بينهـــا وبين الاثاث المرتفع الثمن ، انها تشعر أن صور أجداده فى اطاراتها المذهبة تبتسم سخرية من فقرها . ولم يكن حبيبها غنيا بالمال فقط .

انه غنى بالاطمئنان وبالموهبة التى يملكها وبرغبته الجامحة فى أن يزيل شقاءها • لكن لافائدة، ان شقاءها يطل من ماضيها على مستقبلها • لاتستطيع أن تتحرر من سيطرة الماضى لذلك تصطدم بكل شئ، وبكل انسان لاتستطيع أن يكون لها مستقبل ، انني عندما أفكر فى اداء ماريا شل لهذه المسرحية اشعر أن الفن هو سر من الاله • يصل الفنان لهذا الاله بالتدريب ، بالمران الدائم، هذه المسرحية اكدت فكرتى الدائمة عن المال ، انه يحجب الرؤية لو جعلــه الانسان هدفا له •• المهم قبل المال أن يتعاطف الانسان مع الآخرين ••انني لاانسى ابدا صورة ماجدة ، ماجدة هى احدى البنات التى رسم الفقر ظله على حياتها ، أسرة متوسطة تعيش فى حى الزيتون أرسلت لى خطابا من لندن ، وانا مريض .. تحكى فيه عن دعواتها لى ، لانها ترى اننى استطعت ان أنقذ روحى من الفقر • انى احافظ على ماتعلمته فى الصــــغر •• حب الاسرة ، ليس بالحصول على النقود ولكن لانى استطعت أن أتعاطف مع الاخوة • الاحســاس بمسئولية كل واحد فينا عن الآخر • انها أيضا فعلت ذلك • تعلمت •كانت ظروف أسرتها قاسية ، الام مريضة بالسرطان • الاب موظف بسيط ،الاخوة اكبرهم هاجر الى امريكا وانفصل عن الاسرة وتحملت ماجدة العمــل اثنــاء الدراسة وتخرجت . اخوتها يعتبرونها الام . انها تشعر الآن بالرضا ، وكتبت رسالتها لتقول لى « لست وحدك الذى عشت ظروفا صعبة » .. نعم انــا أعرف اننى لست وحدى ، لم تكن ظروف حياتى هى القاسية وحدها ، هناك كثيرون ظروفهم غاية فى الصعوبة ، لكنهم يتخطون هـــذه الظروف الصعبة ويبتسمون هؤلاء هم الذين اشعر بالفرحة عندما اراهم او اسمع عنهم . اننى أعتقد اننى واحد منهم . وهذا يشرفنى دائمـــا .

وكلما سمعت أو كتبت كلمة «ظروف صعبة» أتذكر تلك الابتسامة التى قابلتها فى نيويورك •• ابتسامة المعلم محمد • المصرى الذى هاجر الى نيويورك وافتتح مطعما فى أرقى شوارع نيويورك ، شارع بردواى ، لقد رحل هــذا



الرجل لانه يؤمن أن أرض الله واسعة وكان كلما دخل عملا فى مصر طارده الفشل واشتغل فى معسكرات الانجليز فى القناة لكن الحال لم يعجبه فرحل الى نيويورك • ومطعمه الشرقى ملىء بكبار رجال القوم وعندما علم اننىأعالج فى نيويورك جاء الى ليسألنى بشهامة ابن البلد •

ــ ماذا تحتاج ؟

قلت!: أحتاج الى عناية الله •

ضحك قائلا : هذه غير موجودة فى نيويورك •• الموجود هنا للغريب ظروف صعبة •

وسألته عما يقصد بكلمة « الظروف الصعبة » .

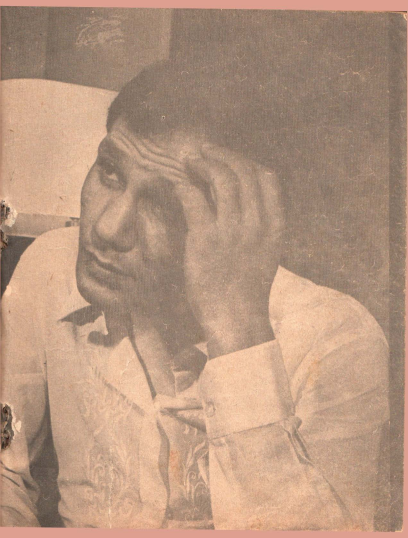
قال : الواحد هنا لايعرف أخاه ، الكل مسرع والكل يطلب دولارا والكل منهك فى العمل ، لذلك فالحياة كلها ظروف صعبة لان كل انسان يشعر انه وحيد .

لقد استطاع ابن البلد المعلم محمد الذى مازال يلبس الجلباب البلدى فى نيويورك ويقدم الفول والطعمية والملوخية ولحمة الراس •• استطاع المعلم محمد أن يحدد بكلماته معنى كلمة «الظروف صعبة» انها ان يشعر الانسان بالوحدة •• والحمد لله • أنا أحاول دائما أن أفتت هذا الاحساس بالوحدة ، انه عندما يقترب منى سيجدنى فى وسط جمع من الاصدقاء • أو مشغولا فى العمل • أو استمع الى الموسيقى •

المعلم محمد مازلت أذكره بالخير لان مجاملته لى كانت كبيرة بالنسبة لاخلاق نيويورك ، لقد أغلق محله فى ليلة وقرر الا يتناول العشاء فى المحل فى تلك الليلة الا أنا وأصدقائى •

●

كلما جاءت أمامى على لسان احد كلمة « صداقة مخلصة » فاننى اتذكر على الفور أثنين من أخلص اصدقاء العمر • الملك الحسن ملك المغرب • هذا الوجه العربى المشرق الذى قرر أن يتحدى مرضى ويدفع التكاليف الكاملة للعلاج • لااحد يعلم اننى دفعت اكثر من ٤٢ الف جنيه مصاريف العلاج خلال السنوات السابقة لتولى الملك الحسن نفقات العلاج • لااحد يعلم ذلك •• ولا احد يعلم اننى لم اكن استطيع أن أرسم لنفسى خطة علاج شاملة الا بعد أن اقترحها الملك الحسن • ثم ان صداقتى بالملك الحسن اكبر أيضا من مجرد انه أرسلنى للعلاج ، ان صداقتى به هى اللقاء مع انسان مثقف يحب الفن ويقدره ونموذج للانسان الذى يعرف كيف يعيش •



أما صداقتى بكمال ادهم مستشار الملك فيصل فهى ايام بداية طريق الفن ، ان صداقته هي زمالة روحيه في طريق الحياة ، استطعنا أن نصل في الصداقة الى درجة احساس كل منا بالام الآخر وبأفراحه من على البعد .

يدخل الآن شحاته ابن خالتى ، ان شحاته هو صديق الطفولة ، الذى جاء الى القاهرة ليشاهد أول حفلة لى واستمر معى ، انه يسافر معى معظم سفرياتى الى الخارج انه يقلق على كما يقلق على نفسه أرى من عيون شحاته نظرة قلق . انه فى انتظار مكالمة لندن ، طلبنا لندن على التليفون حتى يحدد لى الطبيب ميعادا آخر . أعتقد أنه بعد اسبوعين، هكذا يحدثني احساسي، أكون فى لندن آخذ الحقنة الثالثة فى شعيرات المعدة ، لا أعرف هل هى الحقنة الثالثة والاخيرة ام ان هناك حقنة رابعة وخامسة ، لقد استسلمت للعلاج مدة طويلة ، وعدنى الاطباء ان المرض قارب على النهاية ، اننى اريد أن أنام فقط لاستريح ، أكره ان اظل محبوسا فى السرير لمدة طويلة ، أحب أن أتحرر من كلمة مريض . من الاحساس بالارهاق . اننى أشعر ان السرير يبطىء فى التفكير ، يجعلنى محاصرا ، الذى يعزينى فى المرض هو أنى أملك ارادة الشفاء . كنت أتمنى ان تملك «ليل» حبيبتى التى ماتت تلك الارادة، ان لندن تذكرنى بها . هناك احساس فى قلبى بأنها كانت تعيسة فى رحلة العمر . استسلمت للمرض لانها منهكة فى رحلة العذاب طوال العمر . استمر المرض يتسلل اليها ببطء .. يغتال العيون الزرقاء الرقراقة الصافية، يقطف الورد فى هذه البشرة اللينة بالنور ، اشتقت لها كثيرا .. اشتقت اليها طوال أيام الحب ، لم اصدق يوم أن ماتت انها ماتت . اذكر صوتها وهى تقول :

ــ خلاص الطلاق تم ، ماقدرتش اعيش أكتر من كده . أنا عمرى قصير لازم أعيش .

ــ نعيش سوا .. مفيش حد يصدق الحكاية دى .

ــ لو كان بايدى كنت أفضل جنبك وأجيب لعمرى ألف عمر وأجيبك .

وقفت مذهولا أمام مرضها . كيف يهجم المرض على أجمل ما فى حياتى . فيروس خطير يتسلل الى المخ .

هناك أمرأة فى حياة الرجل مهما أصابها العجز أو التشويه او أى شىء تظل هذه المرأة جميلة الى الأبد .



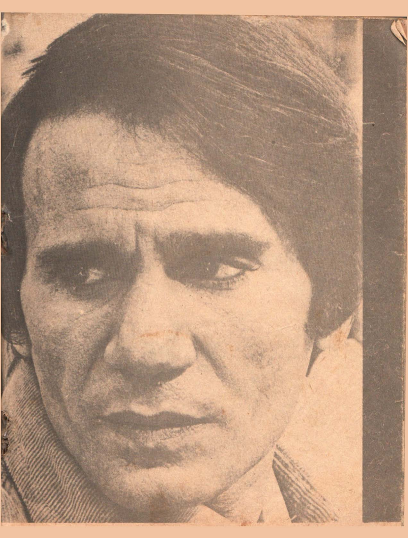
كثيرا ما بللت دموعى وجهى وأنا خارج من عندها وهى على سرير المرض بعد أن أجعلها تضحك ، كنت أحس أن ابتسامتها هى غروب الابتسام ، أخاف أن تلمس يدى يدها فتفضح أمرى ، ان أيدينا كثيرة الكلمات كل يد تحكى للاخرى كل ماحدث وكل ما يمكن أن يحدث ، لم يكن فى يدها احساس باليأس .. كان هناك احساس باهمية الحياة ، لماذا اذن ماتت ؟ . لااجابة . يسألوننى كثيرا .. لماذا لاتتزوج .. لا أحد يعلم أن الزواج ليس مسألة حسابية ، انه يحتاج الى الاحساس بأن الحياة لايمكن أن تستمر دون هذه المرأة . اننى أخبىء الآن فى قلبى شمعة الحب . أحاول أن أجعلها مشتعلة لاأحكى عنها لأحد . حتى تظل هذه الشمعة مشتعلة ؟

هل ستستمر هذه الشمعة مشتعلة ؟

أحلم بذلك .

لقد قلت ذلك فى هذه الحلقة الاخيرة من الذكريات . لانى لم استطع أن أخفى شيئا عن القلم ، أريد أن أضع أمامكم كل الحقيقة ، فكما يقول د . أحمد عكاشه فى تحليله الاخير للاختبار النفسى الذى أجريته لنفسى .

- ان نسبة الصدق فى الاجابة على الاختبار كاملة .
- ان اصرارى على هزيمة المرض كبير وارادتى قوية .
- ان حبى لعملى واضح ، اننى اعتبر عملى هو أنا . وعندما يعتبر الانسان العمل هو اللحن الاساسى فى شخصيته فان النجاح رفيق أساسى لهذا الانسان .
- ان حادث الحرمان من الامومة من الصغر خلق عندى احساسا بالولاء والوفاء للصداقة وللاسرة .
- ان درجة التوتر التى تصيبنى احيانا ، سببها اتهامى لنفسى بالكسل ، لان الافكار الفنية كثيرة ، والمغامرة هى اقدام دائم على المجهول ، وأنا اتمتع برغبة دائمة فى أن اقدم الجديد للجمهور والجديد من فنان يحبه الجمهور يصيبه دائما بالتوتر لانه يريد أن يقدم مايرضى عنه الجمهور .
- اننى أقبل النقد لان درجة ثقتى بنفسى كبيرة ، وقبول النقد هو ارتفاع عن الغرور .
- اننى واقعى فى مواجهة المشاكل ، أحاول دائما ان ابحث لها عن حلول تناسبها .
- اننى لا اسحب ثقتى من انسان ، اترك الطرف الاخر هو الذى



يسحب ثقته بنفسه ٠ من نفسه ٠
اترك القلم الان لاستريح قليلا ٠
قلت اهم ما فى حياتى ٠
من المؤكد اننى صرحت بمعظم ماحدث فى عمرى ٠

حب ٠٠
وفاء ٠٠
مرض ٠٠
خيـــانة ٠٠
صـــداقة ٠٠
آلـــم ٠٠
ســـعادة ٠٠
رحلات الى معظم بلاد الدنيا ٠
الان استطيع أن أقول ٠٠

أن الحياة رحلة رائعة رغم كل مافيها من آلام ٠
اترك كلمة « الى اللقاء » ٠٠
الى اللقاء فى النصف الثانى من المذكرات ٠

انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثانى الذى طلب عبد الحليم حافظ ألا ينشر الا بعد وفاته ٠



